أنور عبد الملك النفري

الايديولوجية الحيوية

الجزء الأول
في
الدليل النظري



١٩٧٠

الرفيق وليد مشوح

أرجو أن تتقبلوا مع خالص احترامي هديتي المتواضعة هذه لتكون عبرة بيدكم ووحدتنا الفكرية في طريق النضال لتحقيق إرادة الحياة .. الكريمة

رائق نقري

١٩٧١/١/

الايديولوجية الحيوية

الجزء الاول من الدليل النظري

تتضمن :

- **اساس منطقي**
- **دليل غايــة الحياة**
- **القانون الحيوي للكائنات**
- **القانـون الحيوي للمجتمع الانساني**

تاليف
رائـق علي النقري

مطبعة الثبات ـ دمشق



الاهــداء

- الى كل انسان
يعيش مرارة السؤال عن معنى وابعـاد وجوده
يرفض النظريـات المحنطة
- الى كل انسان
يؤمن بقدرة الانسان العربي على الابداع .
اقدم نظريتي لتكون دليلا متواضعا للحرية .
فهيا يا رفـاق
ولا عتمـة بعد الآن
وعينـا وجودنا كبشر
نمطر الابـداع
نعمر الفرح
وكل يوم عيد
نعمل من جـديد
نخلق القيم
نسمع الاصم
هتاف الحريـة
فهيـا يا رفاق
نبرر وجودنا بالنضال المستميت .
بالثورة الدائمة
لتحقيق الحريـة .

رائق

تقديم

عندما اشعر اني اقتربت من الحقيقة اشعر برجفة . خوف . وانهيـــار . لا. لاني اكتشفت أن الحقيقة ودرجتها المطلقة تتعلق بكوننا بشرا لان هذا ليس جديدا. ولا لاني ربطت وعيي بقانون حركة المجتمع . لان هذا ايضا وارد في التاريخ من حيث المبدا على الاقل .

انما لاني وجدت ان الحقيقة بسيطة جدا . ويكفي لكي نصل اليهـا ان نخلص النية ونتطلع على قسم من التراث الانساني ـ ثم ننساه دفعة واحدة وننطلق من الصفر .

نعم هذا هو مفتاح الوصول الى الحقيقة . وهذا ما ارجوه من القارىء ولكن احب ان اوضح من جديد ان الحقيقة متعلقة بكوننا بشرا وبقانون حركة المجتمع.

هذا ما اردت ان يكون مقدمة العمل .

والتاريخ وحده هو الذي يستطيع ان يحكم على هذا العمل وعلى اثره على حركة الامة العربية والانسانية .

الاساس المنطقي

قبل ان نستعرض الاساس المنطقي احب ان أؤكد على نقطتين :

١ ــ أن يدرس البحث ضمن مجال الصواب والخطأ .. في الدرجة الاولى وفي الدرجة الثانية الصح والاكثر صحة فنحن رواد حقيقة قبل كل شيء .

٢ ــ أن يعذرني القارىء للايجــاز في البحث . لانه كتب بظروف صعبة جدا.
في بداية بحثنا سنستعرض البنود التي تؤثر على وعينا والمتعلقة في كوننــا بشرا .

اولا ــ ان **الحقيقة ليست مطلقة** ــ انما مسقط من الانسان المقرر من جملة (مكانية ــ زمانية) معينة على الحادثة التي يريد ان يقرر ماهيتها . ولا فرق في ذلك بين الحقائق النفسية والحقائق العلمية . ويقول (مينكوسكي أستاذ انيشتن) « ان العلوم التي أسسناها ليست هي حتى صورة للحقيقة وانما منظوراخاصا تحدد معالمه ظلال اسقطت على الجمل المقارنة الفراغية التي نحيا فيها » . وتعاني جمل الاسقاط هذه تحويلات عديدة على مرور حياتنا وانه يجب أن ننظر الى الكون نظرة مجالية بأربعة ابعاد زمان . مكان تمثل مجالا حقيقيا وليس مسقطا على مجال »

ويمكن ايضاح ما تقدم بالتشبيه التالي : لنعتبر الفضاء الاعتيادي ذا الابعاد الثلاثة ونتخيل انه يوجد في هذا الفضاء (احياء ذكية) ذات بعدين فقط اي ليس لها سماكة فاذا ارادت هذه الكائنات صياغة قوانين كونها لما حصلت على قوانين مماثلة للتي نحصل عليها نحن .

ثانيا ــ يوجد في العقل الانســاني انماط عقلية تعرقل وتقف عثرة في طريقه الــى الحقيقة واهم هذه الاشياء هي **انسنة الاشياء** حيث يلاحظ ان الانسـان يطلق صفاته على الاشياء .

فيقول مثلا راس الجبل ثورة الطبيعة ـ عنفوان العاصفة . صراع الاشياء وهذا ليس من باب المجاز في المجاز في البلاغة اللغوية بقدر ما هو جزء من الوعي الانساني ، فالفكر الاسطوري هو مرض فكر قبل أن يكون مرض لغة.

فمثلا : عندما ينظر انسان الى طفل وليد ويتساءل ترى بماذا يفكر هذا الطفل فان طرح هذا السؤال طرحاً نمطياً قبل أن يكون مجازيا لانه يحسب إن التفكير يلازم الانسان منذ طفولته مع أن العلم يثبت ان نشاط المخ والدماغ يحتاج لفترة تنمو خلالها كافة الاجهزة الفيزلوجية .

والانماط العقلية لا تضم نقط **أنسنة الاشياء** .. وانما ايضا الرغبة في **ارجاع كافة المظاهر** المختلفة الى **قانون واحد** .. ونلمس هذا الشيء حتى في أعمال المتقدمين فكريا بالنسبة للعصور السالفة حيث نجد (**فرويد**) يعزو كافة احداث المجتمع الانساني الى (**اللبيدو**) و (**ماركس**) يرجعها الى وسائل الانتاج وعلاقات الانتاج وهذه الرغبة في التعميم يمكن لمسها في كافة الاعمال الفكرية للاقدمين ، والذين يجارون الاقدمين بدرجتهم العقليـة .

والتاثير النمطي هو انعكاس وعي الانسان لوجوده .. وكلما ازدادت وتعمقت تجربة الانسان خف تاثير الانماط وبدا تاثير العلم .

ويقول العالم البيولوجي (يوهان فون يوكسكل) (الساذج وحده هو الذي يعتقد ان هناك حقيقة مطلقة للاشياء تنطبق على كافة الكائنات الحية .. اذ ليست الحقيقة شيئا واحدا متجانسا ، وانما هي متنوعة كثيرا ولها اتجاهات ونماذج على قدر ما هنالك من كائنات عضوية مختلفة وكل كائن عضوي هو كائن أحادي الجوهر له عالمه الخاص به لان له تجربته الخاصة به . أما المظاهر التي نراها في حياة بعض الكائنات البيولجية الاخرى فانها لا يمكن نقلها الى كائنات اخرى لذلك فلا وجه للمقارنة أو المقايسة بين التجارب ومن ثم الحقائق المتعلقة بكيانين عضويين مختلفين).
ويقول : (**في عالم الذبابة لا نجد الا اشياء ذبابية ، وفي عالم قنفذ البحر** لا نجد الا اشياء قنفذيـة ..) .

ثالثـا : ـ **العقل الانساني جزء من الحياة وليس** كل ولهذا فان الجزء ليس بمقدوره ان يضع نفسـه مكان الكل انما يمكنه الكشف عن موقعه ضمن الكل .. ويمكنه الكشف حسب قدرته على وعي احداث الكل **وان اية محاولة لحشر العقل** في قضايا هي اكبر من ابعاد وجوده **تعتبر لاغية فالعقل** الانساني جزء من الحياة وليس كل الحياة ويمكنه بامكانياته الكشف عن موقعه في الحياة ويمكنه الكشف عن احداث الحياة .

لهذا يجب ان نضع في اعتبارنا اثناء البحث ان **الحقيقة نسبية وانه يجب ان نبتعد ما امكن عن النمطية . وان لا نحشر عقلنا في امور ليست من مهامه .**

دليل غاية الحياة

لماذا نعيش .. سؤال ملحاح يقض مضجع الاناس الواعين منذ وجدوا لانه بموجب الاجابة يحددون سلوكهم في الحياة فالعمل يتناسب مع الغاية واول ما يجده هؤلاء هو اجابة جاهزة . تقسم الى قسمين :

القسم الاول : النظرية الدينية التقليدية :

القسم الثاني : النظرية اللادينية :

ويتضمن كل قسم مسألتين :

١ ـ مسألة وجود الخالق .

٢ ـ مسألة غاية الخلق .

ونحن لن نتطرق الى مناقشة القسمين لان البحث موجز ولا يتسع لهذا النقاش الان على الاقل . وسنصوغ اجابتنا فورا .

١ ـ مسألة وجود الخالق نحن نعتقد ان الله موجود ولكن ليس **كائناً خارجا او داخلا انه الوجود باكمله انه عملية خلق وابداع مستمر** . قدرة تسري في جميع الكائنات .

وهذه **القدرة هي الحياة** . والكائنات كلها ما هي الا تعبيرا عن ارادة الحياة ولكن ليس معنى كلمة حياة هو عكس الجماد .

فماذا تعني كلمة حياة اذا ؟.

ان الحياة ليست كائنا انما وصفا لعملية هي الخلق وتتجلى الحياة في

جميع الكائنات والمفهوم الذي يتناوله الناس حول الكائن غير الحي لا يزال مفهوما غامضـا فاذا قبلنا بكلمـة كائنات حية ، وكان صفاتها التنبه والانفعال والتحرك والتجدد والتكاثر . فاننا نجد هذه الصفات لدى ما يسمى بالجمادات . حيث نجد ان بلورات المواد غير العضوية يمكن ان تنمو وكذا الهواء والماء لهما خاصية الحركة وكذلك الالكترونات ومختلف الجسيمات داخل الذرة والكواكب . وكثيرا ما نجده هذه الصفات غير موجودة لدى الكائنات الحية .

فمثلا تبقى بذور النباتات في حالة السكون حتى توضع في التربة الرطبة .

وهناك الفيروسات تجمع بين صفات مفهوم الكائن الحي والكائن غير الحي . ويبعدها عن الكائنات الحية لكونها لا تتنفس وليس لها تـركيب خلـوي ولا تملك ستيوبلازم ولا اعضاء خلوية ولا يمكنها التكاثر خارج الكائن الذي تصيبه . اماالمزايا التي تقربها من الكائنات الحية فهي أنها عندما تصل الى داخل الخلية فانهنا تتكاثر وتنقل الصفات الوراثة الخاصة بها الى جيلها .

وقد استطاع العالم الامريكي (ستينلي عام ١٩١٥) الحصـول عـلى بعض الفيروسات (في صورة بلورات) (النوكليوبروتيد) حيث أنها عبـارة عن اتحـاد البروتين والاحماض النووية ويمكن اذابة هذه البلورات مرة أخرى ثم ترسيبها واعادة تبلورها دون ان تفقد الطاقة الحيوية التي تخصها .

اذا فمفهوم الكائنات الحية وغير الحية لا يعطي مفهوم الحيـاة اللـه .. الذي نعنيه بقولنا والتعريف الانسب للكائنات الحية وغير الحية هو ما قيل منذ اكثر من قرن تقريبا . (ان الحياة هي طريقة وجود او معيشة الاجسام البروتينية وهذه في حقيقتها في تجدد مستمر للمكونات الكيماوية لهذه الاجسام) .

اما **مفهوم الحياة الله** ، الذي نقصده ، فهو اصطـلاح تندرج تحتـه كافـة الكائنات . فالكائنات كلها ، ما هي الا شكلا من أشكال ارادة الحياة ، ولكل شكل أو نوع قانون خاص ارادته الحياة . أو طريقة لوجوده ، وحركته .

فما هي غاية الحياة ؟؟ قديما قيل :

ليس يعطيك للرجا ولا الخوف .

ولكن يلـذ طعم العطـاء .

وقال (كنت) : ان الذي يصدق كي يكثر أصدقاؤه ليس صادقا .

انما الصادق من اجل الصدق هو الصادق حقا .

وقالت رابعة العدوية : انها لا تحب الله خوفا من عقاب ، او رغبة في ثواب، انما لانه الله . .. فالشيء من أجل ذاته من أرقى صور الغايات ، ومن هذا نخرج ببساطة لنقول : **ان ارادة الحياة هي الحياة .**

نعم فغايـة الكائنات بكل بساطة هي الحياة . واي غاية اعظم واروع من هذه الغاية اني **احيا من اجل الحياة** . اني وجدت لكي أحيا .

وجدت الكائنات لكي تحيا . ويحقق الوجود حياته بتنفيذه ارادة الحياة . فما هي ارادة الحياة للكائنات ؟؟

ان ارادة الحياة للكائنات هي : الحرية ، فالحرية هي شرط تحقيق وجـود الكائن ، وهي التي تصله بجوهر كينونته ، بالحياة ، الحرية .

ولكن ماهي الحرية ؟ ان الحرية ليست صفة للارادة . انها تمام عمل الكائن، فحياة الكائن تتحقق بتمام شرط وجوده ، وهذا التحقق هو ما ندعوه بالحريـة . على اساس ان الكائن لا يحقق وجوده منفصلا . انما مرتبطا بالمحيط .. لذا فالحرية دعوة الى مزيد من الالتصاق بشروط وجود الكائن ، مهما كان نوع الكائن ، ومهما كان نوع المحيط .. اي ان للحرية اشكالا مختلفة باختلاف الكائنات ، انما تبقى

ضمن مفهوم تحقق شرط الوجود ، والعبودية يمكن أن نأخذها اصطلاحا لعدم توفر شروط وجود الكائن . **مع بعض التحفظ ، لان العبودية مفهوم نمطي** ، فالذرة تحقق حريتها بوجود نواة ، وعدد من الكهارب تدور حولها ، ويحقق النبات وجوده عندما تؤمن له الاملاح اللازمة ، وضوء الشمس اللازم ، وحرية الحيوان تتحقق عندما

يتوفر للحيوان شروط تحقيق غذائه ، ونمائه ، وحرية الانسان مرهونة بتحقيق الفعاليات الموجودة لدى الانسان .

وتحقيق الكائنات لارادة الحياة مرهون بحركة قوانين وجودها ، وقوانين حركة كل كائن تندرج تحت قسمين كبيرين :

القسم الاول : حركة الكائن العامة ، وهي التي يتشابه بها مع غيره من الكائنات.

القسم الثاني : حركة الكائن الخاصة ، وهي التي تميزه وتعطيه شخصيته المستقلة ككائن عن الكائنات الاخرى .

وفي هذا الدليل سوف نكشف عن حركة قانون الكائن العامة ، وسوف نقدم حركة قانون كائن المجتمع الانساني . ككائن خاص مستقل عن بقية الكائنات .

القانون الحيوي للكائنات

قبل ان نبحث قانون الحركة يجب ان نعرف ما نعنيه بقولنا؟ : (حركـة) فما هي الحركة ؟!. ان الحركة اولا ، هي حركة شيء ، حركة مقترنة بشيء ، مقترنة بالوجود بالحياة ، وفقدان الحركة يعني فقدان الكائن (الحياة) .

ولكن الحياة لا تفنى ، انما تتحول من شكل الى آخر . فمثلا تتحول كتلة المادة الى طاقـة .. والطاقة الى مادة .

وليست الطاقة شيئا يختلف عن الكتلة . كما كان يظن قبل (اينشتن) انما هناك تعادلا بين الطاقة والكتلة . فالخاصية التي نسميها كتلة ما هي الا طاقة مركزة وان المادة هي طاقة، والطاقة هي مادة .

وتمكن الانسـان من تحويل المادة الى طاقة في القنبلة الذرية ، وتمكن من تحويل الطاقة الى مادة في غرفة (ويلسـون) ، حيث أمكن مشاهدة (الفوتانات) ـ (جزئيات الضوء) ـ وهي طاقة تتحول الى ذرات فيها الكترونات وبروتونات . حسب القانون التالي : الطاقة : = الكتلة × مربع سرعة الضوء .

اذا ليس هناك حركة خارج الكائن وتسقط الافكار النمطية التي تتحـدث عن الازل والزمن المطلق .

واول من انتبه الى هذه الحقيقة هو اليوناني (هيراقيلت) منذ ٢٤٠٠ سنة، حيث أوضح أن الانسـان لا يمكن ان يستحم في مياه النهر مرتين ، وقد انتبه العالم الطبيعي جان باتيست لامارك الى هذا التغير في العالم العضوي ، ومن ثم اتى العالم الانكليزي (لايل ١٧١٧ ـ ١٨٧٥) فدفع بمفهوم التغير الى الامام اكثر فاكثر ،

و (لايل) هو أستاذ (تشارلز روبرت داروين) الذي دفع اكثر فاكثر حقيقة التغير الى الامام بشيء من العلمية التي كانت تتوفر في عصره وقد طورها نوعا ما تلامذته من بعده . وكذلك اكتشاف تحول الطاقة اثر ايضا على وضوح هذه الحقيقة . وقد حاول هيجل وماركس وغيرهما ان يضعا نظرية عامة لهذا التغير .. فجاءت محاولاتهم ملتبسة النمطية العقلية في **بعض قوانينها** .. حيث تصور ان الكون يتحرك تحركا جدليا وان اختلف كل منهما في بداية الجدال .. وقد جاء هذا المفهوم نتيجة وعي العقل البشري ان الاشياء الجديدة التي تحدث في مجتمعهم انما تحدث نتيجة صراع فمثلا السلام بين دولتين اتى بعد حرب ، والاشتراكية تحدث نتيجة صراع بين البرجوازيين والعمال .

حتى باتوا يعتقدون ان : الحياة هي عبارة عن حركات المتناقضات .. للحل..

وفي المادية الديالكتكية نجد نضال الاضداد ووحدة المتضادات ونفي النفي . **فالنمطية هنا واضحة جدا فالتضاد والتناقض بين الاشياء هي حالة لها اسبابها.. وليست حالة شاملة . والا فما هو نقيض الدبوس ، الجدار .. الخ . والتناقض في الاصل لا يحدث الا في الكائنات التي تعي معنى التناقض كالبشر ، وبعض الحيوانات الراقية ، ويحدث الصراع نتيجة وعي لهذه التناقضات ، وفيما عدا ذلك لا يجوز أن نطلق عليه صراعا ، فالسالب والموجب داخل الذرة ليست في حالةصراع** .. وما بينهما **ليس تناقضا** ، انما اختلافا في التكوين ، وفي الوظيفة ، والذرة مؤلفة منهما معا ، ولا يمكن وجودها بدون احدهما ، **وليس من الضرورة أن يكون في كائن آخر غير الذرة اشياء متضادة .**

فوجود الذكر والانثى ، وهما اضداد ليس هو الذي يولد حركة التكاثر ، .. لان هناك كائنات تتكاثر تكاثرا لا جنسيا حيث لا ذكر ولا انثى .

وكذلك الامر بالنسبة (لنفي النفي) حيث تعتبر المادية الديالكتيكية ان الكائنات تنفي بعضها البعض باتجاه الاعلى ، فالكائنات تتحرك بشكل حلزوني صاعد .. وهذه **الحتمية تخالف الاساس المنطقي الاول . فالكائنات بنظرنا** كما

سيمر معنا بعد قليل **تتحرك .. ولا يجوز ان نعمم شكلا معينا لها على جميع الكائنات** . نحن نقول كما سيوضح لاحقا ان : الحركة الدينامية الحيوية تلازم الكائنات .. وتخضع هذه الحركة **لخمسة بنود** يمكن البرهنة عليها بسهولة .. كما سيأتي

وكذلك الامر بالنسبة (**لدارون**) ، حيث نجد الكثير من التأثيرات النمطيةعلى تفكيره ، حيث انه يضع قوانين للتغير في العالم العضوي ، كقانون : التنازع المستمر على البقاء .. فالتنازع هو صراع **لاينطبق كما ذكرنا الا على الكائنات التي تعي هذا الصراع** .. ولكن نتيجة رؤيته اثناء جولته في العالم على ظهر السفينة بيجل (١٨٣١ ـ ١٨٣٦) تنازعا بين الحيوانات .. جعله يعتقد ان هذا ينطبق على كافة الكائنات **ويمكننا ان نأتي باي حيوان ونوفر له موادا للغذاء ليس فيها مجالات للقضاء على غيره ومع ذلك يتغير** .

فالتنازع ليس ضرورة انما حالة .. وتعميم (حالة) هو عمل نمطي .

اذا كيف تتم حركة الكائنات العامة انها تتم وفق القانون التالي :

١ ـ كل كائن يتحرك ..

وحركة الكائن تكون حسب قوانين الكائن الخاصة .. وهذه الحركة**اما ان تكون باتجاه الحياة** المؤدية لشروط وجود الكائن او ، **لا** ،

٢ ـ حركة الكائن تغير تركيبه

وتغير التركيب يكون حسب نتيجة الحركة الاولى باعتبارها كنقطة مبدأ للقياس فاما باتجاه الحرية او باتجاه العبودية ، **والعبودية كما ذكرنا عكس الحرية وهي فقدان الكائن شروط وجوده** التي ارادتها له الحياة ، وقد يكون فقدان كلي، او فقدان جزئي .

٣ ـ تغير التركيب يؤدي الى تغير الحركة ..

واما أن تكون الحركة الجديدة باتجاه الحياة أي مؤدية لشروط وجود الكائن، الحرية التي ارادتها الحياة . او العبودية .

وهكذا تستمر الحركة ويستمر تغير التركيب ومن ثم الحركة حسب قانون **حركة الكائن الخاصة .**

وحركة الكائن هي تعبير عن **بنية الكائن .** فالكائن هو **(عمارة)** من العناصر **معمر بصيغة معينة وحركته (عمره) والزمن (الحركة) . فكلمة (عمر) تعني الزمن . ويقال معمر أي مسن او عمره كبير وكلمة عمر وعمار وعمران من نفس المصدر . اذا يمكننا القول بسهولة :**

٤ ـ ان عمران الكائن يحدد عمره (حركته) :

مهما يكن الكائن انسانا او مجتمعا أو خشبة ، أو ذرة ، وبالتالي لا يجوز تعميم حركة عمر كائن على كائن آخر .

وقد ذكرنا سابقا : ان الحركة مقترنة بعمران الكائن . **فالحركة هي طاقة تنتج عن (عمران) كتلة الكائن .**

وايضا عمران كتلة الكائن . هي حالة وقتية لحركته للطاقة .. فالطاقة والكتلة هما حركتان للكائن او زمنا له (عمرا) .

ودعما لقولنا بأن عمر الطاقة ينتج عن عمران الكائن فاننا نسوق ما ذكره العالم الفيسيولجي الروسي تيسون مثلا حيث يقول :

ان ١/١٠ من مجموع الطاقة الناتجة عن حركة قلب انسان متوسط العمر . تكفي لرفع قطار بضاعة ثقيل لارتفاع ٤٨١٠ مترا ويختلف نوع الطاقة من كائن لاخر، فالعقل طاقة بالنسبة للانسان ليست موجودة لسنبلة القمح او الجدار .

وتختلف حركة الكائن حسب وضعه (الجديد) .

٥ ـ الكائن يتأثر بالجملة العطالية التي اصبح فيها نتيجة حركته الاولى :

مثال ذلك المحول الكهربائي الذي تحركه بجهد كهربائي صغير ليعيده جهدا عاليا. والطاقة المختزنة في الكائن المتحرك تختلف قيمتها من جملة عطالية الى جملة عطالية اخرى تتحرك بدلالتها حيث تزداد سرعة الطاقة الحركية بازدياد سرعة

الجسم المتحرك بعكس ما يقول الميكانيك الكلاسيكي كما اثبت اينشتين ان الطاقة الحركية للمادة الساكنة لا تكون معدومة بل تساوي (ك.ث) ك = عطالة المادة وهي ساكنة ، ث = سرعة الضوء في الخلاء .

وبما ان لكل كائن حركة خاصة . وزمنه الخاص ، فان **هناك مفاهيم عدة يجب محوها لانها من نتاج الانماط العقلية .**

كمفهوم (التوافت او التماثل) (التوازي) في الحركة ، كالذي ظهر لدى هيجل وماركس وداروين وغيرهم من المفكرين الذين بحثوا في حركة الكائنات .

فلم يعد هناك وجود لحالة تواقت ، (تماثل ، توازي) تنطبق على جميع اجزاء الكون المدرك . فلكل (جملة مقارنة متماسكة) زمنها ، او حركتها الخاصة، وتقديراتها المنطقية ، والزمنية الخاصة ، ولا معنى لتحديد ، او تفسير حركة حادثة ، او كائن ، مالم نعين الجملة المقارنة التي ترد اليها الحادثة او الكائن ، وبالتالي لا يمكن ان يكون هناك تقدير منطقي واحد ، او ساعة واحدة لتفسير، او قياس الحركة لدى كافة الكائنات . ولكل جملة مقارنة ساعتها الخاصة ، ويعتمد انسياب التعليل المنطقي ، او الزمني في هذه الساعة على الحالة الحركية لهذه الجملة ، وهذا ما الحنا اليه بالاساس المنطقي الاول . **(الحقيقة ليست مطلقة) فعمران الكائن يتغير نتيجة حركته وتتغير ابعاده وتغير ابعاده يغير حركته .** ويقول اينشتين (الطول المقاس ليس مقدارا أساسيا مطلقا انما هو مقدار نسبي يتحول مع الجملة المقارنة المردود اليها وتتبع قيمته الحركية لهذه الجملة) ولا يمكن ان يتفق فريقان من جملتين متقارنتين في قياساتهما ولا علاقة للزمن ولا للابعاد المقاسة (المعقولة) بالكائنات المقاسة نفسها (الموضوع لها قوانين من صنع العقل البشري) **وانما لكل جملة متحركة زمنها الخاص وواحدة خاصة بها لقياس** الابعاد (ضبطها ضمن قوانين معلومة) ولقد أوضح العالم (لورنتز) بالاستناد الى مفهوم البنية الذرية الكهربائية للكائن كما أوضح اينشتين من خلال ابحاثه

(ان الاجسام المتحركة تتقلص باتجاه حركتها وان الساعة الملصقة بالجسم المتحرك تسير بسرعة ابطأ من سرعة الساعة الساكنة . والمسطرة الملصقة بالجسم المتغير يتغير طولها . اثناء حركتها ويزداد هذا التغير بازدياد سرعة الجسم والساعةتؤخر كلما ازدادت السرعة . (اي يتمدد الزمن) والمسطرة تنكمش ويقصر طولها باتجاه حركتها .. وهذه التغيرات لا علاقة لها بتكوين الساعة او تركيب المسطرة فالساعة يمكن أن تكون من نوع ساعة الحائط ذات البندول او من ساعة الجيب او ساعة بيولجية . كالقلب او الخلية الحيوانية .. الخ ..

وانكماش المسطرة هنا ليس من الظواهر الميكانيكية ، اذ ان الشخص المرافق للساعة ، او المسطرة لا يمكنه مشاهدة هذه التغيرات . اما اذا كان الشخص ساكنا (اي ساكنا بالنسبة للجملة المتحركة) فانه يمكن ان يلاحظ ان الزمن يتمدد بالنسبة للساعة المتحركة وان المسطرة المتحركة تتقلص بالنسبة للمسطرة الساكنة.

وهناك مثال وضعه العالم الفرنسي لانجفيني للتدليل على ظاهرة تمددالازمنة ويعرف المثال بـ (رحالة لانجفيني) يقول فيه : اذا تخيلنا صاروخا ينطلق من على سطح الارض ويتجول في الفضاء الكوني بحركة مستقيمة منتظمة بسرعة قريبة من سرعة الضوء ويعود بعدها الى الارض من جديد فان ركاب الصاروخ سيجدون لدى عودتهم أن احفادهم اكبر منهم سنا لانهم داخل الصاروخ المتحرك حركة معينة تختلف عن حركة الارض .

لان الصاروخ يشكل جملة مقارنة مختلفة عن الارض فلا يشعر من فيه بتقلص او تمدد ويمكن استيضاح ذلك من قصة (المستر طمنكز في بلاد العجائب) التي رواها العالم (جورج غامو) والتي تشرح ظاهرة تقلص الاطوال وتمدد الازمنة بشكل مسل ومفيد ويمكن معرفة القوانين التي تحدد مقدار التقلص والتمدد في تحويلات (لورتنز) .

اذا فكل كائن يتحرك .. بانجاه الحرية أو العبودية حسب قوانينه الخاصة التي ارادتها الحياة ، وحركته تتناسب مع عمرانه الذي يتغير هو الاخر بتاثير حركته .. وكلما ازدادت هذه الحركة تقلصت مدة التركيب

ليتحول الى تركيب آخر اما باتجاه الحياة الحرية .. او العبوديـة .وكلما ابطات الحركة ازدادت المدة بين تحول التركيب الى تركيب آخر . وسوف يتضح هذا القانون لدى عرض حركة كائن المجتمع الانساني العامة والخاصة . وكذلك قانون حركة كائن (الفرد) الانساني .

القانون الحيوي للمجتمع الانساني

وقبل ان نبدأ بعرض القانون يجب ان نعرف ما نعنيه بكلمة مجتمع . وابسط تعريف نشتقه لغويا هو : ان المجتمع مرادف للجماعة والجماعات افراد من مختلف الانواع والاعمار . وسوف نتعرف فيما يلي على (**عمران**) المجتمع الانساني .. كي نتعرف على **عمره** ، **حركته** .

وقبل ان نعرف عمران المجتمع الانساني يجب ان نعرف عمران الفرد الانساني الذي يعتبر اساس المجتمع الانساني .

يتالف عمران الفرد الانساني من ثلاث فعاليات متميزة :

١ ـ الفعالية العضوية : حيث يشبه الانسان بها اي كائن عضوي آخر مع اختلاف النوعية .

٢ ـ الفعالية العقلية : وهي قدرة ، طاقة تمكن الانسان من التبصر بشؤونه، وتنظيم حياته .

٣ ـ الفعالية الروحية : وهي قدرة يتصل بها الانسان ، مع جوهر كونه . مع الحياة فيشعر بنبض ارادتها في صدره .

ولكل فعالية من هذه الفعاليات حركة خاصة وحركة عامة . والفعاليات الثلاث معا لها حركة عامة تعطي صاحبها مدلول الانسان ، وحركة خاصة تعطيه تميزا عن الاخرين (شخصية) وهذه الحركة تكون اما باتجاه الحياة أو باتجاه الموت . فمثلا الفعالية المادية العضوية هي أول حركة لتحقيق شرط وجود الفرد الانساني ، فبدون تأمين طعام وشراب وجنس وهواء .. الخ .. (وسيمر معنا هذا مفصلا في بحث قانون الانسان (١) فانه لا يكون هناك كائن انساني اصلا ، وهذه تؤثر على الفعاليتين العقلية والروحية ، وحركة هذه الفعالية اما أن تكون

(١) الجزء الثاني من الدليل النظري يتضمن القانون الحيوي للفرد الانساني .

باتجاه الحياة وذلك عندما تتامن الشروط التي ارادتها الحياة للكائن الانساني او باتجاه معاكس .

وهذه الحركة تغير تركيب الفرد عضويا زائد تاثيرها على الفعاليتين العقلية والروحية اما صحة او مرضا باتجاه الحياة او الموت . وتغير التركيب يغير الحركة .. حسب الاتجاه الذي وصل اليه التركيب وهكذا ..

الفعالية العقلية : وهي قدرة ينظم بها الانسان سلوكه في الحياة من الناحية العضوية والناحية الروحية والانسان المجنون لا يمكنه الاستمرار في الحياة على الاقل لايمكنه الحياة كما ارادت له الحياة وكثيرا ما يضر الاحمق نفسه ويؤذيها وهو يقصد منفعتها . وكما ان حركة تأمينه العضوي تحدد درجة حريته العضوية فان حركة الفعالية العقلية تحدد درجة حريته العقلية .

وحركة هذه الفعالية كأي حركة عامة اما باتجاه الحياة او الموت . والحركة تؤدي الى تغير عمران الفعالية حسب اتجاه الحركة . وعمران الفعالية العضوية والروحية .

وكلما كانت الحركة سريعة قلت المدة بين تغير العمران ، وحركته الجديدة، والعكس صحيح ، وهكذا .

الفعالية الروحية : وهي قدرة على الاتصال بروح الحياة ، وبجوهر ارادتها بالحرية .. وذلك بمعرفة الغاية التي ارادتها الحياة لوجوده ، وابداع السبل التي تمكنه من تحقيق هذه الغاية متمثلة بحركة الحق والخير والجمال ، وهذه الفعالية تؤثر ايضا على الفعاليتين المادية ، والعقلية ، والحركة العامة لهذه الفعالية مثلها مثل اية حركة عامة لاي كائن . فحركتها تغير عمرانها ، وتغير عمرانها يغير حركتها حسب الاتجاه الى الحياة الحرية او العكس ، وكذلك يؤثر بها سرعة الحركة بطؤها ، ونتيجة حركة الفعاليات الثلاث تحدد شخصية الانسان واتجاهه ، وكلما ازدادت الحركة ازداد التغير بمدة قصيرة وتغيرت الحركة . اما باتجاه الحياة

الحرية او العكس . فالحرية كما ذكرنا هي غاية الحياة ... ونجد هذا المفهوم لدى بعض الاديان التي تقول : ان الله خلق الانسان على مثال صورته فكما ان : **اللـه الحياة عملية خلق وابداع مستمرين فان غاية الحياة للانسان هو ان يصبح صورة لها . يجسدها ويصبح كائنا مبدعا .. الـه .**

وسوف نبحث فيما بعد بحثا خاصا عن حركة الكائن الانساني كفرد .. أما الان فسوف ندرس حركة كائن المجتمع الانساني . اولا : لان الوجود الاجتماعي سابق على وجود الفرد .

وبما أن عمران المجتمع الانساني يتألف من الافراد الانسانيين ، فان عمرانه يشابه بشكل عام عمران الفرد ، الا أن مضمون هذه الفعاليات تختلف عن مضمون فعاليات الفرد . وسوف نبين فيما يلي مضمونها بالتفصيل .

١ ـ الفعالية العضوية (المادية) :

يمكن معرفة بنود هذه الفعالية عندما نحاول معرفة المادة الاساسية التي يتكون منها المجتمع والتي لا يمكن تصور المجتمع بدونها .

حتما ان أول ما يتبادر للذهن هو (الناس) البشر ، ولكن هذا لا يكفي لتصور معقول لان الناس يرتبطون بأرض يعيشون عليها ويصبح اسمهم (سكانا) . فالسكان هم القاطنون أو المقيمون على أرض معينة . وينقصنا بعد آخر لاضفاء المعقولية على هذا الشكل المختر للمجتمع . وهو الزمن . حيث لا يمكن تصور سكان على ارض معينة دون أن نتصورهم في زمن معين ، وبهذا نكون قد اتينا على فقرات الفعالية المادية للمجتمع الانساني . وهي (ناس ، ارض ، زمن) . وهذا الترتيب تابع لوعينا الاولي للمجتمع الانساني وبتعميق هذا الوعي تنقلب الاية . فالارض وجدت أولا . ثم وجد البشر ، وليس العكس . والارض نفسها وجدت في زمن معين .. اذا فترتيب فقرات الفعالية العضوية حسب تكوينها تنقسم الى : ١ ـ الزمن ـ ٢ ـ الارض ـ ٣ ـ البشر . وهذه البنود مجتمعة تحدد

مادة المجتمع ، وكل بند منها (كائن) يؤثر بالبنود الاخرى حسب حركته العامة والخاصة والبنود كلها تؤلف (كائن) (مادة المجتمع) ، وهو يؤثر على الفعاليتين العقلية والروحية من خلال كل كائن (بند) من كائناته الثلاثة **زمن ارض سكان** .

٢ ـ الفعالية العقلية :

ويعبر عنها : بحاجة المجتمع الانساني الى التنظيم . ترى ما هي البنود الاساسية (الكائنات الفرعية لهذا الكائن العام) .. اي ما هي الاشياء التي تجعل المجتمع الانساني فعالا منظما ؟؟

حتما ان اول ما يتبادر للذهن هو **العلم** الذي به توضع الخطط ، ومن ثم **العمل** لتنفيذ العلم ، ولولا هذين البندين (الكائنين) لما اخذت مادة المجتمع الانساني ، وفعاليتها الروحية شكلها المميز عن الكائنات الاخرى . ولكن ترتيب البندين (الكائنين) معكوس ايضا حيث ان الانسان يعمل اولا ، وما العلم والتفكير الا (عملا) .. ويؤثر كل كائن على الاخر ليكون الفعالية العقلية . التي تؤثر على الفعالية المادية والروحية من خلال تأثير الكائنين الفرعيين لها. على الكائنات الفرعية للفعاليتين المادية والروحية .

٣ ـ الفعالية الروحيـة :

ويعبر عن هذه الفعالية بالحاجة لربط المجتمع الانساني بمثل اعلى ليصل المجتمع الانساني الى مرحلة الحرية . ويعبر عن المثل الاعلى بعقيدة معينة تحدد مضمون هذا المثل . وللقيام بعملية ربط المجتمع بهذه العقيدة يحتاج المجتمع الى ادارة . ترعى هذه العقيدة وتحتاج هذه الادارة الى قائد براس هذه الادارة. اذا فالكائنات الفرعية للفعالية الروحية هي حسب الترتيب التالي :

آ ـ عقيدة ، ب ـ ادارة ، جـ ـ قائد .

وحركة هذه الكائنات الفرعيات هي التي تؤلف الفعالية الروحية التي تؤثر

على الفعاليتين العضوية ، والعقلية . من خلال تأثير كل كائن فرعي على كافة كائنات الفعاليات الاخرى .

والفعاليات الثلاث هي التي تؤلف المجتمع الانساني ، وتميزه عن غيره من الكائنات ككائن عام وتميزه ككائن خاص عن غيره من المجتمعات الانسانية ويختلف المجتمع عن مجتمع اخر حسب حركة الفعاليات الثلاث العامة والخاصة .

وسوف ندرس هذه الحركة مفصلا بعد أن نقدم تعريفا وجيزا لكل كائن من الكائنات الفرعية العائدة لفعاليات المجتمع الانساني .

تعريف الكائنات الفرعية
لفعاليـــات المجتمـع الانســاني

١ ـ الزمن :

هو اصطلاح يطلق على حركة مهما كان نوع هذه الحركة . وزمن الكائن يعين مكان الكائن في ترتيب حركته العامة وترتيب حركتـه الخاصـة حسب القانـون الحيوي للكائنات . والقانون الحيوي للكائن نفسه .

٢ ـ الارض :

ونقصد بها هنا ما يعبر عنه باصطلاح الطبيعة من بحار وغابات وحيوانات وصحارى وسهول .. وطرق مواصلات ومعادن . وما ينتج عن حركة الارض حول الشمس وحركة القمر حولها كالضغط والحرارة والزلازل والفيضانـات والجدب الخ ..

٣ ـ البشر :

المقصود بالبشر هو الكائنات الانسانية وما يطرأ على وجودهم من احوال كالهجرة والاقامة وولادة وتكاثر ووفيات ونسبة الانجاب ، ونسبة الذكور الى الاناث وحجمهم وتوزعهم على الارض وطبقاتهم .

٤ ـ العمل :

هو الحركة التي تعطي الحياة الانسانية شكلها المميز نوعا ما عن بقية الكائنات .. ويكون اما عملا بدائيا ، او متقدما ، أو آليا ، فرديا ، أو جماعيا ، عامـا ، أو متخصصا ، منتجا للمادة أم للعقل أم للروح . ويخضع الانتاج (العمل) الى القانون التالي :

١ ـ الرغبة الضرورية لوجود الانتاج .

٢ ـ امكانية ايجاد هذا الانتاج .

٣ ـ العمل لايجاد هذا الانتاج .

ويعبر عن هذا القانون باصطلاح (قانون التجربة) .

٥ ـ العلم :

وهو عمل فكري وقدرة عقلية على تحويل العالم المدرك الى رموز ومن ثم اعادة هذه الرموز الى الواقع بالشكل المراد ويعتمد العلم على اللغة والاعداد . ويخضع لقانون التجربة واطواره الثلاثة : (آ) ـ الرغبة الضرورية للايجـاد ، (ب) امكانية الايجاد ، (جـ) العمل للايجاد .

٦ ـ العقيدة :

هي مجموعة الافكار والاعمال التي تندرج تحت المثل العليا : الحق ـ الخير ـ الجمال . فالعقيدة تنقسم الى ثلاثة اقسام :

أ ـ التجربة الاولى تجربة (الحق) ويعبر عنها بقضية المعرفة .

ب ـ التجربة الثانية تجربة (الخير) ويعبر عنها بقضية العمل (الحلال والحرام) .

جـ ـ التجربة الثالثة تجربة (الجمال) ويعبر عنها بقضية الخلق والابداع.

وكل تجربة تؤثر على الاخرى ككائن فرعي . كما أن التجربة نفسها تخضع لقانــون التجربــة .

٧ ـ الادارة :

هي الجهاز الذي يقود تجربة المجتمع العامة وتختلف اشكالها باختــلاف التجارب التي تقودها وتتمتع الادارة بقوة يعبر عنها بالسلطة تظهر في الحروب الداخلية والخارجية .

٨ ـ القائــد :

هو الذي يقود الادارة حسب نوعية التجربة التي يمثلها فقد يكون قائــدا علميا ، أو سياسيا ، أو فكريا . . . الخ .

وبعد ان اوضحنا ما نقصده بهذه الكائنات الفرعية لكائن المجتمع الانساني العام . فاننا سوف توضح حركة كل كائن لنعرف بالتالي حركة المجتمع الانساني.

الفعالية المادية

آ ـ الزمن :

ذكرنا سابقا أن المجتمع ككائن عام يخضع للقانون الحيوي للكائنات فالمجتمع يتحرك باتجاه الحياة الحرية أو العبودية. وتحركه سيغير تركيب حركته الاولى **اما باتجاه الحياة الحرية او باتجاه العبودية** ، وتغير التركيب سيغير الحركة باتجاه يناسب عمران المجتمع الجديد ، وهذه الحركة تغير المجتمع من جديد وهكذا .

وكلما ازدادت سرعة احتكاك بنود فعاليات المجتمع ببعضها كلما قصرت وتقلصت المدة بين الحركة وتغير التركيب ويتضح هذا من خلال قانون الفرد الذي سيأتي لاحقا وهو أن الانسان الذي يعمل بدأب ونشاط واهتمام متواصل يشعر ان نهاره (او عامه أو عمره) قصيرا وان الانسان الذي لا يعمل ويقضي ايامه خمولا وبطالة يجد الزمن بطيئا ثقيلا بعكس الاول الذي يجد الزمن يلتهم اللحظات التهاما.

وسوف ندرس فيما يلي تأثير الكائنات الفرعية للمجتمع الانساني على حركة كائن المجتمع الانساني ككائن خاص له شخصيته المتميزة عن باقي الكائنات ، وسوف نوضح تأثير كل كائن فرعي على الزمن بثلاث حالات . حسب الاتجاهات التي يمكن ان تتجه اليها حركة كائن المجتمع الانساني .

١ ـ باتجاه الحياة ـ ٢ ـ باتجاه المعاكس العبودية ـ ٣ ـ حالة السكون والخمول وهي عبودية .

ـ **تأثير الارض على الزمن** : لولا وجود **الارض** لما كان هناك زمن بالنسبة للمجتمع الانساني ، لان الزمن يقترن بالوجود . ويأخذ المجتمع قياساته الزمنية من حركة الارض حول محورها وحول الشمس ، وحركة القمر حولها ، وحركة المجموعة الشمسية ، وحركة المجرة كلها ضمن الفضاء الكوني . وعن بعض هذه الحركات . اصبح لدينا مفهوم القرن والسنة والشهر واليوم والنهار والليل

والساعة والدقيقة والثانية ... وتؤلف الارض جملة مقارنة خاصة يقاس الزمن العام بدلالتها .

فيما يلي سنوضح تاثير الارض على زمن المجتمع .. حركته .. واتجاه هذه **الحركة .. حيث نجد ان الارض ذات المشاق والظروف المتغيرة والتي فيها بعض القسوة تؤثر على حركة المجتمع باتجاه الحرية . اما الارض التي لا يتوفر فيهـا هذه العوامل فان حركته تكون راكدة او باتجاه العبودية وفيما يلي امثال لكـل حالـة .**

حيث نجد ان الحضارة السندية في سيلان قد قامت في النصف غير المطر من الجزيرة ونجد ان حركة المجتمع في تدمر وبصرى (وهما في الصحراء السورية) كانت اقوى من حركة المجتمع في مناطق خصبة مجاورة كنهر العاصي وبردى .

وكذلك الامر بالنسبة لانكلترا الجديدة التي كان ينبعث منها حركة قوية تؤثر على كافة حركات امريكا الشمالية وتعتبر انكلترا الجديدة من اكثر اجزاء القارة الاوربية كآبة وجدبا .

واثرت المدن اللاتينية في مقاطعة كامبانا الرومانية ــ وكانت حتـى وقت قريب مباء للملاريا .

بدور عظيم في حركة المجتمع الروماني بعكس الدور الضئيل الذي قامت به (كابوا) والتي تتمتع بمركز ممتاز .

ونجد في المقابل ان اهالي نياسالند الذين يعيشون في أراض ميسرة فيهاجميع انواع الغلال .. بقوا متوحشين بدائيين حتى وفد اليهم غزاة أوربة القاسية المناخ.

ويصف اهالي نياسالند احد المراقبين من نصف قرن مضى « تختفي قرى الوطنيين الصغيرة بعيدا في هذه الغابات اللانهائية مثل اعشاش الطيور في الدغل ترهب احداها الاخرى وتخشى عدوها المشترك تاجر الرقيق .. ويسكن هنـا البدائي من غير ملابس ولا حضارة ولا تعليم ولا دين ، لا فكر لديه ولا هم .. لكنه

راض وتبدو سعادته كاملة .. ليست لديه احتياجات تقريبا ، كثيرا ما يلام الافريقي على نزوعه الى الكسل الا أن في ذلك سوء استخدام للالفاظ فانه لا يحتاج الى العمل ومن ثم فان تراخيه كما يقال هو جزء من شخصيته فعلا مثل انفه المفرطحة .. ولا يستحق عليه اي لوم .. مثله مثل البطء في السلحفاة ، »
ونشهد مثالا اخرا على أن التغير وقسوة الظروف تؤثر على حركة المجتمع باتجاه الحرية بمثال . ناخذه من الصين . حيث نجد ان حركة المجتمع الصيني قديما كانت سريعة ، وقوية على ضفاف النهر الاصفر (هوانج هو) ، ولم يكن هذا النهر صالحا للملاحة في اي فصل ، وكان يتجمد خلال الشتاء ، وكان ذوبان الثلوج في الربيع يحدث فيضانات مدمره ، وتغير باستمرار خط سير النهر عن طريق نحت مسالك جديدة له بينما تستحيل المسالك القديمة الى مستنقعات تغطيها الادغال .. وحتى اليوم وبعد انقضاء ثلاثة او اربعة آلاف سنة من الجهد البشري لتصريف المستنقعات وحصر النهر في نطاق جسور لم يتأت بعد التخلص من فعل الفيضانات المدمرة ، والى وقت قريب في عام ١٨٥٢ حدث أن غير (الهوانج هو) طريقه كلية فانتقل الى مصبه في البحر من الناحية الجنوبية الى الناحية الشمالية كشبه جزيرة (شانتونج) لمسافة تزيد على مائة ميل ، وبالمقارنة فاننا نجد ان حركة المجتمع كانت بطيئة على ضفاف (اليانجتسي) . مع انه كان صالحا للملاحة في كافة الفصول تقريبا ، وكانت فيضاناته اقل عنفا .

ولكن اذا اشتدت القسوة فانها قد تهدد حركة المجتمع بالجمود أو تجمده فعلا .

وهذا مانراه لدى البولونيزيون والاسكيمو والبدو .

حيث تحرك مجتمع كلا من هؤلاء الى حد لم يستطع ان يستمر فيها فمثلا البولونيزيون حققوا عملا فذا قوامه الانتقال بين جزائر المحيط الهادي الا ان المحيط قد هزمهم في النهاية فكان ان انكفأوا الى حياتهم البدائية على جزائرهم البعيدة المنعزلة .

وكذلك الامر بالنسبة للاسكيمو حيث تحرك مجتمعهم باتجاه الحرية الى

درجة كبيرة على الاقل اكبر من حركة مجتمع الهنود في أمريكاالشمالية، واستطاعوا العيش حول شواطيء المحيط المتجمد الشمالي وفوق الثلج خلال الشتاء .

وكذلك الامر بالنسبة للبدو عندما تحل عليهم فترات الجفاف ، فان بعضهم يترك الصيد ، ويتطور الى الزراعة . قبل ان يصبح فيما بعد بدويا حيث تذكر ابحاث بعثة (بامبلي) الامريكية ان الزراعة مرحلة تسبق مرحلة البداوة .

اي ان :

الجفاف البسيط يحولهم الى مزارعين وهذه الحركة باتجاه الحرية لدى مقارنتها بالصيد ولكن عندما يزداد الجفاف فان المجتمع يصبح بدويا والبداوة في جوهرها مجتمع بلازمن بلاتاريخ ويقول توينبي انه بمجرد انطلاق القبيلة البدوية في مدارها السنوي تظل تدور فيه وقد تستمر في الدوران الى الابد ان لم تظهر قوة خارجية لا تملك حيالها شيئا فتوقف حركتها وتنهي حياتها .

فالارض اذا تؤثر تاثيرا كبيرا على حركة المجتمع الانساني وذلك على درجات ارض تؤثر باتجاه الحرية واخرى باتجاه العبودية او توقفه وتجمده وهذا ايضا نوع من العبودية .

ويمكننا ضرب مثل آخر على هذا الشيء هو اننا نجد أن حركة المجتمعات الاسكندنافية كانت كبيرة .. في ايسلندا لافي النرويج او السويد او الدانمارك وتجلت الحركة في الادب (عقيدة) والسياسة (ادارة) . مع أنها اكثر جدبا واشد قسوة من اولئك .. ولكن لو ان الرجال الشماليين قد ارتحلوا مسافة ٥٠٠ ميل واستقروا في بلد تبلغ شدته بالنسبة لايسلند مثل نسبة شدة ايسلند بالنسبة الى النرويج فان حركة المجتمع ستقف حتما وهذا ما جرى بالنسبة الى المجتمع الذي استوطن جريلند .

ويجب أن نشير الى تاثير الارض ككائن متحرك على عمران المجتمع .. فمن المعروف أن المجتمع الانساني يعيش ضمن ظروف معينة اذا انعدمت تنعدم حركته .. فمثلا المجتمع الانساني الحالي يعيش في اعقاب المد الجليدي الرابع حيث يقول

الجولجيون انه مر على الارض عدة ادوار اكتسح فيها الجليد الارض وتحدد عصر الجليد الاول بـ ٥٠٠,٠٠٠ عام قبل الميلاد والمرحلة الاولى التي توسطت عصرين جليديين تقع بين سنة ٤٧٥,٠٠٠ قبل الميلاد وعصر الجليد الثالث يقع منذ عام ١٧٥,٠٠٠ عام قبل الميلاد ونحن نعيش الان في مرحلة اعقبت عصرا جليديا لم يحسب تاريخ نهايته حسابا دقيقا ونعمل كافة اعمالنا دون ان نفكر بانه قد يرجع المد الجليدي المجتمعات الانسانية ويجمد حركتها .

وهناك حركات تحدث تغيرات في القشرة الارضية ، فتنهض جبالا ، وتغمر بلادا بالمياه ، وتفصل بلادا عن العالم ، أو تصلها ، وتخصب ارضا ، أو تجدبها . فبينما كان الثلج يغطي أوروبا الشمالية حتى اقصى سلاسل جبال المانيا الشمالية وكانت الثلوج تتوج جبال الالب ، والبرانس عمل الضغط العالي للقطب الشمالي على اسالة الزوابع المطرية . تجاه الجنوب ، وكانت الاعاصير التي تخترق أوربا الوسطى تمر في ذلك الوقت فوق حوض البحر الابيض المتوسط ، وشمال الصحراء الكبرى وتستمر في طريقها (دون أن تعتصرها جبال لبنان ، مارة عبر العراق وعبر بلاد العرب الى فارس ، والهند . فكانت الصحراء الجدباء تنعم في ذلك العهد بهطول الامطار بانتظام بينما كانت الامطار في المنطقة الابعد من ذلك شرقا اعظم بغزارة عما هي عليه الان ، بل وموزعة على مدار السنة كلها ولا يقتصر سقوطها على فترة الشتاء كما هو الحال في الوقت الحاضر .

ويقول توينبي : وتبعا لذلك كان يجب ان نتوقع ازدهار الحدائق ، والاحراش في شمال افريقيا ، وبلاد العرب ، وفارس ، ووادي السند على غرار ازدهارها اليوم في شمال البحر الابيض المتوسط ، وبينما كان الماموث(١) والخرتيت المشعر والرنة ترعى هنا ، وهناك في فرنسا وجنوب انجلترا كانت تعيش في شمال افريقيا حيوانات توجد اليوم في منطقة الزمبزي بروديسيا وكان من الطبيعي ان تكون المراعي البهيجة في شمال افريقيا ، وجنوب اسيا كثيفة السكان مثل سهول أوربا

(١) حيوان منقرض من فصيلة الفيل .

الحالية ، وبديهي ان نقدر ان حركة المجتمع الانساني كانت في هذه الارض باتجاه الحرية لكن المنطقة الافرو اسيوية اخذت عقب نهاية عصر الجليد تكابد تغيرا في احوالها الطبيعية مبناه اتجاهها نحو الجفاف لتتغير الحركة .. حسب الوضع الجديد .

ومما تقدم اتضح لنا ان الارض تؤثر على اتجاه حركة المجتمع باتجاه الحرية او العبودية وضربنا امثلة لذلك .

ـ تاثير السكان على الزمن :

ان لكائن السكان تأثيرا مماثلا لكائن الارض ، ويمكن ملاحظة اثاره على حركة المجتمع الانساني بصورة أوضح .. وذلك من خلال تأثير كائناته الفرعية على الزمن ، والتي سندرسها فيما يلي :

١ ـ تاثير حجم المجتمع على الزمن :

يؤثر حجم المجتمع على الزمن تأثيرا يتصل بكونه كبيرا ، او صغيرا **فالمجتمع الكبير يؤثر على اتجاه حركة المجتمع الى الامام وذلك لان المجتمع الكبير لديه قدرة على الحركة أكثر من المجتمع الصغير . ونجد ان المجتمعات ذات** الحركات المتميزة في الاتجاه هي مجتمعات كبيرة .. بعكس المجتمعات الصغيرة ويؤثر على هذه القدرة عوامل ستذكر في بحث كائن السكان .

٢ ـ تاثير نسبة الولادة والوفيات على الزمن : كلما كانت نسبة الولادات أكثر من نسبة الوفيات كان المجتمع اقدر على الحركة باتجاه الحرية .

٣ ـ تاثير الاجل المتوسط على الزمن :

يؤثر كبر وصغر الاجل المتوسط على حركة قانون المجتمع تأثيرا يتضح من خلال معرفتنا ان الانسان لا يستطيع اداء دوره في حركة المجتمع الانساني الا بعد ان يصل الى سن معينة لا تقل عن الخامسة والعشرين فاكثر .. حيث اننا نجد

انه كلما امتد عمره كبر الدور الذي يمكن ان يقوم به . ولدى اطلاعنا على نسب الاجل المتوسط . في المجتمعات نجد ان حركة المجتمع الانساني اكثر نشاطا منها في المجتمعات ذات الاجل المتوسط الصغير . ودليل ذلك اننا نجد في المجتمعات البدائية قلما كانوا يصلون الى سن الرشد . وفي القرون الوسطى ارتفعت النسبة فاصبحت من ١٥ ـ ٢٠ سنة وفي بداية العصور الحديثة كانت ٢٢ أما في العصر الحالي فانه يصل حتى ٦٥ و ٧٠ في بعض المجتمعات . لذلك نجد أن حركة المجتمع تتحرك بسرعة ونشهد في كل لحظة تقريبا تغيرا يطرا على كل بند من بنود المجتمع باتجاه الحرية .

٤ ـ تاثير الطبقات على الزمن :

وللطبقات معنى اخر في نظريتنا سيأتي ذكره عندما نبحث كائن السكان . الا اننا سنستعرض الان أثره بشكل عام حيث نجد ان كثرة الطبقات في المجتمعات تجعله متخلخلا وتبقى حركة المجتمع الانساني في مكانها ولا يمكن ان تحدث حركة فيه الا عندما يقل عدد الطبقات ويقسم المجتمعات الى عدد قليل من الطبقات ينقسم اليها المجتمع انقساما متفاوتا فتستطيع طبقة ما التغلب على كافةالطبقات **الاخرى والحركة مرهونة بقدرة طبقة على السيطرة علىالموقف..بالصراعالمادي او الفكري .. وقد عبر عن هذا الوعي ماركس والمفكرون الاشتراكيون وهذا الصراع يؤدي الى شدة تفاعل بنود فعاليات المجتمع الانساني وتؤدي الى سرعة حركة التغير في عمرانها وتغير اتجاه حركة العمران الجديد .**

وعندما يسود المجتمع طبقة واحدة فان حركة المجتمع تكون اقل حدة واكثر بطءا .

٥ ـ تاثير الهجرات على الزمن :

لماذا تؤثر الهجرات على الزمن .. ان الهجرة هي حركة مجتمع معين الى

مجتمع آخر (أو مكان جديد) وبما أن حركة المجتمعين (أو المجتمعات) تختلف عن الاخر فان ذلك سيدعو الى الاحتكاك المباشر بين الحركتين .

ومن جهة اخرى فان المهاجرين عادة هم الشباب وبخاصة اذا كانت المسافة بعيدة ولو نظرنا الى اهم الحركات التي جرت في حركة المجتمع العامة نجدها نتيجة هجرة .. داخلية كانت ام خارجية ومثالنا على الهجرة الداخلية هو هجرة الفلاحين الى المدن وقيام مدن القصدير . اما الهجرات الخارجية فيكفي ان نسوق امريكا دليلا حيث ان امريكا قبل الهجرة لم تكن موجودة أصلا ... وكلما ازداد حجم الهجرة كلما ازدادت حركة المجتمع تسرع وتقصر المدة بين تغير عمران المجتمع وحركته الجديدة .

والهجرات قديمة قدم الزمن كالهجرات السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية والهجرات التي تعقب الكوارث الطبيعية والجفاف . والهجرات التي تحدث نتيجة المظالم الاجتماعية والهجرات الدينية والهجرات التوسعية ، كهجرات قرطاجنة السورية وسيراكوز الهيلنية من مدينتي (صور و كورنث) ، والهجرات الاستعمارية الاستيطانية كهجرة اليهود الى فلسطين والاوربيين الى افريقيا .

٦ ـ تأثير العمل على الزمن :

وقد مر معنا تعريف العمل بأنه هو الذي يميز المجتمع الانساني عن غيره ككائن عام وذكرنا ان للعمل اشكالا مختلفة بمجموعها اما باتجاه الحرية او العبودية او جامدا وكلما كان العمل قويا كانت الحركة باتجاه الحرية ، فالمجتمع الذي تزداد فيه البطالة هو مجتمع حركته باتجاه العبودية .. ومثال ذلك الصين حيث نجد ان حركتها الان باتجاه الحرية وذلك لازدياد حجم العمل وجودته . بينما كانت في الماضي جامدة أو باتجاه العبودية وتزداد الحركة باتجاه الحرية كلما ازداد العمل الذي يلبي الفعالية الروحية .

٧ ـ تاثير العلم علـى الزمن :

ان الزمن كمفهوم هو من انتاج العقل الانساني وقد تغير معناه مع تقدم حركة العلم .. فقد كان الزمن ــ سابقا ــ مطلقا لا يؤثر فيه مؤثر ويعبر عنــه بكلمــة (الازل النمطية) ومن ثم اصبح نسبيا بالنسبة للجملة المقارنة ومن ثم اصبح بعدا من ابعاد الكائن ودليلا لموقعه في القانون الحيوي للكائنات واصبح بفضل العلم ايقاف الزمن بالنسبة لبعض الكائنات وذلك بعد أن عرفنا عوامل الزمن ومثلا يمكن ايقاف الزمن أو تمديده بالنسبة للانسان وذلك بخفض درجة حرارة الجسم الانساني وتستعمل هذه الطريقة على نطاق واسع في عمليات جراحة القلب حيث تطــول الفترة المسموحة لتخليص المخ البشري من الدم من ٣ ــ ٥ دقائق الى ١٥ ــ ٢٠ دقيقة واحيانا اكثر .. مايسمح بفصل القلب لوقت مناسب عن الدورة الدموية لاجراء الجراحة اللازمة عليه ويستطيع العلماء بواسطة تبريد قشرة النصفين الكرويين لمخ الانسان فصلهما عن الدورة الدموية وذلك لاعطاء الفرصة اللازمة لاجراء الجراحات على القلب الجاف لمدة ٣٠ دقيقة وقد قام العلماء السوفييت بتصميم جهاز خاص لتبريد راس الانسان يسمى (هيبو ثيرم) أجريت بمساعدته كثيرا من العمليات الجراحية .

وفي تجربة اجريت على احد الفئران الجبلية حيث اخفضت درجة حرارته الى درجة ١٦ درجة لمدة ساعة وربع فتحول الفأر الى ما يشبه قطعة الثلج وتوقف الزمن بالنسبة له وقد دفيء بعد ذلك فتمكن من الحركة في اليوم التالي وبمرور شهر ونصف على هذه التجربة عاد الفار كما كان قبل التجربــة .

وقد اجريت الكثير من التجارب المماثلة ووجد انه عندما خفض درجة حرارة احد الفئران فان نبض القلب يقل من ١٠٠ ــ ١١٣ الى ٧ ــ ٥ نبضات وتقــل حركات التنفس من ١٠٠ ــ ٢٠٠ الى ٤ ــ ١ حركة في الدقيقة .

ومما سبق يتضح أن العلم اصبح بمقدوره التكيف بالحركة لذلك نجد ان

المجتمع الذي يكثر فيه العلماء والمخططون تتجه حركته باتجاه الحرية بصورة عامة ونجد أن الدول اذا ارادت ان توجه حركة المجتمع باتجاه العبودية أو تجمده فانها تستعين بالعلماء والمخططين لوضع خطة علمية لهذا الهدف . وهذا مـا تفعلـه المخابرات الاميركية المركزية .

ويزداد تأثير العلم على الزمن كلما ازداد نضوجا وعمقا ..

٨ ـ تأثير العقيدة على الزمن :

لقد سبق وذكرنا ان العقيدة تضم ثلاث تجارب : المعرفة ، العمل ، الخلق. والعقيدة كأي كائن فرعي من كائن المجتمع الانساني تتأثر وتؤثر على فعاليـات المجتمع وتأثيرها على الزمن واضح حيث نجد الزمن يتمدد لدى المجتمعات التي تؤمن بعقائد تدعو للزهد والتصوف والاقلاع عن الحياة الدنيا .. ونلاحظ ان الزمن يبطؤ في هذه المجتمعات ويلاحظ ان ركود المجتمعات وخمولها مقترن بشيوع النظريات الانهزامية والانعزالية بينما نجد ان الزمن يتحرك بسرعة في المجتمعات التي تؤمن بعقائد تدعو الى العمل والانطلاق للحياة . فاتباع العقيدة الاسلامية مثلا في البداية كانوا يدعون للعمل والانطلاق للحياة لذلك نجد ان حركة المجتمع كانت سريعة ولكن عندما اصبح اتباع العقيدة الاسلامية يدعون للزهد والاقلاع عن الحياة تباطأت حركة المجتمع واصبح راكدا كالمستنقع ونفس الشيء بالنسبـة للعقيدة المسيحية وغيرها وتأخذ حركة المجتمع وجهتها باتجاه الحرية او العبودية من العقيدة **فكلما كانت العقيدة ملتصقة بالحياة كلما كانت حركة اتباعها باتجاه الحياة والعكس صحيح .**

واذا أردنا بيان أثر كل تجربة من تجارب العقيدة الثلاث لوجدنا أن :

أ ـ المعرفة تؤثر على حركة المجتمع باتجاه الحرية او العبودية حسب درجة المعرفة والمجتمعات البدائية تكون فيها المعرفة غامضة مبهمة خاطئة فنجد انـه يتفشى في عقائد اسطورية بعيدة عن ارادة الحياة ..

ب ـ العمل (الحلال والحرام) يؤثر تأثيرا واضحا على حركة المجتمع فنجد

ان للتشريع ، أثرا كبيرا على اتجاه حركة المجتمع ودرجة سرعتها وكلما كان التشريع موائما لارادة الحياة كلما كانت حركة المجتمع باتجاه الحرية والعكس صحيح . ولو بحثنا عن تشريع مجتمعين احدهما متقدما والثاني بدائيا لوجدنا أن تشريع المجتمع المتقدم يساعد على تحقيق شروط وجود المجتمع أكثر من الثاني . فمجتمع يشجع العلم والتجارب العلمية يختلف عن مجتمع تشريعه يسمح بواد البنات وأكل لحم الانسان .

جـ - ويؤثر (الخلق) تجربة الجمال على اتجاه حركة المجتمع حيث نجد انه كلما ازداد الخلق والابداع كلما ازداد اقتراب المجتمع الانساني من ارادة الحياة الحرية .. الله .

ونلحظ هذا الشيء في مجتمع يفسح المجال للخلق والابداع بكل المجالات الى مجتمع يمنع الخلق ويحصره بالتقليد والترديد الببغائي .

٩ - تأثير الادارة على الزمن :

ذكرنا بالتعريف أن الادارة هي الجهاز الذي لديه القوة لادارة المجتمع ويختلف تأثير الادارة على اتجاه حركة المجتمع حسب نوعية وقوة الادارة وبصورة عامة **كلما كانت الادارة تعني بامور المجتمع كلما كان اتجاه الحركة الى الحرية ...** وتحتاج الادارة كي تعنى بأدق الشؤون لمجتمعها الى قوة وهذه القوة هي التي تجسد قدرة المجتمع .. وهناك عوامل عدة تبرز هذه الخبرة أو تخفيها .. وتتجلى هذه القدرة بالثورات الداخلية وبالحروب مع المجتمعات الاخرى . ولو بحثنا في حركة المجتمع الانساني المتجهة الى الحرية لوجدنا انها حدثت خلال ايام قلائل هي أيام الثورات .. فكلما كانت الادارة ثورية كلما كانت الحركة باتجاه الحرية .. **والثورية هي استلهام ارادة الحياة بصدق والعمل على تحقيق هذه الارادة باقصى جهد .**

والمجتمع الخالي من الثورات تكون حركته راكدة وهذا عبودية ، وكلما

ادرك الانسان سوء وضعه ازداد ادراكه لضرورة الثورة .. وازداد احتمال حدوثها.

وكثيرا ما تكون الهزائم مدعاة لليقظة والانتفاض والثورة .. وهناك الكثير من الامثلة على ذلك .. حيث نجد أنه عندما داهم البرابرة روما وكان يتوقع أن تنهار روما بضربة واحدة ويضيع مالها من نفوذ وسلطان واذا بها تستفيق من النكبة وان تستطيع أن تشتبك بنجاح تام في التحلمات اطول مدى واعظم مشقة مع جيرانها الايطاليين مما ادى الى بسط سلطانها على ايطاليا بأجمعها .

وكذلك الامر بالنسبة للعثمانيين حيث أنهم عندما كانوا على وشك استكمال غزوهم لمقر المسيحية الارثوذكسية الرئيسي في شبه جزيرة البلقان اتتهم صاعقة طرحتهم ارضا وهم في تلك الفترة الحرجة ـ من بلاد ما وراء النهر حيث استطاع تيمورلنك أسر (بايزيد بالديريم) في موقعة أنقرة وكان ينتظر أن تنهار امبراطوريتهم غير المكتملة انهيارا كاملا الا ان هذا لم يحدث بل ازدادت حركة المجتمع واستطاع محمد الفاتح بعد نصف قرن ان يستولي على القسطنطينية . وتبين تواريخ منافسي روما الفاشلين كيف يترتب على هزيمة ساحقة اشتداد عزيمة جماعة وتحرك فعالية مجتمعهم بسرعة فائقة مع أنهم قد يهزمون مرة ثانية .. ومثال ذلك (قرطاجنة) في حربها الاولى مع روما حيث قام (هاميلكاربارکا) القرطاجي بالاستيلاء لحساب بلده على امبراطورية في اسبانيا فاقت التي فقدتها في صقلية فعلا .. وقد ادهش القرطاجيون العالم مرتين حتى بعد هزيمة (هانيبال) وذلك بسرعتهم في تسديد تعويضات الحرب واستعادتهم لرواج تجارتهم والثاني بالبطولة التي اظهروها رجالا ونساء واطفالا في القتال والموت في الصراع النهائي .

وهذين الامرين يتطلبان حركة عنيفة في المجتمع تقوده ادارة منظمة .

وهناك مثال آخر حيث نجد أن (فيليب الخامس المقدوني) كان ملكا اقرب الى التفاهة ولكنه عندما هزم في موقعه (سينوسيفالي) ، فانه كرس نفسه لمهمة تحويل بلاده الى دولة بلغت من القوة الفعلية قدرا اتاح لابنه (برسوس) تحدى

روما بمفرده ، وكان قريبا من التغلب عليها قبل أن تنهار مقاومته العنيفة النهائية في موقعة (بيدنا) .

فالهزائم تؤدي اذا الى تحرك المجتمع ، وتنشيط فعالياته ، ويجب أن لا تكون الثورات ، أو الهزائم قاسية جدا ، والا ، فان الحركة تتجه نحو العبودية .

فمثلا تدخلت ادارة المجتمع النمساوي في حروب ضد ادارة الثورة الفرنسية، فجلب لها تدخلها في المرات الثلاث الخزي فضلا عن الهزائم .

لكنها اخذت بعد موقعة (استرليتيز) تزيد في حركة مجتمعها باتجاه الحرية ومعركة (سينو سيفالي) في مقدونيا تماثل (الاسترليتيز) ، لكن هزيمة (بيدنا) لم تكن مثل هزيمة (واجرام)(١) حيث بقي هناك طاقة في المجتمع النمساوي ، ولتبدأ الحركة من جديد والتدخل من جديد والانتصار عام (١٨١٣).

والشيء نفسه يمكن أن يطبق على حالة المانيا خلال الحربين العالميين الاول والثاني .. ، **وقد قال الاستاذ زكي الارسوزي قولا طريفا مؤداه ان روسيا وامريكا وانكلترا وفرنسا ... يواجهون خطرا واحدا هو خطر انتفاض المانيا من جديد .**

ومثال اقرب نأخذه من واقعنا حيث **ان قوى الثورة العربية لم تكن لتوجد بهذا النشاط لولا وجود الاستعمار** .. ممثلا باسرائيل .. ويمكن ان يتضح ذلك عندما نتخيل انه لن يستعمرنا أحد ولم تنشأ دولة اسرائيل في قلبنا .. لا بد اننا لم نكن لنعني بتنشيط فعالية مجتمعنا كما هي الحال الان لكي نزيل هذا الخطر .. هذا الضار ..

ونعتقد أن زيادة الحدة والقتال .. فيما بيننا وبين الاستعمار ستزيد من توجيه حركة المجتمع العربي باتجاه الحرية .

---

(١) قرية قريبة من فيينا بالنمسا حدثت بها في تموز ١٨٠٩ موقعة هزم فيها نابليون النمساويين .

ـ تأثير القـائد عـلى الزمن :

بما أن القائد هو الذي يقود الادارة ، وبالتالي يقود حركة المجتمع ، فانه من البدهي أن يكون للقائد تأثير على حركة المجتمع . وذلك حسب قوة القائد ونوعيته وقد يكون قائدا عاما حكوميا ، أو قائدا علميا . واغلب حركات المجتمع الانساني انما تعود الى بعض القادة الذين لا يشكلون نسبة تقارن بمجموع البشر .. ويعتقد الفيلسوف (**كارليل**) أن سبب تقدم المجتمع الوحيد هو القائد ، ويقول (**برجسون**) أنه من العبث الاعتقاد بأن التقدم الاجتماعي يأخذ مكانه بنفسه تدريجا حالة المجتمع الروحية ابان فترة معينة من تاريخه ، وانه حقا قفزه الى الامام لا تتم الا عندما يحزم المجتمع امره للقيام بتجربة ، وهذا يعني أن المجتمع لا بد أنه قد سمح لنفسه **بالايمان ، أو هيا نفسه على الاقل لان تصيبه رجات ، وهذه الرجات يحدثها دائما شخص ما))** .

وفي راي برجسون ان ذوي النزعات الصوفية هم باصلهم العبقريات المبدعة ويعبر في بعض اقواله عن فهم عميق عندما يقول بان القائد هو ارادة الحياة ويسير باتجاه وثبة الحياة . ويدفع حركة المجتمع باتجاه الامام حيث يقول ((لا تتوقف نفس الصوفي العظيم . أثناء عملية الانجذاب الصوفي اذ ليس ذلك خاتمة المطاف)) ، ولقد تدعى حالة الانجذاب بأنها حالة سكون ، لكنها في الواقع سكون قاطرة تقف في محطة مع استمرار دوران محركها تحت ضغط البخار ، وهي تهتز أثناء وقوفها منتظرة اللحظة التي تثب فيها الى الامام . لقد احس الصوفي العظيم بأن الحقيقة تتدفق عليه من نبعها كأنها قوة جارفة وتنمو رغبته ـ بمعاونة الله له ـ الــى استكمال مشيئته تعالى في تكييف الانواع البشرية .. وفقا لارادته .

ويتجه الصوفي العظيم نفس اتجاه وثبة الحياة . وتلك الوثبة نفسها هي التي باتصالها في كليتها بافراد البشر المميزين الذين تتجه من ثم الى اضفاء طابع تلك على الجنس البشري باسره . ثم .. وهذا تناقض نجدهم على علم به ـ تحويل نوع

من الاحياء – هو بالضرورة شيء مخلوق الى جهد ابداعي ليقيم حركة من شـــيء توقف .

وهكذا نرى ان حركة المجتمع ليست دائرة مغلقة ، اسطوانة تكرر نفسها حيث لا جديد تحت الشمس .. كما يقول المفكرون التقليديون .

وليست ثنائية الاطراف كما يدعــي الماركسيون ، وانها حتما باتجــاه الاعلى، وتمر بشكل حتمي في خمس مراحل هــي (الشيوعيــة البدائيــة ، العبوديــة ، الاقطاعية ، البورجوازية ، الشيوعية) .

فحركة المجتمع ليست ثنائية الاطراف . انما ثمانية يؤثر فيها (١ – الزمن، ٢ – الارض ، ٣ – السكان ، ٤ – العمل ، ٥ العلم ، ٦ – العقيدة ، ٧ – الادارة ، ٨ – القائد) .. وليست الطبقات الا جزءا من كائن السكان ..

لذلك يجب علينا ان نعيد النظر بقراءة التاريخ ونتجاوز الهرطقات الفكريــة التي تجمد حركة المجتمع في صورة صراع طبقي ليس موجودا الا في العقول . التي تدعي العلمية وليس هذا دعوة لوقف الصراع بين الكادح والبورجوازي او الفلاح والاقطاعي انما دعوة لتوسيع الافق . وتفسير هذا الصراع من جهة اخرى ستتضح من خلال شرح البنود الاخرى للقانون الحيوي حيث سيتضح ان اية ظاهرة اجتماعية ان هي الانتاج حركة البنود الثمانية للقانون الحيوي للمجتمع الانساني .

ب ـ الارض

ان الارض ككائن مستقل ، يجب ان ندرسه من خلال القانون الحيوي للكائنات . فالارض كأي كائن تتحرك حسب ارادة الحياة لقوانين حركتها وتحركها بغير عمرانها . حسب اتجاه الحركة ، اما باتجاه الحرية او باتجاه العبودية .. وتغير عمرانها سيغير حركتها . وهكذا ، وهنا يبرز سؤال هام ، هو كيف تكون حركة الارض باتجاه الحياة أو اتجاه العبودية .

في الواقع ان الاجابة على هذا السؤال يقيدها البند الثالث من الاساس المنطقي ، وهو ان العقل الانساني جزء من الحياة وليس كل ، وانه بامكانياته يمكنه أن يدرك ابعاد وجوده الانساني وارادة الحياة لهذا الوجود .. لا أكثر .. وانه يجب ان لا نحشر العقل الانساني بقضايا هي أكبر من ابعاد وجوده . ويمكننا ان نقول مع بعض التحفظ أن اتجاه الحركة نحو الحرية يكون عندما تساهم في خلق الكائن الحي المبدع .. أي الانسان والمجتمع الانساني وأكرر تحفظي هنا مرة اخرى لان الكائن الانساني ليس الا كائنا فرعيا جدا ، ويمكن ان يكون هناك من هو ارقى منه والصق بارادة الحياة في أكوان أخرى .

ويدعم هذا الراي معرفتنا بأن الانساني الحالي ، ما هو الا حركة حدثت في الارض منذ زمن يمكن قياسه تقريبا . وان الانسان كأي كائن يخضع للقانون الحيوي للكائنات أي أن عمرانه الحالي لم يكن كذلك سابقا ، ولن يكون كذلك لاحقا . وبالتالي فان وعينا نسبي كما جاء في البند الاول للاساس المنطقي . وفي هذا البحث سوف ندرس حركة الارض ونعتبر أن اتجاه الحرية هو الذي يؤدي الى تكوين المادة الحية التي انتهت بنا . كبشر .. مع التاكيد بان هذا الوعي نسبي ، ومن جملة مقارنة مستقلة عن كائن الارض . وذلك نوع من الثقة والاعتزاز بالنوع الانساني ، وايمان بان الانسان سيغدو يوما كائنا يوازي ارادة الحياة ويجسدها .

وسوف ندرس الارض من خلال الكائنات الفرعية للفعالية الانسانية .

الارض والزمن :

لقد وجدت العديد من الاراء التي تتحدث عن عمران الارض ولكنها كانت بعيدة عن شروط الحقيقة ، ومخالفة للاساس المنطقي .. حيث تعتبر ان الارض والكون ثابت منذ الازل ، ولكن تحرك حركة المجتمع الانساني باتجاه الحرية جعل هذه الاراء اقرب الى تمثل شروط الاساس المنطقي ولا نقول : وصلت .. وهذه الاراء تكشف عن بعض الوعي للقانون الحيوي للكائنات حيث تعتبر ان الارض حادث في زمن معين نتيجة عوامل معينة .

وتنقسم هذه الاراء الى رايين اساسيين ، احداهما يدعى بنظرية النجم الاخر ويقول اتباع هذا الراي : ان اقتراب نجم عابر ذو جاذبية عن الشمس الام . يؤدي الى انفصال بعض اجزائه الخارجية ، وتترك الجسم الاصلي . وتدور بأبعاد متفاوتة حول النجم الجديد حسب قوة جاذبيته وكثافة الاجزاء المنفصلة . وهـذه هـي كواكب مجموعتنا الشمسية السيارة .

والرأي الثاني يدعى بـ : النظرية السديمية ، ومن اهم اعلامها (جورج جاموف) ويؤيدها عدد كبير من العلماء .

وهناك آراء اخرى ربما سيكتشفها العقل الانساني بعد ترقي علوم الفضاء ، وأدوات البحث . وهذه الاراء تعتمد على خلفية لم تكن علمية الا منذ فترة وجيزة على ايدي (بافون ، كنت ، لابلاس) ، مع ملاحظة انها اقتصرت على تعليل نظامنا الشمسي فقط .

ونمى هذه الاراء فيما بعد (كارل فون فيزاكر و جراردكويبر) منذ عهد قريب، وذلك بفضل تقدم حركة المجتمع الانساني باتجاه الحرية .. حيث اكتشف العقل الانساني ان مجموعتنا الشمسية بل ومجرتنا هي جزء تافه من الكون . وقبل ربع قرن أوضح الفلكي الامريكي (ادوين ب. هل بل) بأن المجرات تملأ الفضاء ، وهي في حالة تشتت سريع والذي يعتقد ان مادة الكون كانت يوما ما انضغاطا متجانسا

في قالب كتلة متماسكة من الغاز الحار وهذه المشاهدة ذات العلاقة مع نظرية (اينشتين في النسبية العامة) كان قد فكر فيها العالم البلجيكي الراهب (ادوار لوميتير) .

اما نظرية (جورج جاموف) فانها تقدر عمر الارض بالاستناد الى النظائر المشعة وتقول بأن الذرات التي استحدثت من زمن لا يتجاوز جملة قليلة من ملايين السنين ، وذلك بعد انقباض مادة الكون حيث اصبحت عجينة واحدة تهشمت تهشما كاملا . لتخرج منه الهيولي البدائية المتكونة من نترونات وبروتونات والكترونات ولما بدات الهيولي البدائية بالبرودة عن طريق الانتشار بدأت الجسيمات الاولية (الذرات) تلزم احداها الاخرى مؤلفة كائنات من عقد مختلفة ، وهي بذاتها كانت الطرز البدائية للانوية الذرية التي نشهدها الان ، وفي اثناء ذلك الصهر النووي المبكر كانت حالات في مجموعها مقاربة لتلك التي تكون في مركز قنبلة ذرية متفجرة . وكان الفراغ مفعما بطاقة عالية من اشعاع (غاما) ، وكانت كثافة كتلتها تتزايد كثيرا على كثافة المادة النووية العادية .

اما احرار الكون فكان قرابة بليون درجة حرارية في حين أن كثافة المادة كانت مقاربة لثقل هواء الغلاف الغازي الجوي في الطبقات العليا ، وبدأ هذا الغاز بالانتشار لتتناقص حرارته شيئا فشيئا ، والطاقة المشعة التي كان لها الفعل الثابت في عملية التطور أخذت تفقد اهميتها تدريجيا .

وعند نهاية ما يقرب من ثلاثين مليون سنة تخلت عن أولويتها للمادة الذرية المعروفة ، وبمجرد احتلال المادة الصدر الاول اخذت الجاذبية النيوتونية التي تنطوي على اهم خصائص المادة ذات الثقل تؤثر تاثيرها حيث مزجت الغاز المتجانس وجعلته غيامات عملاقية القدر ومجرات بدائية .

وفي تلك الفترة تناقص الاحرار واصبح حوالي احرار ما يسمى (حرارة الحجرة) وظل الفراغ حارا . واثناء تشتت المجرات البدائية تباعد بعضها عن بعض بفعل الانتشار المستمر ، وبدات المادة التي في داخلها تتكثف لتصير عديدا

من اكداس اصغر حجما سميت (النجوم الاولية) ، وطوعا لصغر حجوم هـذه الانجم نسبيا دلفت نحو الانقباض بسرعة ، وكذلك اسرعت حرارتها الداخلية نحو العتمة التي عندها بدأ التفاعل بين الايدروجين (١) . والعناصر الخفيفة الاخرى ، وبدأت تسطع في الفضاء بعد ان تكثفت مادة المجرات ، وكونت انجما في داخلها .

وكان ينشيء حول مادة النجم بعض المادة حولها ، وقربها ، ومنها خرجت النظامات السيارية (كنظام سيار شمسنا) ، وكانت السيارات من صغر الحجم بحيث عجزت ان تنشيء مصادرها الخاصة من الطاقة النووية فبردت بسرعة ، ونشأ منها قشرة صخرية صلبة ، والارض هي من هذه السيارات . وبعد ان استعرضنا راي جاموف عن حركة الكون وكيف تشكلت المجرات (ويقال : انه يوجد في كوننا ٢٠٠ بليون مجرة) والانظمة السيارية كنظام شمسنا . فاننا **نؤكد من جديد ان هذا مجرد راي ربما يتكشف العقل الانساني عن رأي اقرب منه الى الحقيقة التي عرفنا شروطها في الاساس المنطقي ، وقد اوردنا هذا** الراي لاحتوائه على وعي المفهوم القانون الحيوي للكائنات حيث وجدنا انه تعقب كل حركة تغير تركيب ، وتغير التركيب يغير الحركة من جديد وهكذا ...

وان اي راي لا يعي القانون الحيوي للكائنات هو ساقط سلفا .

وسوف نتابع فيما يلي حركة الارض بعد ان عرفنا خلاصة الاراء التي فسرت حركتها حتى لحظة تكونها ككائن مستقل . فاننا نستطيع ان نتنبأ بأن حركتها التالية ستغير عمرانها ، وتغير عمرانها سيغير حركتها ، وقد يأتي وقت تكون الارض قد تغيرت كليا حسب قوانين حركتها .. التي ارادتها الحياة ، وهناك من يقول : انه سيأتي وقت قد تزول خلاله الارض . أو تنعدم ظروف نشوء ، واستمرار الكائن العضوي .. ويكفينا نحن ان نعي ان التغير طرأ ، ويطرأ باستمرار على عمران الارض .

---

(١) ويعتقد أن مادة كوننا الاولى كانت ٤٤٪ هليوم و ٥٥٪ ايدروجين .

واما ما يهمنا نحن كبشر فهو حركتها التي تؤثر على شـروط وجودنـا ، **وسوف نعتبر أن حركة الارض تكون باتجاه الحرية عندما تساعدنا على تمثلنـا لارادة الحياة وتجسيدنا لهـا .**

وهناك العديد من الاراء التي وضعت حول نشوء حركة الكائن العضوي . احدها وهو ساقط سلفا لانه يعتبر ان الكائنات العضوية بكافة أشكالها ودرجاتها وجدت منذ الازل (١) .

وآراء اخرى فيها بعض الوعي للقانون الحيوي للكائنات . واول من عبـر عن هذا الوعي (ارسطو) وان كان بصورة بدائية حيث اعتقد أن الانسان والحيوان ذو تركيب واحد ولكن هذا التركيب يظهر بشكل اكثر كمالا في الانسـان .

والطبيعة في رايه تتكون من درجات (سلم) واولى هذه الدرجات هي الطبيعة غير الحية ، والثانية النبات ، والثالثة الكائنات الدنيئة ، والحيوانات البحرية المثبتة ، والرابعة الحيوانات الاخرى ، واخيرا الدرجة الخامسة ، ويمثلها الانسان ولكن الصور الراقية في راي ارسطو لا يمكن ان تنشا من الصور الدنيئة دون ان **يدري (ارسطو) ان هذا التقسيم ليس موجودا الا في فكره .**

وكذلك قال (هيراقليط) منذ ٢٤٠٠ عام أن العالم العضوي تطور من العالم غير العضوي ، ووضع الطبيعة ضمن سلم رباعي أول درجاته « الجماد » ويحتل النبات ، وان كان عديم الحركة ـ في رايه ـ ثانيها ، أما الدرجة الثالثة فتدخل فيها ذوات الحركة والاحساس وتضم الرابعة الانسان ذا النمو والحركة والاحساس والتفكير .

وهو راي اكثر وعيا للقانون الحيوي من (أرسطو) الا أن النظريات التـي عبرت عن وعي قريب للقانون الحيوي هي نظرية العالم الطبيعي (جان باتسيت لامارك) .

---

(١) لان الازل كما مر معنا مفهوم نمطي .

الذي راى ان الكائنات الحية نشات من غيرها في عملية تطور طويل المدى ، وقد تغيرت وتحسنت اعضاء الحيوانات والنباتات بما يتفق مع ظروف البيئة الخارجية ، وتاصلت هذه التغيرات عند الكائنات الحية ، وتناقلت بالوراثة . وان **الكائنات الحية يمكن ان تتوالد ذاتيا من الجماد في اي فترة من تطور الارض ،** وان الكائنات الراقية تكونت من كائنات ابسط منها . مع العلم بأن طريق تطورها طويل جدا ، ولم تضمحل الانواع انما تغيرت تدريجيا ، وتطورت ، ثم تحولت الى انواع حديثة .

وقد قسم (لامارك) الحيوانات التي تعيش في الوقت الحالي الى (٦) درجات و ١٤ قسما (سلم الكائنات) حيث يدخل فيه الانسان جنبا الى جنب مع مختلف الحيوانات ، ويلاحظ في هذا السلم التدرج في تعقيد الصور ويرجع **هذا التدرج (لامارك) بقوله : الى انه (يوجد تنظيم طبيعي منظم بقدرة خالقة عظيمة اي الله) .**

ومن ثم اتى العالم الجيولوجي الانكليزي (لايل ٧١٧ ــ ١٨٧٥) الذي قام بدور هام جدا في توضيح عملية التغير الخاصة بكائن الارض حيث استنتج ان عمليات التعرية ، والغسل وتأثير درجات الحرارة العالية ، والمنخفضة ، وتأثير الزلازل الارضية ، والبراكين التي تحدث في وقتنا الحالي كانت كلها تحدث ايضا في الماضي ، وهذه العوامل بالذات هي التي لعبت في رأيه ــ وتلعب الان دورا حاسما في تغير سطح الارض . أما الاشكال الانتقالية الواقعة بين الحيوانات المنقرضة والحالية فانها لم تكن معروفة الان وسوف تكشف في المستقبل .

وكانت اغلب افتراضات (لايل) قريبة من اكتشاف العقل الانساني فيما بعد .

وكان لاراء (لايل) تأثيرا كبيرا على تفكير (دارون) وكان (دارون) يحترم (لايل) معتبرا اياه استاذه ثم توطدت بعد ذلك صداقتهما . وقد وعى **(دارون) حقيقة التغير بشكل جيد ، وبخاصة في الكائنات العضوية الا ان وعيه**

كما ذكرنا سابقا يلتبس بالنمطية . حيث يلزم الكائنات بقانون ليس موجودا الا في فكره ، وهو يقع في حبائل الانماط العقليـة عندما يعتقد ان هناك نزاعا بـين مختلف الكائنات كالنزاع الموجود في المجتمع الانسائي . وهو وان كانت ادلته وادلة اتباعه تثبت فعلا ان هناك كائنات تنقرض وكائنات تنمو فان هذا الشيء لا ياخذ معناه الصحيح الا من خلال القانون الحيوي .. فالكائن لا يلتهم كائنا اخر لرغبة واعية في ازالته انما لكي يتغذى ، ويمكن ان يكون غذاءه أي كائن اخر . أما الاراء التي قيلت حول التغير المفاجيء الذي قد يحدث في الكائن ، ويعتبـره البعض صدفة فانه يعبر عن قصور في الرؤيا حيث اننا كما ذكرنا في القانـون الحيـوي للكائنات ان هناك حركتين لكل كائن حركة عامة يشترك فيها مع كافة الكائنات وحركة خاصة تحددها ارادة الحياة للكائن نفسه ولا يوجد شيء اسمه صـدفة انما يحدث نتيجة عوامل محددة حسب اتجاه حركته كما أرادت الحياة والمفاجآت لا تحدث الا عند قصارى العقول .. الذين لا يدركون ارادة الحياة لحركة الكائن الخاصة وكلما ازداد وعي الانسان لابعاد الكائن قلت امكانية حدوث المفاجآت فالصدفة هي في عقولنا فقط . وأثناء بحثنا لنشوء ، وحركة الكائنات العضوية. يجب ان نضع ذلك في اعتبارنا وذلك لكي نصل اكثر الى جوهر الحياة .

وقد قيلت اراء كثيرة حول نشأة الكائنات العضوية ، وضمنهم من اعتقد انها كانت موجودة في الفراغات بين الكواكب على هيئة جراثيم وكائنات دقيقة ، وانتقلت الى الارض مع ذرات الغبار الكوني ، أو في داخل الاجزاء المتحطمة من الكواكب (نيازك) .

وهناك راي اخر يؤيده الغالبية من العلماء . حيث يعتقدون ان الكائنـات العضوية تشكلت على نفس الارض . ولا يميلون الى الاعتقاد بصحة الراي السابق .. اذ انه بالرغم من اتساع مجال اقلمة ، او تكيف الكائنات لمختلف الظروف . الا ان فرصة معيشة الكائنات في الفراغات التي توجد بين الكواكب قليلة الاحتمال جدا ، حيث توجد هناك الاشعاعات القصيرة جدا اطوال موجاتها ، والتي تقضي

على الكائنات الحية في خلال ثوان ، وتدل نتائج الابحاث الكونية على وجود ثلاثة مناطق للاشعاع موزعة حول الكرة الارضية ، وتحترق الكائنات بمرورها من خلال الغلاف الجوي السميك للارض ، وتموت تحت تاثير الاشعاع ، ودرجات الحرارة العالية ، ومع ان هناك ابحاث تدل على أنه بامكان الانسان استنباط سلالات جديدة من النبات لا تتأثر بهذا الاشعاع . بالاضافة الى ان قدرة الانسان على الذهاب الى القمر قد حدثت في تموز ١٩٦٩ ، وقد كان يشك بعض العلماء حول امكانية ذلك لخشيتهم من تلك الاشعاعات التي توقعوا ان تخترق المركبة الفضائية وتصعقها . ومن فيها . ومع ذلك .. فاننا لا نملك ازاء الامر نفيا ، أو ايجابا لان ذلك يتعلق بكشوف العقل المقبلة فقط والتي يتوفر فيها شروط الاساس المنطقي . وسبق واشرنا في الاساس المنطقي ان علومنا لا تعبر عن الحقيقة كما كان يظن سابقا وانها لا تغدو ان تكون مسقطا على مجال ، ويجب أن تتغير اسس علومنا حتى تستطيع كشف اكبر قدر من الحقيقة .

ونحن هنا لا نقلل من اهمية العلم والاكتشافات العلمية فهي ، وان لم تأت بالحقيقة فانها على الاقل تستغل بعض قدرات العقل الانساني ، وتنميها ولو نظرنا الى العلماء الاقدمين بالمقارنة مع المعاصرين لرأينا كيف تتسع مداركنا .

وقد كان (ارسطو) وغيره من علماء العصور القديمة ، والوسطى يعتقدون بامكانية توالد صور الكائنات العضوية المعقدة ذاتيا .. وكانوا يعتقدون بأن **طفيلي الامعاء مثلا يتجدد ذاتيا نتيجة لفعل أمراض الجهاز الهضمي ، ويتكون من** جزيئات الغشاء المخاطي للامعاء ، وكانوا يعتقدون ان الديدان المتطفلة والحشرات ومختلف اجناس الرخويات والاسماك والبرمائيات وحتى الحيوانات الثديية (مثل الفئران) تتوالد ذاتيا من القاذورات أو السماء .

وكان كتاب العصور الوسطى يؤكدون ان : الثعابين غير السامة تتكون في الاماكن الرطبة من شعر النساء اما الثعابين السامة فهي تتكون من الاعمدةالفقرية للجثث التي ارتكب اصحابها ذنوبا في حياتهم .. كما توجد ايضا اشجار للاوز

والنعاج فعندما تقع ثمارها على الارض تتحول الى اوز ونعاج ، ولا تزال مثل هذه الافكار النمطية تعشش في اذهان الناس البدائيين .

وقد نقدت فكرة التوالد الذاتي بفضل تقدم حركة العلم ، حيث اوضح احد مؤسسي علم (الميكروبيولوجيا) ، وهو (لويس باستير) في عام ١٨٥٢ ان ابسط الكائنات الدقيقة لا يمكنها التوالد ذاتيا وقد اثبت هذا العالم ان مـرق اللحـم الموضوع في دورق مسدود العنق يمكن حفظه مدة طويلة معقما اذا اجري غليانه مقدما ، وذلك لان البكتريا ، والفطريات الموجودة في الهواء الجوي لا تتساقط في تلك البيئة المغذية ، وعندما فتح غطاء الدورق تساقطت الميكروبات في المـرق، وبدات بالتكاثر ، وكذلك بفضل تقدم حركة العلم اصبح لدينا اراء اكثر صدقا ، واحتمالا حول نشوء الكائنات العضوية . ويقترح العالم السوفياتي (اپارين) رايا يؤيده لفيف من العلماء يقول فيها ان : الارض كانت ملتهبة في العصور القديمة منذ اكثر من ١٫٨ مليار من السنين . وكان يوجد عدد كبير من البراكين التي التي كانت في هيجان مستمر وكانت الرواسب تترامى من جوف الارض الى سطحهاوكان منظر الارض في ذلك الوقت يشبه منظر القمر . وقد كان يوجد على سطح الارض الملتهبة بين العناصر المختلفة عنصر الكربون الذي يتميز بقدرته على الاتحاد مـع الذرات في الجزئيات المختلفة وكان الكربون يدخل في تفاعلات مع مختلف المعادن مكونا الكربيدات فمثلا : (تدخل الكربيدات) التي تحوي على الحديد ، والنيكل في تركيب القشرة الارضية ، كما تدخل الكربيدات ايضا في تركيب الشهب ، وكان الغلاف الجوي الاولي للارض خاليا من الاكسجين الحر . حيث ظهر الاكسجين مؤخرا مع عمليات التمثيل الضوئي عند النباتات الخضراء .. وكان يحتوي على جزيئات (الازوت ـ N_2) والهيدروجين (H_2) والمواد العضوية البسيطة مثل الميثان (CH_4) والامونيا (CH_3) والسيان (CN) وكذلك على كثير من بخار الماء .

وكلما كانت الارض تاخذ بالبرودة كانت الابخرة المائية تتكثف وتنهمر على

الارض بصورة امطار مستمرة مصحوبةبعواصفشديدة ثم توقفت العواصفالمؤقتة وانقشعت الغيوم وتساقطت على سطح الارض تيارات الاشعة الشمسية القاتلة (الاشعة الكونية قصيرة الموجه) وبدا تدريجيا ظهور بوادر اليابسة الحديثة التي تتكون من طبقات الاحجار البركانية ـ البازلت من ناحية القطب الشمالي فقط اما بقية سطح الارض فقد كان مغطى تماما بمياه المحيط العالمي .

وحدثت في هذه المياه عملية (بلمرة) المركبات العضوية الاولية المحتوية على الكربون . بمعنى انها اخذت في زيادة جزئياتها تدريجيا ، ودخلت في تفاعلات مع اكسجين الماء مكونة المواد العضوية (الكحول ، الالدهيدات ، والكيتونات ، والاحماض العضوية) .

وقد كان يعتقد قديما ان المواد العضوية ، لا يمكن أن تتكون الا عند الكائنات الحية ، ولكن حطمت هذه الفكرة أولى أبحاث (فلير ـ ١٨٠٠ ـ ١٨٨٢) بالتمثيل الصناعي لليوريا .

وفي الوقت الحالي ، وبعد تقدم التمثيل الصناعي كثيرا الى الامام بفضل العلم اصبح بالامكان تمثل كثيرا من المواد العضوية المعقدة كالاصباغ والكاوتشوك والفيتامينات وبعض الهرمونات . ولهذا السبب فان تكوين المواد العضوية من المواد غير العضوية ليس عجيبا ، وتحت تأثير الشحنات التي كانت توجد في العواصف وكذلك الاشعة فوق البنفسجية وغيرها تكونت الاحماض الامينية من المركبات العضوية السابقة .

وتشهد التجارب التي قام العالمان الامريكيان (يوري وميلر ـ ١٩٥٣) على صحة هذا الافتراض ، فقد قاما في هذه التجربة بامرار شحنات كهربائية (مثل البرق) خلال دورق يحتوي على جو يشابه جو الارض ، ويتكون من خليط من (الايدروجين ، وبخار الماء ، والامونيا ، والميثان) فحصل العالمان نتيجة لذلكعلى الاحماض الامينية (الجليتن ، والالالين ، وغيرهما) وفي سنة ١٩٥٧ تمكن ميلر من الحصول على تسع (٩) احماض امينية بنفس الطريقة ، وتمكن العالمالروسي

الاكاديمي (يترنين) من الحصول على نفس هذه النتائج عند استعمال الاشعة فوق البنفسجية ، وشحنات العواصف ايضا حدث اتحاد بين جزئيات الاحماض الامينية ، كما اتحدت بها مواد اخرى ، وتكونت في اعقاب ذلك قطرات شبه سائلة من البروتينات الغروية البسيطة ، وقد كونت هذه القطرات طورا محددا خاصا من النظام الغروي ، والشمس التي كانت تحدث فيها ، وبينها وبين البيئة الخارجية ، وكانت بداية لعمليات التحول البيولوجي الغذائي للمواد .

وكانت هذه القطرات مختلفة من حيث التركيب الكيماوي ، والتفاعلات التي تحدث فيها ، الا انه تجمعها بعض الصفات العامة . وبصرف النظر عن قوامها السائل ، فان لها تركيبا ذاتيا خاصا كما كان لديها القدرة على النمو على حساب امتصاص المواد الذائبة من المياه المحيطة . وقد ادى كل ذلك الى تعقد تركيبها الكيماوي، والى ظهور العديد من اشكالها، وتداختلط بعض المركبات الاانها اصبحت تملك مميزات جعلتها تفوق تلك الحبيبات الغروية . فهي مثلا اكثر ثباتا ويحدث نتيجة لوجود بعض العناصر فيها مثل (الكالسيوم ، والحديد ، والنحاس) تنشيط واسراع للتفاعلات في القطرات الغروية بمعنى انه يظهر في هذه الحبيبات لاول مرة بوادر (الانزيمات) . وقد ادى تحرك الحبيبات الغروية باتجاه الحياة .. الى تكوين الفراغات والاعضاء فيها وهكذا ظهر في اعقاب عمليات طويلة ومعقدة الكائنات الحية البسيطة . وهناك اختلاف شاسع بين ظروف المعيشة في تلك الاوقات ، وظروف المعيشة في الوقت الحاضر (وذلك وفقا للقانون الحيوي للكائنات) فقد كانت درجة حرارة الوسط المحيط عالية .

ولم تكن موجودة طبقة (الأزون) الحامية . والتي تحفظ الكائنات العضوية في الوقت الحالي من تأثير الاشعة الكونية الفاتك . كما لم يكن الاكسجين الحر موجودا آنذاك في الهواء الجوي .

وقد حصل العالم (آبارين) ومساعدوه على العديد من تلك الحبيبات الغروية الصناعية من الجلاتين والصمغ العربي ، وغيرهما من المواد . حيث استعملها لغرض تدعيم رأيــه .

وقد دعمت المشاهدات اللاحقة رايه . عندما اكتشف في اعماق البحار والمحيطات .. (مئات والوف الامتار) وجود مكونات ميكروسكوبية غاية فيالدقة. ويمكن رؤيتها في الميكروسكوب الالكتروني فقط وتشبه في مظهرها الخارجي وصفاتها الحبيبات الفروية السالفة الذكر .

وقد نشطت هذه الدراسات بعد وصول الانسان الى القمر . ووصول المركبات الفضائية الى المريخ **والرأي الاصوب هو في التجربة العلمية المستمرة . والوعي الانساني المتصاعد باتجاه الحرية . وتستمر حركة الحبيبات الفروية السابقة الذكر في حركتها باتجاه الحياة الذي افترضناه تجاوزا (الانسان) وحركتها** مرهون بارادة الحياة لقوانين وجودها ، وهذه الحركة غيرت من عمرانها وتغير عمرانها يغير حركتها من جديد ، وهكذا تحركت مع حركة الارض مؤلفة العصور الجيولجية الكبرى والتي تصنف كالتالي :

آ ـ الباليوزوي ويضم (١) قبل الكمبري (٢) الكمبري (٣) الادروفيس (٤) السيللوري (٥) الديفوني (٦) الفحم الحجري .

ب ـ الميسوزي ويضم : (١) ترياسي (٢) جوراسي (٣) طباشيري .

جـ ـ الكانيوزوي . آخر العصور .

ووجدت الحياة الانسانية في المرحلة الاخيرة .

تاثير السكان على الارض :

بالطبع ان السكان ككائن هو جزء من الارض لذا ، فان تأثير السكان هو تأثير الجزء على الكل ، وهو في هذه الحالة يسير وفق قوانين معينة ارادتها الحياة **ويمكن وصفها بان تزداد قدرة كلما ازداد الانسان التصاقا بالحياة وفي المجتمعات** البدائية قلما يستطيع الانسان ان يغير من وجه الارض شيئا ما عدا أرض بيته وحقله .. ولكن الانسان في المجتمعات المتقدمة يستطيع ان يغير وجهها كله ..

فيحفر مجاري انهار ، ويزيل جبال ويقيم سدودا ضخمة هائلة . والتأثير الذي يهمنا هو تأثير السكان على الارض التي يسكنونها ولدى دراسته نجد انه كلما كان حجم السكان كبيرا كلما كان التأثير أكثر ، وبالعكس وتأثير نسبة الذكور والاناث ونسبة الانجاب على الارض بمحتوى هذين العنصرين .

تأثير العمل على الارض :

للعمل تأثير واضح ، وقوى على الارض ، حيث انه بالعمل يتم استغلالها كاستخراج المواد التي تفيد الانسان ، وبالعمل يحرث ، ويزرع ويغير وجه الطبيعة، وبالعمل يبني السدود ويحول الانهيار ، وبالعمل يزيح الجبال من مكانها او يخترقها . ويوجد الطرق تحت الارض وتحت البحر . وبالعمل يستطيع الانسان تغيير المناخ ، وتخفيف اثر العوامل الجوية فمثلا في روسيا صنع حزام من الاشجار حول سيبيريا ابعد اثر الرياح الباردة ، والمثل الاوضح هو هولندا فهولندا كما هو معروف واقعة تحت مستوى البحر . الامر الذي كان يغمرها بالماء .. ولا يزال يهددها بين الحين ، والاخر فيما اذا هدمت السدود التي يبنونها ، ويرممونها باستمرار لتجفيف الارض .. ويقال ان الله خلق العالم وهولندا خلقت نفسها ، وكذلك الامر بالنسبة لتجفيف المستنقعات وحرق الغابات في المناطق الاستوائية ، ويشتمل تأثير العمل على الكائنات التي تحتويها الارض ويحتاج اليها الانسان في حياته .. كالحيوانات والنباتات ، فبالعمل استطاع الانسان انجاب سلالات جديدة من النباتات ، والحيوانات تعود بفائدة كبرى على الانسان . فمثلا يوجد الان اكثر من ٤٥٠ سلالة من النعاج و ٤٠٠ سلالة من الماشية ذات القرون ويوجد بين سلالات الماشية ذات القرون سلالات متخصصة في انتاج اللحم مثلا . اواللبن او للعمل الشاق .. وكذلك بالنسبة للخيل ، فيوجد منها خيل للسفر ذات سرعة كبيرة ، ويوجد خيل تحمل أثقالا كبيرة ، وهناك انواع للكلاب تستخدم لحراسة المواشي ، ومنها للبوليس ، ومنها للصيد ، ومنها للمنازل وكذلك الامر بالنسبة للنبات ، حيث كان يوجد في عهد (دارون) حوالي ٣٠٠ صنف من نباتات عنب

الثعلب و ٧٠٠ صنفا من نباتات السنبل البري ، ومن ٧٠٠ – ١٠٠٠ صنفا من العنب ، **فالعمل اذا يؤثر على كائن الارض ، ولكن وفقا لحركة المجتمع الانساني ودرجة التصاقها بارادة الحيـاة .**

تاثير العلم عـلى الارض :

ان العمل يأخذ أبعاده من العلم . فالعلم عامل هام جدا في التأثير على الارض فبه استطعنا معرفة طبيعة تكوين الارض ووجدت العلوم المتخصصة بالجيولجيا وبالعلم استطعنا معرفة عوامل الارض وبالتالي التحكم ببعضها ، واصبحنا نستطيع التنبؤ بالهزات الارضيةقبل حدوثها والتنبؤ بوجود المواد فيباطنها، وبالعلماستطعنا تقريب المسافات والدوران حولها باقل من نصف ساعة ، وبالعلم عرفنا قواعد استنباط سلالات جديدة من النباتات ، والحيوانات .

تاثير العقيدة على الارض :

تؤثر العقيدة على الارض تأثيرا واضحا من حيث تنظيم العمل والعلم وصلتهما بالعقيدة والتشريع فنلاحظ مثلا : ان زراعة الكرمة في البلاد التي تحرم الخمر اقل بكثير من زراعتها في الارض التي تبيح مجتمعاتها شرب الخمر .

وكذلك بالنسبة للحيوانات ، فان هناك بعض العقائد التي تقدس احـد الحيوانات وتمنع ذبحه كالهندوس مثلا .

وهناك بعض العقائد التي تقدس بعض الاماكن ، فيصبح لها قيمة اضافية تعني بها اكثر من غيرها وكثيرا ما تنتشر الحدائق والغابات حـول المـزارات .

وتاثير العقيدة على الارض مرهون بالتصاقها بارادة الحياة كما ورد سابقا .

تاثير الادارة عـلى الارض :

بما أن الادارة هي الجهاز الذي يقود تجربة المجتمع العاملة فان تاثيرهااوضح لان الادارة هي التي تقرر نوع العمل الذي سيجري على الارض ، **وتلتصق الادارة**

بالارض كثيرا ، وتعتبر مهمتها في بعض حركاتها باتجاه الحرية هو صيانة تراب ارضها وتطويره وجعله اكثر ملاءمة للحياة .

تاثير القـائد على الارض :

للقائد هنا مفهوم يقترب من مفهوم الرائد ، فكم هي الحالات التي يكـون سبب تغير وجه منطقة باكملها ، هو رجل واحد صمم على انشاء مشروع ، أو قرر الهجرة الى أرض معينة .

وليس خافيا اثر الرواد الذين ساهموا بمعرفتنـا لابعـاد الارض مثـل (كريستوف كولومبس ، وماجلان الخ ..)

وما تترتب على ذلك من نتائج تظهر الان جلية في أمريكا . وافريقيا وغيرهما وكذلك لا ينسى اثر اول مكتشف للبترول في الشرق العربي (فولبنكيان) .

جـ ـ السكان :

الواقع ان الفعالية المادية للمجتمع الانساني ، لا تأخذ تمييزها عن الفعالية المادية للكائنات الاخرى لولا وجود السكان .

فالسكان هم الذين يعطون الفعالية المادية للمجتمع الانساني صفته الانسانية.

والسكان هو الكائن الذي من **اجله توضع هذه الدراسة اصلا** . ومع ذلك فالسكان هو بند واحد من بنود القانون الحيوي للمجتمع الانساني ، وسوف نرى فيما يلي انه بند يتأثر بكافة بنود القانون الحيوي للمجتمع الانساني كما سيلي :

١ ـ تاثير الزمن على السكان :

ان السكان ككائن من ضمن كائنات الارض يعتبر ظهوره **هو زمنا للارض** .

ولكننا سندرس نحن حركة هذا الكائن ككائن مستقل يخضع للقانون الحيوي العام للكائنات ، وندرس العوامل **التي توجه حركته باتجاه الحرية او باتجاه العبودية** ، وسوف ندرس ذلك مفصلا من خلال البنود الفرعية للسكان وهي حركة العروق ، حركة الولادة ، والوفاة ، حركة الاجل المتوسط ، حركة الطبقات ، حركة الهجرة .

ا ـ حركة العروق :

عندما ظهر كائن السكان ، كان حركة معينة تابعة للارض ولكن عندما اصبح السكان كائنا مستقلا ، اصبح له حركته الخاصة حسب القانون الحيوي للكائنات وهذه الحركة ستغير من عمرانه حسب الاتجاه .. وبما ان لكل كائن قانونه الخاص الذي ارادته له الحياة ، فقد تمثل هذا القانون بالنسبة للعرق هو : انه بمرور

العديد من السنين حدثت بعض التغيرات في مظهر كائن السكان ، كلون الجلد، والشعر وحجم وشكل الانف ووزن ونسبة اجزاء الجسم لبعضها البعض ..الخ. وهي خواص قليلة الاهمية بالنسبة لعمران الكائن ككل الا انها ذات اثر على اتجاه حركة المجتمع الانساني **ولا اعتقد انها باتجاه الحرية وذلك لوجود كثير من الحوادث، والمآسي التي يعود سببها الى اختلاف العرق .**

والعروق الاساسية هي : (١) الاوروبية ، (٢) الزنجية ، (٣) المغولية .

ويعتبر العرق جزءا من المجتمع الانساني حيث نجد : أن بعض المجتمعات خليط من مختلف العروق ، وهذا يعود الى حركة العرق ككائن . وهذا سيؤدي الى تغير عمران كائن السكان مستقبلا **وسيتغير اتجاهه باتجاه الحرية اكثر** . ولدى دراستنا لاهم الحركات التي حدثت على كائن العرق نجدها كالتالي :

(١) حركة وحدة المنشأ العرقي (٢) حركة العزلة العرقية (٣) حركة التداخل العرقي . وسوف يحدث مستقبلا (٤) حركة الوحدة العرقية . **وذلك عندما يلتصق كائن السكان مع البنود الاخرى للمجتمع الانساني . بارادة الحياة بالحرية .**

ب ــ حركــة الولادة والوفــاة :

لهذه الحركة اهمية كبرى في كائن السكان ، وذلك لان الولادة والوفاة هما نتيجة حركة الكائن . وهذه الحركة ستغير عمرانه ، وهي هنا الحجم . والتغـير سيكون حسب اتجاه الحركة . **وكلما كان الحجم كبيرا كلما كانت الحركة باتجاه الحرية ، ولكن ذلك ليس مطلقا انما هو كذلك حتى الان .**

ولدى دراسة حركة الحجم خلال تاريخ هذا الكائن نجد أن ازدياد الحجم يتصاعد مع اتجاه الحرية فمثلا كان عدد السكان في عام ١٧٠٠ يعادل ٥٠٠ مليون.
و١٨٠٠ ــ ٨٥٠ مليون وعام ١٩٤٥ ــ ٢٥٠٠ مليون .
و١٩٠٠ ــ ١٦٥٠مليون وعام ١٩٦٣ ــ ٣٣٠٠ مليون .

ويعتقد ان نسبة التزايد السنوي وسطيا تبلغ ١ر٧٪ وهذه النسبة تعادل

٥٦ مليون بالنسبة للعدد الحالي ، ويعتقد انه اذا استمرت حركة الولادة ، والوفاة على هذه الوتيرة ، فسوف يتغير الحجم في عام ٢٠٠٠ ويصبح ٧٠٠٠ مليون واذا دققنا زمن حركة الولادة والوفاة بالنسبة لمناطق السكان فاننا نستطيع ان نقسمها الى ثلاثة اقسام . وتختلف نسبة الولادة في هذه الاقسام من ٥ر٠٠٪ الى ٣٠٪.

القسم الاول : بلاد تزايدها بطيء مثل دول أوروبا الشمالية والغربية (الولادة فيها قليلة) .

القسم الثاني : بلاد تزايدها وسط مثل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية (الولادة فيها قليلة) .

القسم الثالث : بلاد تزايدها سريع مثل اقطار الدول العربية ، والهند ، وبعض اقطار افريقيا ، وامريكا اللاتينية ، والصين (الولادة كبيرة) .

ويصعب تمييز اتجاه الحرية بهذه الحركة واطلاقها بشكل عام على كافة الظروف ، ولكن نجد ان الدول المتقدمة تكون فيها هذه الحركة غير متفاوتة كثيرا. واذا حدث فيكون الى جانب **الولادة وهي ترجح اتجاه الحرية فمثلا :**

البلد (١)	معدل الولادة	معدل الوفاة
يابان	٢٨	١٠
روسيا	٢٤	٦
الولايات المتحدة	٢٣	٩
يوغسلافيا	٣٠	١٣
فرنسا	١٨	١٠
المانيا	١٦	١٢
دانمارك	١٧	١٧
بريطانيا	١٦	١١

(١) ملاحظة : ان صحة الاحصائيات مرهونة بصحة المراجع المتوفرة والتي اصدرتها الامم المتحدة منذ زمن يتجاوز الخمس سنوات فيرجى اخذ الاعتبار .

والزمن الحالي لحركة الولادة والوفاة تعادل نسبة ٢/١ ويقدر زمن هذه الحركة في الدقيقة ١٨٠ حادثة ولادة الى ٩٠ حادثة وفاة .

ج ـ حركة الاجل المتوسط :

واتجاه الحرية واضح في هذا البند حيث انه كلما ازداد عمر الاجل المتوسط كلما كانت الحركة باتجاه الحرية ، لانه كلما ازداد الاجل المتوسط كلما ازداد الانسان قدرة على العطاء . كما مر معنا سابقا .

ويمكننا معرفة اقتراب حركة كائن السكان من خط يوازي ارادة الحياة ، وبالنسبة لكل مجتمع على حده بمعرفة الاجل المتوسط حيث نجد أن زمن هذه الحركة في السويد تعادل ٧١ سنة وفي بوليفية ٥٠ سنة ، والولايات المتحدة ٦٧ وفي اتحاد جنوب افريقيا . الزنوج ٤٠ ، البيض ٦٤ واليابان ٦٣ سنة والهند ٣٢.

د ـ حركة الطبقات :

الطبقة لغويا هي حجم له ارتفاع ، والطبقة الاجتماعية هي سقف اجتماعي له ارتفاع معين .

وفي المجتمع الانساني يوجد طبقات مختلفة وكل طبقة تشكل سقفا ، فالمجتمع الانساني عمارة تضم بنود القانون الحيوي للمجتمع ، والانسان قد يكون سقفه (طبقته) مرتفعة في عمارة بند ومنخفضة في اخر . وقد تكون مرتفعة في الجميع، ومنخفضة وقد تكون وسطا .. فالطبقة كما يقول (ر. سينلر) هي جزء من ذات الانسان وهي الشعور الذي يشعر معه بانه ينتسب الى شيء ما اعظم منه .

ونستبدل نحن تعبيرا اعظم منه بتعبير (يعم غيره) اي يشعر انه يشترك مع غيره في هذا الشعور . **والشعور الجمعي هو الذي يعطي ابعاد مفهوم الطبقة من اتساع مساحة وارتفاع .**

وقد وجدت الكثير من الاراء حول عدد الطبقات وارتفاعها .

فالماركسيون يقسمون المجتمع الى طبقتين كبيرتين طبقة كادحة وطبقة برجوازية .

وهناك تقسيم تقليدي يقسم المجتمع الى ثلاث طبقات : طبقة دنيا ، ووسطى، وعليا .

وهناك تقسيم رباعي يقسم المجتمع الى طبقة دنيا وطبقة متوسطة دنيا وطبقة متوسطة عليا وطبقة عليا .

وهناك تقسيم سداسي يقسم المجتمع الى ست طبقات . طبقة دنيا دنيا ، طبقة دنيا عليا ، طبقة وسطى دنيا ، طبقة وسطى عليا ، طبقة عليا دنيا . طبقة عليا عليا .

اما نحن فنعبر كما ذكرنا انه يوجد طبقات بعدد بنود قانون المجتمع الحيوي وهذه الطبقات ليست منفصلة عن بعضها لان المجتمع لا يقوم على بند واحد او فعالية واحدة .

فالطبقة العامة اذا ليست سقفا واحدا انما عدة سقوف قد تكون متفاوتة الارتفاع او كلها منخفضة او كلها مرتفعة ، والحالة الاخيرة هي التي تدل على اتجاه الحرية .

هـ ـ حركة الهجرة :

سبق وذكرنا في القانون الحيوي العام للكائنات . ان الكائن يتحرك ، والتحرك يغير عمرانه والسكان ككائن يتحرك وحركته تغير عمرانه .. وتعتبر الهجرة دليلا واضحا على تغير العمران ، فهي تعقب حركة كائن السكان . وقد يكون تغير العمران نفسه هو نتيجة للتغير ، او هجرة اناس اليه او منه ، وهذا التغير قد يكون زيادة في حجم السكان فتؤدي للهجرة ، او نقصا في الحجم ، ويمكن ان يستوعب عددا اكبر .

ان كل تغير يطرأ على كائن السكان اثناء حركته حسب القانون الحيوي العام يمكن ان يؤدي الى هجرة والامثلة على ذلك كثيرة ، واوضحها يمكن ان يؤخذ من اصغر وحده في المجتمع وهي الاسرة حيث ان (كائن) الاسرة تظهر الهجرة فيه على شكل انفصال الاولاد والبنات او جلب اولاد وبنات ، وذلك حسب الحالة وبالمعنى العام يتضح لدى معرفتنا ان الهجرات الاستعمارية التي حدثت في اوربا انما حدثت اعقاب تغير تركيب عمران السكان وذلك في الحجم . **وحركة الهجرة تكون باتجاه الحرية عندما تزيد فعالية المجتمع وبالعكس ..** واغلب حركات المجتمعات المتقدمة انما تعود للهجرة .

وبهذا العرض الوجيز يتضح لنا ، تاثير الزمن على كائن السكان بشكل عام. وسوف نتابع فيما يلي تأثير باقي بنود قانون المجتمع الحيوي على السكان .

٢ ـ تاثير الارض على السكان :

السكان كما مر معنا كائن يتبع للارض ووجود السكان مرهون بالارض في هذه الفترة على الاقل حيث ان هناك من يقول ان الانسان قد ينتقل في المستقبل لكواكب اخرى وسوف ندرس تاثير الارض على الاقسام الفرعية لكائن السكان .

آ ـ تاثير الارض على العروق :

هناك من يقول ان العروق الانسانية تعود الى الانسان الكرومانوني . ومن ثم تفرع (حسب القانون الحيوي العام بالطبع) ، وهناك من يقول ان العرق الابيض يعود الى انسان (نياندرنال) ، والعرق الاسود من (كرومانوني) والاصفر من (شانسليد) ولكن يعتقد ان الفرعين الاخيرين يعودان للاول .

ولايضاح اثر الارض على العروق يكفي ان نسوق مثلا لذلك المناطق الجغرافية، لتجمع كل عرق على حده حيث نجد ان :

١ ـ العرق الابيض : وهو اكبر العروق عددا (١٧٠٠) مليون يسكن جنوبي غربي آسيا واوروبا وشمال افريقيا ويتفرع الى اقسام .

أ ـ الفرع الجنوبي : (أو المتوسطي) ، ويشمل سكان غرب آسيا ، وشمال افريقيا ويمتد جنوبا حتى اقاصي الصومال .

ب ـ الفرع الشمالي : ويوجد في روسيا البيضاء ، وبولونيا والنرويجوانكلترا.

٢ ـ العرق الاصفر : وعدده (١ر١) مليار يتركز في الشرق الاقصى من آسيا ويمتد الى امريكا وبعض جزر اقيانوسيا وينقسم كذلك الى فروع .

أ ـ الفرع الشمالي : (أو الاسيوي القاري) ، ويتضمن شعوب التندرا ، والتايغا في اسيا واوروبا ، والاقوام التي تعيش في السهوب الاسيوية كالاتراك والمنغول وشعوب اسيا الموسمية كالصين واليابان .

ب ـ الفرع الجنوبي : (أو الاسيوي ، الباسيفيكي) ويتضمن شعوب ماليزيا واندونيسيا .

جـ ـ الفرع الامريكي : وينضمن الاسكيمو والهنود الحمر ، والاقوام التي تمارس الزراعة (الان) في هضاب امريكا الوسطى ، وجبال (الانـد) كالمايـاس والانكاس .

٣ ـ العرق الاسود (أو الافريقي الاقيانوسي) :

ويبلغ مقداره ٣٠٠ مليون يعيشون في افريقيا وجنوب شرقي اسيا وينقسم ايضا الى عدة فروع هي :

أ ـ الفرع الغربي (أو الافريقي) : ويتضمن جميع زنوج افريقيا ومنهم الزنوج والاقزام والبوشمن والهوتنتوت والسودانيون والبانتو .

ب ـ الفرع الشرقي (أو الاسترالي) : ويتضمن زنوج (البابو) في جزر ميكرونيزيا وملانيزيا والاستراليين والتمسانيين ويتضمن ايضا زنوج جنوبي الهند وسيلان (الدرادفيديون) .

ومن هذا العرض العام يتضح أن العرق يرتبط بحركة الارض مباشرة .. وكلما كانت نتيجة الحركة هي التوحيد العرقي كلما كانت باتجاه الحرية وبالعكس.

ب ـ تاثير الارض على كثافة ، وتوزع السكان :

يتأثر توزع السكان على الارض تأثيرا واضحا بالارض وذلك من خلال القاء نظرة واحدة على خارطة توزع السكان على الارض واذا حاولنا معرفة العوامل المؤثرة . فاننا نجدها قسمين : بعضها ساعد على الكثافة وزيادة الحجم وعوامل تساعد على قلة الحجم والكثافة .

١ ـ العوامل المساعدة على قلة الحجم والكثافة :

ا ـ الجفاف الشديد حيث الصحارى كما في افريقيا واسيا واستراليا وحيث السهوب قليلة الامطار .

ب ـ البرد الشديد كالمناطق القطبية الجنوبية والشمالية . ويختلف امتداد المناطق القطبية في نصفي الكرة . ففي النصف الشمالي تمتد حدود القارات كثيرا نحو الشمال حيث يقيم عدد قليل من السكان هم اللابون والصاموئيد ، والاسكيمو. اما في النصف الجنوبي فلا نجد سكانا بعد أرض النار في امريكا الجنوبية .

جـ ـ الغابات الكثيفة الحارة و الباردة : يلاحظ ايضا أن الكثافة البشرية تتناسب عكسا مع كثافة غطائها النباتي كما هي الحال في كندا وسيبيريا .

د ـ الجبال العالية : حيث لا تتوفر الشروط الضرورية للحياة فتختفي النباتات ويقل الضغط وتكثر البرودة . وتنعدم طرق المواصلات ومثال ذلك جبال هملايا والالب .

هـ ـ البحار وتأثيرها : فالمجتمعات الانسانية تقيم على اليابسة وليس على الماء بصورة عاملة .

و ـ المستنقعات : ان وجود المستنقعات يصحبه عادة وجود حشرات تسبب

امراضا وبائية كالملاريا والكوليرا . لذا فان كثافة السكان تكون ضعيفة ، ومثال ذلك افريقيا الاستوائية حيث يقل عدد سكانها كثيرا بالنسبة للاراضي غير الاستوائية وبالتالي لقارات أخرى .

ز ـ طرق المواصلات : وهذه ايضا لها تاثير كبير على حجم وكثافة وتوزع السكان وتتحكم طبيعة الارض في طرق المواصلات كالجبال والوديان والصحارى.

٢ ـ العوامل المساعدة على زيادة الحجم والكثافة والتوزع :

ا ـ المناخ الملائم والتربة الخصبة . حيث تتوافر المحاصيل اللازمة للسكان لذا فان السكان يقصدون هذه المناطق للتجمع فيها كتجمع السكان في مصر واسيا الموسمية وفي المناطق الواقعة بين مدار السرطان ، وبين درجة عرض ٤٠ شمالا ويتجمع في هذه المنطقة نصف سكان العالم تقريبا .

ب ـ توفر الانهار ومصادر المياه حيث نجد السكان يقصدونها ويتجمعون على طول الانهار، وعند مصباتها كنهر النيل ، ونهر (يانغ تسي) في الصين وكمصب نهر التايمس ومصب نهر هدسون ومصب (ريودولابلانا) .

جـ ـ السواحل حيث المناخ الملائم وطرق المواصلات وموارد الصيد كسواحل اليابان والصين وانكلترا وكذلك البحيرات الكبرى . كالموجودة في اسيا والولايات المتحدة وكندة .

د ـ الثروات الموجودة في الارض : ايضا لها تاثيرها الواضح مهما اختلف نوعها نباتية ام حيوانية ام معدنية ام نفطية . حيث نجد ان السكان يتجمعون حول هذه الثروات .

ومن هذا العرض تتبين الصلة الوثيقة بين الارض والتجمع والتوزع والكثافة . ولكن يصعب هنا معرفة اتجاه الحرية لان لكل مجتمع ظرفه الخاص وسيتضح هذا فيما بعد .

جـ ـ تأثير الارض على حركة الولادة والوفيات والاجل المتوسط :

تؤثر الارض على هذه الحركة تأثيرا بينا . يتضح من خلال العوامل التالية :

١ ـ الكوارث الطبيعية : كالزلازل ، والبراكين والسيول والرياح العاتية والفيضانات والصواعق وهذه الكوارث كثيرا ما تؤدي الى وفاة اعداد هائلة من السكان ، وتظهر هذه الكوارث في بعض المناطق اكثر من غيرها وذلك حسب حركة الارض .

ويوجد الان منطقتين رئيسيتين . الاولى : تمتد من حدود الاسكا حتى باتاغونيا على ساحل المحيط الهادي . والثانية : مشابهة لها وتمتد من شبه جزيرة كامشتكا الى زيلندة الجديدة مارة في اليابان والفيلبين وتدعى بـ « الحلقة النارية » كما تنتشر بعض البراكين في حوض المتوسط ، وخاصة في شماله كايطاليا .

٢ ـ نقص موارد الطبيعة اللازمة لغذاء السكان كالنباتات والحيوانات مما يؤدي الى مجاعات ووفيات أعداد هائلة من الناس . مثال ذلك المجاعة احتاجت العالم في اوائل القرن العشرين (١٩٤٠) .

٣ ـ الحيوانات المفترسة والحشرات ، والجراثيم الناقلة للامراض . ويكثر الحيوانات المفترسة السامة والافاعي والعقارب في سهوب اسيا الرعوية . اما بالنسبة للحشرات كالبعوض وذبابة (تسي تسي) فانها تظهر في المناطق الحارة.

وبالنسبة للجراثيم . فان تأثيرها أوضح من ان نذكره لان جل امراض الانسان بسبب الجراثيم .

د ـ تأثير الارض على نسبة الانجاب :

تؤثر الارض على نسبة الانجاب في الاراضي الشاقة والتي تكثر فيها الخوادث ، وحوادث الوفيات فترفعها وذلك لتعويض النقص .

هـ ـ تأثير الارض على الطبقات :

تؤثر الارض على توزع الطبقات ، وارتفاع سقفها وهناك مثال بسيط يوضح هذا الشيء نقتبسه من القرية والمدينة . ومع ان المثال لا يعبر بالضبط عمانقصده وانما يكشف اهمية عناصر معينة تعود لبند الارض كالموقع والثروات والطرق.

ويمكن ان يشعر الانسان بارتفاع طبقته من خلال شعوره انه يسكن ارضا معينة . بل وهناك من يقول : **ان اختراع المصعد الكهربائي اثر في شيوع الطبقات وتمايز ارتفاعاتها** فالبنايات كلها كانت ذات ارتفاع واحد (اما الان فقد اصبحت متفاوتة وتسكنها طبقات متفاوتة ، ويمكن ملاحظة ذلك من لهجة انسان **يقول : انا اسكن في الحي الفلاني او في القبو او الملحق .**

و ـ تأثير الارض على الهجرة :

ان حركة الارض المتغيرة تؤدي الى تغير العوامل التي كانت تجعل اناسا يعيشون في منطقة ما ان يهجروا لمنطقة اخرى وهذه التغيرات تحدث كثيرا في السهوب ، والشواطىء مثل هجرات المينووين ، والنوردين نحو شواطىء اوروبا والشرق الادنى وهجرات البدو العرب ، والاسقوذين (بدو كانوا يقطنون جنوب روسيا الحالية) والاتراك والمغول الى الصين والهند وروسيا والعراق ومصر.

ومثال آخر بين ، هو أن الجفاف الذي حدث وراء منطقة قزوين ادى الى هجرة الاوراسين هجرة تدريجية الى مناطق ابعد كلما تعاظمت شدة ميل المناخ الى الجفاف . وذلك تمشيا مع البيئة الطبيعية التي يستطيعون فيها مواصلة حياتهم ، وهكذا نكون قد المنا بموجز عن تأثير الارض على السكان .

٣ ـ تأثير العمل على السكان :

ان العمل يقترن بالحياة الانسانية ويميزها ، وهو كغيره من البنود يؤثر على كائن السكان على النحو التالي :

أ ـ تأثير العمل على حجم السكان : بما ان العمل يقترن بالحياة الانسانية، فانه من الطبيعي ان يكون حجم السكان متعلقا الى حد كبير بالعمل ، لذلك نجد انه حيث يتوفر العمل يكثر وجود السكان . واقرب مثال لذلك هو كثرة سكان المدينة بالنسبة للقرية ، وذلك لكثرة الاعمال وتوفرها في المدينة ، وهناك بعض المدن يبلغ عدد سكانها اكثر من عدد سكان دول مستقلة او ضعفين . فمثلا عدد سكان نيويورك ١٨ مليون ، وواشنطن ١٢ ، وطوكيو ١٠. ، وشنغهاي ١٠. ، وجاكرتا ٥ ، وبومباي ٥ ، وباريس ٧ ، وموسكو ٥ ، ولندن ٤ .

ب ـ تأثير العمل على نسبة الولادة والوفاة : ان نسبة الولادة والوفاة تتأثر بالعمل على نحو بين . حيث نجد انه : كلما كثرت مجالات العمل ازدادت نسبة الولادة مع الاخذ بعين الاعتبار نوعية العمل .. فالبلاد الزراعية . تكثر فيها الولادات اكثر من البلاد التي تكثر فيها الاعمال الصناعية الالية . فمثلا امريكا ٢٣٪ ، وروسيا ٢٤٪ ، وفرنسا ١٨٪ ، والمانيا ١٦٪ ، وبريطانيا ٠.١٦/ ، بينما في البلاد العربية ٤٨٪ . الهند ٣٧٪ .

اما تأثير العمل على الوفيات فواضح جدا . حيث ان العمل يؤمن للانسان ضرورات وجوده المادية على الاقل . والوفيات التي تنتج عن المجاعات مشهورة في التاريخ ، ولا زلنا نسمع اخبارها حتى الان ، وفي نهاية عام ١٩٦٩ مات في الهند ٤٢,٠٠٠ على اثر مجاعة ، وهناك بعض المجتمعات التي تفرض الوفاة على الاولاد الذين لا تتمكن من اعالتهم . ووأد الاطفال كان شائعا بين البدو بصفة خاصة . لانهم كانوا يسببون لهم اشكالا في ترحالهم الطويل . فقبيلة (بانجراج) فيفكتوريا كانت تقتل نصف اطفالها عند الولادة ، وقبيلة (اللنجوا) في اقليم (شالكو) من (بارغواي) لم تكن تسمح للاسرة الواحدة بأكثر من طفل واحد كل سبعة اعوام على نحو ما يفعل الافرنسيون الان . وذلك بأن تنشيء كل أسرة ولدا واحدا او بنتا واحدة . وكل نسل غير ذلك يقتل فور ولادته .

وكان اذا حلت ببعض القبائل مجاعة ، او تهددهم مجاعة قتلوا اطفالهم حديثي

الولادة واكلوهم ، وكانت البنت عادة هي التي تتعرض للوأد ، وأحيانا تعذب حتى تموت . بحجة ان ذلك يجعل روحها تعود الى الحياة في جسد صبي (قادر على العمل) اذا ما عادت الى الحياة من جديد .

من هذا نرى مدى تأثير وجود العمل ، أو غيابه على نسبة الولادة والوفاة ، ويتضح هذا التأثير أكثر فأكثر من فهم الدوافع التي تدعو لتحديد النسل . فالدافع الاقتصادي هو الدافع الاول تقريبا .

ويمكن ملاحظة ان نسبة الوفيات تقل في المجتمعات التي يتوفر فيها العمل. فمثلا روسيا (٩) ، امريكا (٩)، بريطانيا (١١) ، فرنسا (١٠) ، المانيا (١١) . ... ويؤثر نوع العمل على قلة الوفيات ، ففي البلاد الصناعية ، والتي يكثر فيها عمال الخدمات تقل الوفيات فيها . فمثلا الولايات المتحدة الامريكية يبلغ عدد العاملين في مجال الخدمات ٥٥٪ من العمال ، بينما في المغرب العربي ٢٥٪ .

جـ ـ تأثير العمل على نسبة الانجاب : يؤثر العمل ايضا على نسبة الانجاب تأثيرا كبيرا ، حيث نجد أن البلاد التي يتوفر فيها العمل تزداد فيها نسبة الانجاب، بينما تقل في البلاد المجدبة ، ويؤثر فيها نوع العمل ايضا . فالبلاد الزراعية يكون فيها نسبة الانجاب أكبر من البلاد التي يزداد فيها حجم عمال الخدمات ، فمثلا نسبة الانجاب في مصر ١٦٧٪ ، الولايات المتحدة الامريكية ٠٨٦ر٠٪ ، اليابان ٠٢ر٠٪ ، فرنسا ٠٧٦ر٠٪ .

د ـ تأثير العمل على الاجل المتوسط : يؤثر العمل على الاجل المتوسط تأثيرا واضحا ، فالبلاد التي يكثر فيها العمل ترتفع نسبة الاجل المتوسط فيها وبالعكس . ويتعلق أيضا بنوع العمل من حيث كونه زراعيا ام صناعيا ام خدمات. .. كما هو واضح من الجدول التالي :

البلــد	الاجل المتوسط	نسبة العمل الزراعيين	الصناعيين	الخدمات
الاتحاد السوفييتي	٦٩	١٢٪	٣٣٪	٥٥٪
الولايات المتحدة	٦٩	٢٨٪	٣٦٪	٣٦٪
البلاد العربية	٣٥	٦٧٪	٨ ٪	٢٥٪

هـ ـ تأثير العمل على الطبقات : للعمل تأثير واضح على ارتفاع سقف الطبقة، وقد اوضح هذا التأثير كثير من المفكرين الاشتراكيين . بل ويذهب الماركسيون الى أبعد من ذلك حيث يقولون ان وجود الطبقات كله مرتبط في مراحل تطورالانتاج. وقد حدد لينين الطبقات فقال : (انها مجموعة كبيرة من النــاس تختلف عـن بعضها حسب مكانها في النظام الانتاجي المحدد تاريخيا ، وحسب علاقة الناس بوسائل الانتاج ، وحسب دور التنظيم في العمل) . أي مكان الناس في التنظيم وحسب أسلوب توزيع الخيرات المادية وحسب امكانية استغلال طبقة لاخرى بحكم وضعها أو مكانها) ويوافقنا هذا القول من جهة ترابط العمل بالطبقــة ، ولكنــه خطا عندما يغالي ويقصر رؤياه بجعل الطبقــة مرتبطــة بالعمــل فقط . فهـي مرتبطة بكافة بنود قانون المجتمع الحيوي ، ويحدد ارتفاع الطبقة بالنسبة للعمل نسبة الربح . وتدخل هنا نوعية العمل .. فالعمل الفكري أرقى من العمل اليدوي. مع ان الربح يكون اقل ٪ . وهكذا نرى ان لاعب القمار الرابع جدا (او اي انسان سيء اخر كالقاتل المرتزق) لا يشعر أنه من طبقة عليـا .

و ـ تأثير العمل على الهجرة : اكثر الحالات التي تحدث قبل الهجرة انماتعود الى فقدان العمل . لذلك تتم الهجرة طلبا للعمل .. كالهجرة الى البلاد الجديدة كامريكا وكندا واستراليا .. وسيبريا .. وهجرات البدو طلبا للمراعي وهجرة سكان القرى الى المدن .. وهناك هجرات موسمية كهجرة العمال للحصاد وكذلك البدو .

٤ ـ تأثير العلم على السكان :

سوف ندرس تأثير العلم على السكان كما درسنا تأثير البنود الاخرى عليه .

ا ـ تأثير العلم على حجم وتوزع السكان : يؤثر العلم تأثيرا واضحا على حجم السكان . ونظرة بسيطة على حجم السكان في الارض عامة في الوقت الحالي ، ومقارنتها بالحجم السابق تثبت اثر العلم في ازدياد الحجم . وذلك بفضل تقدم علوم الصحة والتغذية والتخطيط . وضمن نطاق المجتمع الواحد ، نجد أن احجاما من السكان لم تكن لتوجد لولا وجود مراكز العلم ، كالمدارس والجامعات التيتتسع في بعض البلاد وتصبح كمدينة . وهناك مؤسسات ومراكز لم تكن لتوجد لولا العلم .. مهما كان نوعها (مراكز ابحاث العلمية ، او مركز منتجات العلم) فمثلا هناك مدن قائمة بذاتها في القطب الشمالي لروسيا وامريكا مهمتها علمية بحتة. وكذلك اصبح هناك عدد كبير من السكان يشغل البحر والجو بنسبة تتزايد .. وحتى القمر .. اصبح ضمن مخطط توزع السكان وذلك بفضل العلم .

ب ـ تأثير العلم على نسبة الولادة والوفيات : لدى مراجعة الجدول السابق لمعدل الولادات والوفيات ، يتضح أنه كلما كان البلد متقدما علميا كانت حوادث الوفاء اقل وبخاصة بمراحل الحياة الوليدة . فمثلا : معدل الوفيات من الاطفال لكل ١٠٠٠ ولادة حدثت في عامها الاول . السويد ١٦ ، الدانمارك ٢٠ ، الولايات المتحدة ٢ر٢٩ ، كندا ٤١ ، روسيا ٥٢ ، عدن ٢ر١٥٨ ، مصر ٦ر١٢٩ ، الهند ١ر١٢٧ .

كما أن العلم يؤثر على نسبة الولادات حيث تضع المجتمعات المتعلمة مخططا عاما لتحديد النسل نقصا أو زيادة .

جـ ـ تأثير العلم على الطبقات : للعلم تأثير كبير على ارتفاع الطبقة . فنجد طبقة جاهلة وطبقة متعلمة . وطبقة متعلمة تعليما وسطا ، وطبقة متعلمة تعليما اختصاصيا . وهناك تأثير هام للعلم على الطبقات . حيث أن العلم يثبت أن لدي جميع الناس مؤهلات متقاربة ، وان وضعهم الطبقي هو من تاثير عدة ظروف لا ترتبط بنواحي بيولوجية تجعله راقيا او منحطا كما حاول البعض ان يفعل .

د ـ تأثير العلم على الهجرات : العلم يساعد على كشف مجالات جديدة للعمل ، ويساعد ايضا على تقدم وسائل النقل وسهولة السفر . لذلك نجد ان الهجرات في الوقت الحالي اكثر حدوثا من الماضي ، حيث لم يعد يخلو اي مجتمع من هجرات وافدة اليه وذلك بوجود مراكز للعمل جديدة بسبب العلم ، كصناعة التعدين واستخراج المعادن ، والبترول واستخراجه وهذا يعود الى توفر طرق المواصلات التي تعتبر الاساس الذي تقوم عليه . وعدا عن ذلك هناك هجرات تنشأ من اجل العلم فقط ، كهجرة الطلاب من القرى الى المدينة ، ومن المجتمعات المتخلفة الى المجتمعات المتقدمة علميا .

هـ ـ تأثير العقيدة على السكان :

وسوف ننهج النهج السابق في تأثير العقيدة على عناصر السكان .

أ ـ تأثير العقيدة على العرق : تتأثر العروق الانسانية براي العقائد الاجتماعية تأثيرا مباشرا ، لان لكل عقيدة رايا وسلوكا معينا يتبعه معتنقوها تجاه العروق الاخرى ، فمثلا العقيدة النازية تؤمن بوجود سلم عرقي تصنف العروق عليه حسب نوعها وتعتبر العرق الجرماني (الدم الازرق) بصورة خاصة ارقى العروق .. واجدرها بالبقاء .. وانهم هم السادة . وباقي العروق عبيدا ، وتعتبر العرق الاسود احط العروق .. وهناك عقائد تعتبر ان العرق الاسود ليس جديرا بأن يكون من صنف البشر ، فتعامله معاملة الكلاب ، وعقائد تبرر سحق بعض العروق لكونها لا تستحق الحياة كسحق الهنود الحمر .

وهذه العقائد تساعد على استمرار العزلة العرقية ، والتقوقع والانغلاق ، وهناك عقائد تنظر نظرة مغايرة حيث تعتقد ان العروق الانسانية ما هي الا شكلية لا تمس الجوهر الانساني المشترك . وانها نشأت نتيجة عوامل معينة كعقيدتنا مثلا . ومن جهة اخرى فاننا نجد ان تشابه المعتقدات بين العروق يقربها من بعضها البعض . بينما يزيد اختلافها الهوة والعزلة العرقية ، وهناك امثلة عديدة على هذا الشيء . فالزنوج المسلمون في امريكا اكثر انعزالا من الزنوج المسيحيين .

ب ـ تأثير العقيدة على نسبة الولادة ، والوفاة : تؤثر العقيدة على نسبة الولادة ، والوفيات تأثيرا واضحا ، لان العقيدة هي التي تحدد تنظيم المجتمع الذي تنتشر فيه . فمثلا تقل الولادات في المجتمعات التي تنتشر فيها عقيدة تسمح بتحديد النسل بينما لا تقل هذه النسبة في مجتمعات لا يتوفر فيها مثل هذه العقيدة مع انها بأمس الحاجة اليها . **وتؤثر العقيدة على نسبة الولادات ، والوفيات حسب زمن العقيدة** . فالعقائد التي تعتمد على السحر والاساطير ، والتي تؤمن بوجود حظ سعيد واخر تعيس ، أو العقائد التي لا تؤمن بضرورة العلم وتجاربه، فانها تزيد نسبة الوفيات في مجتمعها . فمثلا هناك عقائد في بعض المجتمعات القبلية تدفع معتنقيها الى قتل اطفالهم ، اذا ما ظنوا أنهم ولدوا في ظروف لا يحالفها الحظ السعيد ، **فقبيلة (بندي) تخنق المولود اذا نزل الى الدنيا بقدميه أولا. وقبيلة (كامشادال) تقتل الطفل اذا ولد في جو عاصف . وقبائل (مدغشقر) تترك الطفل الوليد في العراء حتى يموت ، او تغرقه في الماء او تئده حيا . وذلك اذا ما اذا ما اطل على العالم في شهر اذار او ايلول او يوم اربعاء او جمعة . أو في الاسبوع الاخير من اي شهر .**

واذا ما ولدت المراة توامين في بعض القبائل فان ذلك برهانا على اقترافها الزنا لانه يستحيل على رجل واحد أن يكون والد طفلين في ان واحد . وعلى ذلك فاحد الاثنين أو كليهما معا يقضى عليهما بالموت . بل وهناك عقائد يؤمن معتنقوها بأن **وجود القمل** في جسم الانسان يعتبر **بركة ونعمة** . ودليلا على حياته فالانسان الميت يهرب منه القمل ! ... بينما هناك عقائد في المقابل تعتقد أن النظافة من الايمان.

جـ ـ تأثير العقيدة على كثافة وتوزع السكان : تشكل العقيدة رابطة قوية جدا بين افراد المجتمع الذين يعتنقوها . لذلك نجد أن توزع السكان في العالم يأخذ طابعا عقائديا ، حيث نجد أن معتنقي كل عقيدة يقتربون من بعضهم البعض. .. ونظرة بسيطة الى خريطة توزع السكان في العالم ، نجد فيها ان لكل كتلة من السكان عقائد متشابهة . فالمسيحيين في اوروبا والقسم الاخر في امريكا ، والمسلمون

في اجزاء كبيرة من افريقيا ، وغربي اسيا واندونيسيا ، والبوذيون في شرق اسيا. بل ونجد في المنطقة الواحدة احيانا توزعا يعتمد التجمع الديني ، فمثلا في الهند نجد المسلمين في منطقة ، والهندوس في اخرى . بل ويمكنك ان تلمس هذا التأثير في نطاق مدينة واحدة ، وحتى قرية حيث نجد ان كل فئة لها عقيدة معينة تسكن في مكان معين ، وكثيرا ما نسمع بحي اليهود . أو حارة الاسلام أو حارة المسيحيين أو حارة الارمن .

د ــ تأثير العقيدة على الطبقات : تلعب العقيدة دورا كبيرا في ارتفاع سقف الطبقة ، وضمن هذا الارتفاع تذوب كافة فروق ارتفاعات السقوف . حيث نجد ان روح الاخوة والرفاق والمساواة تعم كافة افراد عقيدة معينة . فالعقيدة المشتركة تخفي حدة السقوف الاخرى . . **وعند اختلاف عقيدة تزداد الحدة في ارتفاع الطبقة.** ومثالا لذلك نجد انه عندما يكون في مجتمع صغير نوعا ما عقيدتين او اكثر . **فاننا نرى الشعور الطبقي اخف حدة تجاه نفس ابناء العقيدة وقويا اتجاه ابناء العقيدة الاخرى** . وتؤثر العقيدة ايضا على مفهوم الطبقة نفسه ، فهناك عقائد تؤمن بأن الوضع الطبقي يرجع الى ظروف الانتاج ، ومكان الطبقة من عملية الانتاج. **وهناك عقيدتنا التي تفسر بشكل علمي كيفية نشوء الطبقة وانها عبارة عن ارتفاع يضم قطاعا من الناس ويختلف هذا الارتفاع حسب علاقته ببنود قانون المجتمع الحيوي .**

هـ ــ تأثير العقيدة على الهجرة : ان الهجرات العقائدية في التاريخ اكثر من ان تحصى ، وقد يكون هدف هجرة اناس لمجرد ايجاد مكان يمكنهم اقامة شعائرهم الدينية ، وممارسة تشريع عقيدتهم بحرية . وقد تكون هجرة تهدف الى الدعوة للعقيدة كهجرة المسلمين من مكة الى المدينة ، ومن ثم الى أنحاء العالم (بعد انتشار الاسلام) . وكذلك الامر بالنسبة للمسيحية . وما البعثات التبشيرية الا نوعا من انواع الهجرة العقائدية . وكذلك الامر بالنسبة للهجرات الاستعمارية

الاستيطانية . كالهجرة الصهيونية الى فلسطين العربية ، وكهجرة الشيوعيين الصينيين من منطقة لاخرى اثناء المسيرة الكبرى .

٥ ـ تأثير الادارة على السكان :

وسوف ننهج نفس النهج في البحث عن اثر الادارة على البنود الفرعية السكان .

أ ـ تأثير الادارة على العروق : للادارة تأثير كبير على العروق . فالادارة ضمن المجتمع الواحد هي التي تحدد معاملة العروق المختلفة ضمن حدودسلطتها، وتختلف الادارات من حيث معاملتها للعروق ضمن حدود سلطتها . فمثلا الادارة في روديسيا الجنوبية أو في المستعمرات الاوروبية عامة الموجودة في افريقيا وامريكا، تقسم السكان حسب العروق وتقيد بعض العروق ضمن مناطق واعمال يجب أن لا تخرج عن حدودها ، وقد يصل بها الامر الى استرقاق عرق معين من قبل عرق اخر تمثله الادارة .. كما حدث في أمريكا وافريقيا وروما قديما . وهناك بالمقابل ادارات تنظر نظرة مساواة الى العروق الموجودة ضمن حدودها.

ب ـ تأثير الادارة على حجم السكان : تؤثر الادارة على حجم السكان ضمن حدودها وضمن حدود المجتمع المجاور تأثيرا يتضح من ناحيتين : اولا من الناحية التنظيمية .. فكلما اهتمت الادارة بشؤون مواطنيها كلما ازداد حجم السكان ونما.

ثانيا : من حيث نشاط الادارة : حيث ان الادارة قد تعلن الحرب على مجتمع مجاور أو تصد هجومه وهذا الشيء يؤدي الى قتل عدد كبير من الناس، وبسبب الحروب خلال هذا القرن مات عدد كبير ، وقد تكون الحروب داخلية ضمن حدود الادارة نفسها لغايات سياسية معينة تستهدفها الادارة أو تستهدف بها الادارة.

جـ ـ تأثير الادارة على توزع السكان : بالطبع يتوزع السكان في الارض حسب توزع الادارات والمراد شرحه في هذه الفقرة هو أن الادارة تؤثر على توزع السكان ضمن ادارتها فقد تفرض الاقامة الجبرية على سكان منطقة معينة ، او قد تسمح

بحرية الاقامة لكل من يريد ذلك في منطقة محدودة ، مثل ذلك (هونغ كونغ وطنجة) .

د ـ تأثير الادارة على نسبة الولادات والوفيات : تؤثر الادارة تأثيرا قويا على نسبة الولادات والوفيات من حيث تنظيمها وتخطيطها . ويزداد تأثير الادارة على هذه النسب بازدياد قدرتها التشريعية والتنفيذية ، وهناك تأثير اخر حيث نجد ان الادارة التي تخسر نتيجة حرب عددا كبيرا من افرادها تقوى فيها نسبة الولادات الى حد كبير لتعويض النقص مثال ذلك المانيا في الحرب الاولى ، والثانية فقد كانت تيسر سبل الزواج ، والانجاب وتشجعه بكافة السبل ونجد في كثير من الادارات جوائز تعطى للاسر الكبيرة . فمثلا يوجد في سوريا وسام يدعى وسام الاسرة يمنح للزوجين اللذين انجبا اكثر من ستة اولاد وللوسام درجات ..

هـ ـ تأثير الادارة على الطبقات : تؤثر الادارة على ارتفاع سقف الطبقة ، واتساع مساحتها وتؤثر على اختلاف الارتفاع بين سقوف الطبقات ، وقد تخلق الادارة طبقة حولها تخدم اغراضها .. وارتفاع الطبقة يتعلق بالادارة من حيث اقتراب هذه الطبقة من السلطة او بعدها عنها وهذا يأتي من القوة التي تملكها .

و ـ تأثير الادارة على الهجرة : تؤثر الادارة تأثيرا واضحا على الهجرة من المجتمع واليه ، وقد مر معنا فيما سبق الكثير من الهجرات التي يمكن تتبع اثر الادارة عليها واوضح مثل لذلك هو اسرائيل التي استطاعت بمدة قصيرة من الزمن ان تزيد عدد الموجودين فيها من ٣٠ الف يهودي الى ثلاثة ملايين تقريبا . وللادارة تأثير آخر على الهجرة فقد تطرد السكان من ديارهم كما فعلت اسرائيل ايضا حيث هجرت من فلسطين اكثر من مليون ونصف عربي ، وكذلك الامر بالنسبة لتهجير الزنوج من افريقيا الى امريكا والتجارة بهم كرقيق .

وقد تكون الهجرة طوعية وذلك تخلصا من مظالم معينة تسببها الادارة الداخلية .

٦ ـ تأثير القـائد عـلى السكان :

التأثير هو من نفس التأثير الحيوي الذي وضحناه في تأثير البنود الاخرى على السكان .

أ ـ تأثير القائد على العرق : ويؤثر القائد هنا تأثيرا من نوع جديد . وذلك بخصوص وضع العرق وكالتشريعات التي تصدر بخصوص المشاكل العرقية التي تعود الى توقيع قائد معين هو الذي يقود المجتمع لتنفيذ قـراره . ومثـال ذلك ابراهيم لونكلن . الذي اصدر قراراته التاريخية المعروفة حول قضية تحريـر الزنوج في امريكا . ولا يخفى ايضا تأثير القادة العرقيين مثل (مارتن لوثر كنج) الذي عمل كثيرا لجعل الزنوج في مكانة مرموقة ، وهناك قادة آخرون يعملون لعكس الغـاية .

ب ـ تأثير القائد على حجم المجتمع وتوزعهم : ودور القائد هنا في اصدار التشريعات التي تؤثر على حجم السكان سلبا . وايجابا وكثير من السكان يتجمعون في منطقة معينة اسوة برجل معين .

جـ ـ تأثير القائد على الهجرة : وهذا التأثير واضح جدا حيث نجد ان كافة الهجرات تسبقها تجربة فردية ناجحة. قام بها شخص مغامر ليصبح قائدا، وهناك دور آخر للقائد هنا حيث أن اكتشاف الارض أو الثروات الضرورية للسكان ، والامر الذي يؤدي للهجرة اليها انما يعـود الى تأثير القائد . ومثال ذلك كريسـتوف كلومبس وماجلان وغيرهما ...

د ـ تأثير القائد على الطبقات . **يقاس ارتفاع الطبقة بارتفاع قادتها** .. وكلما كان قائدها ذو ارتفاع كبير اسبغ على طبقته قدرة على الارتفاع ووصول ابناء الطبقات ذات الارتفاع القليل الى مرتبة عالية في المجتمع هو الذي زاد من مكانة هذه الطبقات .

والقائد الى ذلك يمكنه قيادة طبقته لتحقيق اهداف معينة يزيد من ارتفاع الطبقـات .

الفعالية العقلية

بعد ان درسنا الفعالية العضوية للمجتمع واتضح لنا التأثير الحيوي لكافة بنود قانون المجتمع الحيوي على بنود الفعالية المادية . فسوف ندرس فيما يلي التأثير الحيوي على كل بند من بنود الفعالية العقلية .

فالبند يؤثر على كافة البنود ويتأثر بها كلها بنفس الوقت . وبنود الفعالية العقلية هي كما عرفنا العمل . العلم . وسوف ندرس فيما يلي البند الاول .

العمل :

قبل ان نتحدث عن حركة كائن العمل ، وتأثير بنود قانون المجتمع الحيوي عليه ، يجب ان نمر بلمحة على ماهية العمل الانساني . وقبل ذلك يجب ان نتمثل اعتقادنا بأن غاية الحياة هي الحياة . اي ان ارادة الحياة هي الحياة والمجتمع الانساني هو امتداد لارادة الحياة .

واذا نظرنا الى المجتمع الانساني من جهة العمل فاننا نجد ان له ارتباطا وثيقا جدا به ، ونجد ان الحياة الانسانية هي عمل انساني .. اي ان المجتمع الانساني والعمل شيئان متلازمان . وهناك سؤالان يطرحان انفسهما علينا بهذه المناسبةوهما:

١ ــ لماذا اختارت ارادة الحياة العمل كقرين للحياة الانسانية مع انه كان يمكنها أن تختار غير ذلك .

٢ ــ واذا قبلنا بضرورة اقتران العمل بالحياة الانسانية ، فلماذا اختارت ارادة الحياة هذا الشكل من العمل للحياة الانسانية .

وللاجابة على السؤالين يجب ان نضع في حسابنا البند الثالث الاساس المنطقي ، وهو ان العقل الانساني جزء من الحياة . وبالتالي . فأنه ، يحشر نفسه خطأ عندما يحاول ان يضع نفسه مكان الحياة ككل ، وبالتالي يفهم ويدرك اعمالها ، وانما يمكنه الكشف فقط عن العلاقات التي يدركها وحتى هذا الكشف ليس مطلق الصحة . لانه يمثل وجهة نظر من جملة مقارنة معينة ، ويتأثر ايضا بالانماط العقلية لذلك سنحاول تقصي اسباب هذا السؤال ونظهر ضعف اساسه المنطقي كسؤال جدير بالجواب . حيث اننا نجد ان معاناة واقع العمل الانساني هو السبب الوحيد الباعث لهذا السؤال ، وذلك لما في هذه المعاناة من شعور بالالم لواقع الحياةالانساني منذ وعى العقل الانساني وجوده . وكنا قد ذكرنا بأن الحياة الانسانية هي عمل انساني ، ولو ان هذا العمل كان سليما لايشوبه اية اخطاء تسبب الالام والمآسي.. فانه لن يكون هناك باعثا لمثل هذا السؤال ، فالوضع السيء لواقع العمل الانساني هو الذي يبعث هذا السؤال حيث انه من المعروف أن السعيد لا يسألعن سبب سعادته .. الا اذا كان يعتقد انها عرضية ومؤقتة ، ولو انه كان يعيش سعادة ابدية فانه لاحاجة به لان يسأل عن سببها لانه لا يعرف غيرها .. اما التعيس فانه يسأل كلما احس بانه تعيس وادرك أن بامكانه أن يكون سعيدا ، ويكون السؤال عميقا بقدر احساسه ومعاناته لواقع تعيس .

ومن خلال هذا التحليل البسيط نود ان نستخلص نقطة هامة . هي أن اصحاب هذا السؤال يريدون ان يعيشون كما هم محتفظين بصفات المجتمعالانساني، وفي نفس الوقت ليسوا مضطرين للعمل ولكننا نجد ان ارادة الحياة بالنسبةللمجتمع الانساني تقرن العمل بالوجود الانساني ، وزواله يعني زوال الاخر . فمثلا نحن نعمل على المستوى الفردي لنحصل على الغذاء اللازم لفعاليتنا المادية وبزوال هذا العمل تزول ماديتنا كافراد انسانيين ، وسيتغير تركيبنا حيث لا يعود هناك حاجة لاجهزة الفعالية المادية كالمعدة والاعضاء التناسلية .. الخ .. وعدم وجودها يغير الكائن الانساني راسا على عقب .. اضف الى ذلك اله لن يعود هناك حاجة

للعلوم والصناعات والادارات والعقائد والقادة لان المجتمع الانساني يتغير عمرانه كليا . فالحجرة او الجدار لا يحتاج الى عمل مثل عملنا لان عمرانه يختلف عن عمراننا ، اذا ، **فتصمم الحياة الانسانية مقترن بالعمل كضرورة ملازمة** . والان يأتي دور السؤال الثاني ومحتواه هو : **اذا كان العمل ضرورة فلماذا اختارت ارادة الحياة هذا الشكل من العمل** . فمثلا لماذا لايكون العمل فيها كالعمل في مجتمع النحل ، او الحيوانات الاخرى . وبخاصة التي يكون فيها العمل على درجة عالية من التنظيم وبالتالي الفائدة التي تعود على المجتمع نفسه والسؤال الثاني ايضا يخالف الاساس المنطقي من حيث الطرح لكننا سنحاول معرفة دوافعه حيث سنجد أن الشعور بعدم فعالية وجدوى هذا الشكل من العمل المقترن بالحياةالانسانية، والذي يؤدي باستمرار الى الحروب ، والدمار هو الباعث لهذا السؤال حيثيتمنى سائله أن يوجد شكلا للعمل لا يؤدي الى مثل هذه الظواهر السيئة ، والتي قد تدفعه الى احتقار نفسه لكونه ينتمي لمثل هذا المجتمع ، ويحلم في حياة انسانية تقترن بشكل للعمل يعرف كل انسان او مجتمع مكانه ودوره بدون ان يفرضعليه ذلك احدا .

ومن هذا التحليل نخرج باستنتاج مماثل للاستنتاج الاول ، وهو ان هذا الشكلالآلي للعمل يتنافى وارادة الحياة للمجتمع الانساني .. وقد ذكرناسابقابان **غاية الحياة هي الحياة وان شرط تحقيق الحياة هو الحرية** . ويختلف مفهوم الحرية باختلاف الكائن ونحن في كشفنا هذا عن قانون كائنالمجتمع الانساني . فاننا نظهر ما هي البنود التي يتكون منها وما هي التاثيرات التي تجعلها تتحرك باتجاه الحرية . او باتجاه العبودية . وذكرنا ان شرط تحقيق الحرية للمجتمع الانساني تقسم الى ثلاث مستويات **لتحقيق الحرية المادية** ويشترك فيها المجتمع الانساني مع كافة الكائنات العضوية والمستوى الثاني هو تحقيق الحرية العقلية وتعتبر هذه الفعالية الميزة البدائية التي تميز المجتمع الانساني عن غيره من الكائنات والمستوى الثالث هو تحقيق الحرية الروحية وبهذه الفعالية يلتصق كائن المجتمع الانساني مع ارادة الحياة ، حيث تتصاعد حركة الحياة **وبوجود هذه**

الفعالية في المجتمع الانساني يرقى الى مستوى الحياة . بينما لا نجد هذا الشيء في عالم آلي . وللوصول الى عمل جميل يسعد النفس الانسانية ويرضيها رضىً كاملاً يجب **ان نسير باتجاه الحرية** .. وكل تقاعس او تردد او تخاذل في النضال لتحقيقها هو خطوة نحو العبودية **وللشعور من جديد بالتعاسة والغربة الروحية** .

فلكي نعي معنى وجودنا وقوانين هذا الوجود التي ارادتها الحياة يجب ان نسير به باتجاه الحرية لتحقيق الشرط الملائم لوجودنا .

وسنفصل فيما يلي : قوانين الفعالية العقلية كما فعلنا بالنسبة للفعالية المادية الذي يوضح العوامل التي تؤدي لتوجيه حركة المجتمع باتجاه الحرية . او الى العبودية وذلك بنفس نهج القانون الحيوي للمجتمع الانساني . مبتدئين ببحث كائن (العمل) .

تاثير الزمن على العمل :

سنوضح في هذا البند اثر الزمن على العمل ككائن من الكائنات بصورة عامة وككائن خاص له زمن خاص .

ان العمل كاي كائن يتحرك بأحد الاتجاهين حسب قوانين خاصة اما الى الحرية او الى العبودية وحركته تغير تركيبه بنفس اتجاه الحركة السابقة وتغير تركيبه سيغير حركته ايضا باحد الاتجاهين . ولمعرفة اتجاه حركة كائن العمل . سننظر اليه من خلال قدرته على ايصال المجتمع الى مرحلة الحرية . والعمل نفسه ككائن له زمن خاص ينقسم الى ثلاث مراحل : تدعى **باطوار التجربة لان العمل هو تجربة** .. والاطوار مشتركة لكافة التجارب مهما اختلفت .

الطور الاول : الرغبة والضرورة (اي وعي ارادة الحياة) .

الطور الثاني : القدرة على الوجود والصيرورة (ضمن قانون ارادة الحياة الخاص بالتجربة) .

الطور الثالث : العمل للايجاد والتحقيق (حسب موقع التجربة في قانون المجتمع العام) . فمثلا تجربـة الحركة بالنسبة للانسان منذ ولادته :

١ ـ ضرورة دعاها الانسـان ورغبها .

٢ ـ عندما كبر اصبح بمقدوره التنفيذ . (حسب قانون ارادة الحياة الخاص بالفرد) .

٣ ـ عمل على التنفيذ فوقف ، ومشى او اصيب بالكساح او الكسر (حسب موقع التجربة في قانون الفرد ، وهذه الحركة ستغير من تركيب محتوى التجربة اما الى الحرية (الحالة الاولى ـ او العبودية ، الحالة الثانية) وتغير التركيب سيغير اتجاه الحركة . ولنفرض أن التغير حدث باتجاه الحرية (الحالة الاولى) وتأتي حركة التجربة التالية :

١ ـ الرغبة الضرورية للركض والقفز .

٢ ـ لديه امكانية عضوية لذلك (أو ، لا . .) .

٣ ـ عمل للتنفيذ فركض وقفز (أو كسرت رجله) .

وهكذا اقتربت التجربة بالكائن (الفرد هنا) بالحياة (حسب الحالة) وهناك تجارب مختلفة المستوى **فالتجربة المادية تلبي الفعالية المادية كالزواج والتكاثـر وصنع الطعام والثياب والمسكن . وهناك تجربة عمل تلبي الفعالية العقلية كالتدريب والتعليم وهناك تجربة عمل تلبي الفعالية الروحية وهي التي تصل بالكائن الـى مستوى الحرية .**

وهذه التجارب لا توجد منفصلة عن بعضها . فمثلا **تجربة الرقص فيها تجربة على مستوى الفعالية المادية وهي الحركة ومن مستوى الفعالية العقلية معرفـة الايقاع وطرق الاشارة والتعبير واساليبها وادواتها ومن الفعالية الروحية التوافق بين الحركـة والايقـاع .**

فالزمن اذا بالنسبة للعمل هو موقع العمل ضمن القانون الحيوي للكائنات، لتعيين حركته وتحديد اتجاهه ككائن وموقع اطواره ضمن كائن المجتمع الانساني وبذلك يمكننا معرفة زمن المجتمع من بند العمل . فهناك مجتمع بدائي تكون التجربة فيه بدائية ، وهناك مجتمع شاب فتي تكون فيه التجربة فتية . وهناك مجتمع هرم تكون التجربة فيه هرمة .. خاملة هامدة .

ولذلك يقاس عمر الانسان بتجربته وليس بعدد سنيه وكذا الامر بالنسبة للمجتمع .

وبمعرفة الزمن بالنسبة لاطوار (تجربة) العمل ضمن موقعها في المجتمع الانساني يمكن التنبؤ بمستقبل هذه التجربة . وتزداد المعرفة كلما ازددنا وعيا للقانون الخاص بكائن العمل وفهم اطواره الثلاثة .

فمثلا رغب الانسان في ركوب الهواء منذ زمن بعيد . لكن هذه لم تكن مثل ضرورة صنعه للمسكن . أو اتقاء شر الوحش المفترس أو الجوع .. ولو اعتبرنا انها ضرورية . فان امكانية ايجادها في ذلك الوقت لم يكن متوفرا . وبالتالي لن يكون هناك عمل مجدي لتنفيذها .

انما كان يمكن ايجادها بواسطة الفن كالشعر والرسم والموسيقا وتجربة (البراق ، والملائكة ذوات الاجنحة) هي تجربة من مستوى الفعالية الروحية كانت في شرخ شبابها عندما اصبح وجودها ضرورة ، ولكن عندما تحرك قانون المجتمع تحركت التجربة واصبحت مجرد فكرة .. وتحول الشعر والرسم الى اختراع ملموس . ويطبق نفس الكلام بالنسبة لحركة تقسيم العمل والتخصص في جزء من اجزائه ، وكذلك الامر بالنسبة لاختلاف ادوات العمل من اليد والاظافر الى الالات الالكترونية .

تاثير الارض على العمل :

للارض تاثيران على العمل ، تاثير عام وتاثير خاص .

فالتأثير العام للارض ينبع من وعينا بأن الارض هي التي تحوي المجتمع الانساني . وتعني ايضا وباستمرار **ان كائن الارض ليس ثابتا** كما مر معنا انما **كائن متحول حسب القانون الحيوي للكائنات ، والقانون الحيوي لكائن المجتمع الانساني** والانسان يعمل ليأخذ من الارض اسباب حياته الانسانية . وتختلف شدة وقيمة العمل حسب نوع الارض الى ثلاث حالات :

١ ـ ارض تتوفر فيها اسباب الحياة الانسانية بدون جهد يذكر من الانسان .

٢ ـ ارض لا يتوفر فيها اسباب الحياة الانسانية ولكن يوجد امكانية لايجادها

٣ ـ ارض لا تتوفر فيها اسباب الحياة الانسانية ولا يوجد امكانية لايجادها.

وبما ان الكرة الارضية محدودة فانه بامكاننا معرفة انواع الاراضي بالنسبة للمنطقة الاولى وتتمثل في المناطق الاستوائية ، والثانية في المناطق المعتدلة ، والثالثة في القطبين والصحارى والبحار .

وتأثير بنود المجتمع على كائن العمل يتضح من خلال نشاط الطور الاول لكائن العمل (التجربة) وهو الرغبة الضرورية فاذا درسنا كل نوع من انواع الارض لوجدنا أن **النوع الاول لا يساعد على نشاط الطور الاول وذلك لان كل شيء موجود وفي متناول اليد . النوع الثاني يساعد على نشاط الطور الاول بشكل كبير وعلى حسب زمن قانون المجتمع العام ، أما النوع الثالث فلا يساعد البتة .** لذلك لا تجد أي نوع للعمل في هذه المناطق ويقول موريس دوفرجيه في هذا الموضوع (اذا قرانا خريطة اقتصادية منقسمة الى مناطق كبرى على حسب المناخ لوجدنا أن الحد الاقصى من التخلف يقابل المناطق الجليدية في الشمال والجنوب . وخط الاستواء والمناطق الصحراوية بين المدارين والحد الاقصى للازدهار في المناطق المعتدلة امريكا الشمالية وروسيا واوربا وشمال افريقيا وساحل المتوسط هذا في الجزء الشمالي أما الجنوبي فأستراليا ونيوزيلندا واجزاء من التشيلي وشريط جنوب افريقيا) . ونحن كنا قد ذكرنا أن الارض هي الاخرى كائن متحرك .. ويتأثر العمل بحركة الارض حيث نجد ان كثيرا من الناس يزاولون في كل فصل

عملا معينا يتناسب مع الفصل . **وقبائل الاسكيمو توائم نفسها باستمرار مع دورة المناخ القطبي الشمالي السنوية** . حيث يقوم القادرون على العمل في القبائل بمزاولة مهن مختلفة باختلاف فصول السنة . ويفرض طغيان الطبيعة القطبية الشمالية على الصيادين القطبيين جدول مواعيد يماثل في شدة وطأته ما تفرضه على عامل المصنع الادارة العلمية .

وكنا قد لمحنا في بحث الزمن والارض ان حركة الارض تغير عمرانها (كأي كائن) **وبالتالي قد يسود الجفاف في مناطق كانت كثيرة الامطار** .. وهذا الشيء يؤثر على العمل . حيث ان حلول الجفاف يدفع بعض المجتمعات الى امتهان الصيد بدلا من الزراعة ويشير الدليل الاثري في **(آنو) ان القبائل التي تقطن وراء منطقة بحر قزوين عندما حلت فترة الجفاف في المرة الثانية عمد قسم كبير من القبائل الى مزاولة مهنة تربية الماشية فاصبحوا بدوا** .

وهناك دليل آخر على تأثير الارض على العمل حيث نجد انه عندما تتشابه ظروف الارض يتشابه العمل كالحالة في السهب والبحر فالسهب **(بحرا لا يحصد)** كما يدعوه **(هومير)** وتسطع السهب وسطح الماء شيء مشترك وتتشابه الاعمال . ففي السهب تقوم الاعمال الرعوية والصيد وكذلك الامر بالنسبة للبحر حيث يكون العمل الاساسي هو الصيد والتجارة .

وهناك شبه بين جحافل البدو الرحل الذين يتبعون سنويا نفس مدار المراعي الصيفية والشتوية وبين أسطول الصيد الذي يتجول من ضفة الى اخرى وفقا للموسم .

وهناك تشابه بين قوافل التجار التي تقايض حاصلات الشواطيء البحرية المتقابلة ، وبين قوافل راكبي الجمال التي تتصل عن طريقها شواطيء السهب المتقابلة بعضها بالبعض الاخر ، وهناك شبه بين قرصان الماء وغزاة الصحراء ..

تأثير السكان على العمل :

وسوف ندرس التأثير من خلال البنود الفرعية للسكان كما مر معنا سابقا.

تأثير العرق على العمل :

ان تأثير العروق على العمل ينظر اليه من ناحية واحدة فقط . حيث أن العرق الاستوائي يصعب عليه ان يعمل في منطقة القطب بدون أن يوائم نفسه بتمرين معين او ظروف معينة ، **اما ما يقال بأن لكل عرق قدرة معينة على العمل فهو باطل في نظرنا .**

تأثير حجم المجتمع على العمل :

ان لحجم المجتمع تأثير واضح على العمل حيث أن المجتمع الكبير تكثر فيه مجالات العمل وتتنوع ، ففي مجتمع المدينة نجد اعمالا كثيرة ومتنوعة بالنسبة للقرية . ويمكن تطبيق الشيء نفسه على المجتمعات الاكبر ويلاحظ أن المجتمع الصغير تنحصر فيه الاعمال التي تلبي الحاجات المادية قبل كل شيء . ويلاحظ ايضا أنه في المجتمعات الكبيرة يصبح هناك نوع من التخصص في العمل ، بينما **نجد في القرية ان النجار والميكانيكي ومصلح العربات والطبيب والمرض وبائع القماش والخضر والموالح وموزع البريد ومدير المقهى بل وقد يكون رجل الدين . كل هذه الاعمال تجدها في شخص واحد .** بينما نجد العكس تماما في مجتمع المدينة حيث نجد ان لكل صنعة اكثر من خمسين نوع ونوع يقوم بها مختص . فالنجارة مثلا يوجد واحد للابواب واخر للنوافذ واخر لغطاء النوافذ واخر للمفروشات واخر للاطارات واخر للزوارق واخر للعربات واخر لادوات الزينة واخر لادوات الفلاحة .. الخ .. وهناك أكثر من مائة فرع للميكانيك .. والعربة نفسها لها عدة فروع وهذا الشيء ادى الى توجيه حركة العمل باتجاه الحرية .

تأثير الاجل المتوسط على العمل :

يؤثر الاجل المتوسط تأثيرا واضحا على العمل . فالعمل الانساني يحتاج الى سن معينة لاتقل عن خمسة عشرة سنة بالنسبة لبعض الاعمال و ٣٠ سنة بالنسبة للبعض الاخر . كالطب مثلا .

اي ان هناك سنا غير منتجة بالنسبة للانسان وتزداد هذه السن بتقدم العلم ويزداد تاثيره ، فكثرة عدد الذين يستهلكون دون أن ينتجون تعرقل تقدم حركة العمل والعكس صحيح .

والعمل لم يتقدم لولا تقدم حركة الاجل المتوسط للانسان حيث أن الطفولة في الجماعة البدائية كانت تتعرض لكثير من الاخطار والامراض.ونسبة الوفاة فيهم عالية ، والشباب في تلك الجماعة قصير الامد . لان الزواج كان يبدأ في سن مبكرة. فتبدأ التبعات الزوجية وسرعان ما يضيع الفرد في ثقال المهام التي يكلف بها مثل تزويد الجماعة بزادها والدفاع عنها . **فالنساء ينويهن حمل الاطفال والرجال ينويهم تزويد نسائهم واطفالهم بضرورات الحياة** حتى اذا ما فرغ الابوان من تربية الطفل الاخير نفذت قوتهما . ولكن عندما تقدم الاجل المتوسط اصبح الانسان أكثر قدرة على العمل . وبالتالي تقدم العمل ودراستنا للاجل المتوسط في المجتمعات تظهر لنا قوة العمل .

الولايات المتحدة الامريكية	٦٩	يابان	٥٨
روسيا	٦٩	يوغوسلافيا	٥٦
بريطانيا	٦٧	المكسيك	٣٨
فرنسا	٦٤	الهند	٣٢
المانيا	٦٠	الوطن العربي	٣٦

تأثير الهجرة على العمل :

للهجرة تأثير ذو وجهين بالنسبة للعمل ، وذلك في المجتمع المهاجر منه والمجتمع المهاجر اليه .

حيث أنه من المعروف ان الذين **يهاجرون هم الشباب** وليس اي نوع من الشباب **انما المغامرون من الشباب** . والشباب هم القادرون على العمل لذلك فان الهجرة تضعف العمل في البلاد المهاجر منها مثل الهجرة التي أجبرتها تركيا على اصحاب الحرف والعلوم للهجرة من الاقطار التي كانت تحتلها الى استامبول الامر الذي أدى الى اضعاف العمل في البلاد المهاجر منها وقوى في تركيا كما قوى العمل في أمريكا واستراليا بعد الهجرة اليهما .. وقد تؤدي الهجرة الى اضعاف العمل كهجرة اهل الريف الى المدينة الامر الذي يؤدي الى قلة العمل في الريف فتنخفض قيمة الانتاج الزراعي كما ان عدم خبرتهم تؤدي الى امتهانهم اعمالا مرتجلة تحدث خللا في مقادير الانتاج وجودته .

تأثير الطبقات على العمل :

تؤثر الطبقات على العمل .. تأثيرا واضحا حيث ان **هناك طبقات تأنف من مزاولة بعض الاعمال** الامر الذي يؤدي الى ان تبقى عاطلة عن العمل . وعالة على المجتمع . تنهب الاخرين كالاقطاع والبرجوازيين .

وهناك تأثير اخر للطبقات حيث ان ارتفاع الطبقة يحدد نوع العمل الذي يمكن ان تؤديه ، وكلما ازداد الارتفاع كلما ازدادت قيمة الانتاج .

تأثير نسبة الذكور والاناث على العمل :

تؤثر نسبة الذكور والاناث على العمل في المجتمع ، وذلك لان لكل جنس قدرة على العمل تختلف عن الاخر ، **فالرجال يؤدون الاعمال الصعبة جسديا (غالبا) والاناث بالعكس بسبب ظروف الحمل والرضاعة والحيض والتربية** ، ويختلف دورها حسب زمن العمل ونوعه **ففي مرحلة الصيد** كانت تؤدي كل الاعمال ماعدا الصيد بينما **يسترخي الرجل معظم العام** في زهو .. وفي الوقت الحاضر هناك **امكانية لاستغلال قدرة النساء** في العمل استغلالا كاملا .

تأثير العلم على العمل :

يؤثر العلم تأثيرا كبيرا على العمل ، وذلك لان العلم هو الذي يحتوي تجربة العمل . وهو الذي يحدد ابعاد التجربة ويظهر تأثيره في **الطور الثاني للعمل** (التجربة) **والتي هي امكانية الوجود** . واهم اقسام العلم . **اللغة والاعداد** وهي ليست **للتفاهم لانجاز عمل ما فحسب ، انما اداة للتفكير في صنع عمل أيضا** .

ونستطيع أن نرى بوضوح اثر العلم من خلال أي مجتمع حيث نجد انه كلما كان المجتمع متقدما كان العمل متقدما مهما كان نوع العلم . ومن الاشياء الاولية في العلم هي التنظيم .. فمثلا ان نظام الوجبات الثلاث في كل يوم له تأثير كبير على العمل ، فالجماعات الجاهلة اما أن تتخم نفسها دفعة واحدة . او تمسك عن الطعام . وكذلك الامر بالنسبة لنظام الادخار فهناك بعض قبائل الهنود الحمر. يحكمون على من يدخر طعاما . بضعف المراس وانعدام الذوق . **فالحياة في قبيلة (البوشمن) في افريقيا . اما (وليمة او مجاعة)** وسأل (بيري) احد ادلائه من **الاسكيمو : فيم تفكر ؟ فكان جوابه (ليس لدي ما يدعو للتفكير لان لدي مقدارا كافيا من اللحم)** .

وانك لتجد في القبائل البدائية مسابقات لمن يأكل اكثر .. واهل استراليا الاصليين لا يستطيعون العمل كائنا ما كان مادام جزاء العمل لا يدفع لهم فور ادائهم العمل .

ويحدد العلم في المجتمع نوع العمل . فمرحلة الصيد تقابل الدرجة الدنيا من العلم بينما الزراعة تقابل درجة اعلى من العلم . اصبح الانسان بموجبه يستعمل الالات البدائية ويفهم طبيعة التربة وفصول السنة ويعتقد ان الرعي يقابل درجة اعلى من العلم وان كانت الزراعة كعمل متقدمة عن الرعي لان فن استئناس الحيوانات اسمى من فن استئناس النباتات . لانه كما يقول ارنولد توينبي : يمثل انتصار الفطنة والارادة البشريين على مادة اصعب قيادا ان الراعي فنان

اعظم من المزارع وهذه حقيقة ذكرت في عبـارة مأثورة **وردت في سـفر التكـوين الاصحاح الرابع ١ ـ ٥ . وهي : عرف ادم حواء امرأته فحبلت وولدت قابيل .. ثم عادت فولدت اخاه هابيل . وكان هابيل راعيا للغنم وكان قابيل عاملا في الارض وحدث من بعد ايام ان قابيل قدم من ثمار الارض قربانا للرب وقدم هابيل أيضا من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكن الى قابيل وقربانه لم ينظر .** وكذلك الامر بالنسبة للاعمال الميكانيكية والذرية . فلولا تقدم علومها لما كان في وسع الانسان ان يعمل في ميدانهمـا .

تأثير العقيدة على العمل :

لكل عقيدة تشريع خاص للعمل .. ويعتبر هذا التشريع هو المسؤول عـن درجة العلم وفعاليته ، ويختلف تأثير العقيدة على العمل من عقيدة لاخرى حسب موقف العقيدة من اطوار التجربة . فقد تقف العقيدة موقف المنافي أو الحيادي من الطور الاول للتجربة او المشجع وقد يتغير الموقف في الطور الثاني والثـالث فمن المعروف أن العقائد البدائية . تعارض الاعمال العلمية او الفنية ، وتعتبرها تهديدا لوجودها **وخرقا للايمان وكفرا بوجود الله** . وقصة اعدام كوبرنيقـوس معروفة وكذلك اعمال (سافونا لورا) وكذلك الامر بالنسبة للافكار التي كان يدعو لها رجال المجتمع في عصر الانحطاط بالنسبة للبلاد العربية .

وهناك تأثير واضح نأخذه من الواقع المحلي ، حيث نجد ان بعض المجتمعات **تحرم عمل النساء** . لذلك **فان نصف المجتمع يشل** .. وهناك العكس .. والعقيدة تؤثر على قيمة العمل فهناك عقائد تدعو الى الخمول والكسـل .. وعدم الحركـة. وعقائد تدعو الى العمل . وتجعله مقياسا لقيمة الانسان .. ويمكن أن نلحظ اثر العقيدة على العمل في مجتمعات مختلفة . فقد كتب (لوسكيل) عن القبائل الهندية في الشمال الشرقي يقول : انهم من الكسل بحيث لا يزرعون شيئاً بانفسهم بل يعتمدون على احتمال ان غيرهم لن يرفض أن يقاسموه في انتاجه . ولما كان النشيط لا يستمتع من ثمار الارض أكثر مما يتمتع به الخامل فان انتاجهم يقل عاما بعـد

عام ، ومن راي داروين ان المساواة التامة بين الفويجيون تقضي عـلى كل امـل في تحضرهم . وتؤثر العقيدة بشكل ملحوظ على استغلال جماعة لاخري . وذلك حسب موقفها من فئات المجتمع . فقد تشجع الاستغلال او تمنعه او تقف موقف الحيادي .

تاثير الادارة على العمل :

وهناك نوعان من الادارات بالنسبة للعمل ادارة المجتمع بشكل عام وادارة العمل بشكل مهني وتأثير ادارة المجتمع العامة على العمل تظهر في مدى اهتمامها للعمل او عدمه وبخاصة بالنسبة للمشاريع الكبرى التي تخرج عن نطاق الافراد وتخص المجتمع بشكل عام او تسهل قيامها واثر الادارة الخاصة للمهنةيتضحمن خلال انتاج العمل نفسه . فالتنظيم والتدابير التي تتخذها الادارة لتأمين المواد الاولية واليد العاملة والظروف الملائمة وتصريف الانتاج كل ذلك ينعكس عـلى على قيمة الانتاج من معمل لاخر .

تاثير القائد على العمل :

والقادة هنا ايضا نوعين فهناك قائد للمجتمع بصورة عامة ينظم ويخطط ويشرف على تنفيذ مشاريع معينة او لا يفعل ذلك . والنوع الاخـر من القـادة المعنيين هنا يأخذون مفهوم الرواد فالرائد قد يكون مخترعا لالة معينة او يتقدم المجتمع الى عمل معين يتبعه الاخرون . وكثيرا ما تأخذ الاعمال اسم القادة مـن النوعين .. فمثلا بحيرة السد العالي في مصر تاخذ اسم عبد الناصر وتسمى بحيرة ناصر . ومعمل يسمي باسم صاحبه او مخترع (آلته) . لذلك ليس غريبا ان نقرا لديورانت قوله : ان المدينة صنيعة القلية من الناس اقاموا بناءها في اناة واستمدوا جوهرها من التراب . اما سواد الناس وغمارهم فلا يكاد يتغير منهم شيء كلما مرت الف عـام ...

العلم :

العلم هو جهد عقلي يحول الواقع المحسوس الى واقع رمزي عبر عمليتي الاحساس والادراك وتجريد هذا الادراك وتعميمه وخزنه في الذاكرة كرموز .

والعلم ايضا هو جهد عقلي قادر على استشفاف (حدس) عوالم رمزية جديدة تتحول بالعمل الى عمل مدرك محسوس .

واذا كان العمل هو مضمون حركة الحياة الانسانية فالعلم هو دليلها المباشر وهو الذي يحدد ابعادها وقدراتها الاولية (**ومن خلال العلم تصبح النفس الانسانية موضوعية**) كما يقول ماكس مللر والرمز كما مر معنا هو اساس العلم والمقصود بالرمز هو اللغة والاعداد وسوف ندرس فيما يلي تأثير بنود قانون المجتمع الحيوي على العلم .

تأثير الزمن على العلم :

ان العلم كجهد عقلي .. فانه يقترب من مفهوم العمل (التجربة) ويمكننا القول بأن العلم هو عمل فكري وبالتالي فان اطوار التجربة الثلاثة يمكن تطبيقها هنا .

والتجربة العلمية رهينة بحركة قانون المجتمع الانساني الحيوي وسوف نستعرض فيما يلي اهم المراحل التي تحركت فيها اطوار التجربة بالنسبة للغة . ولقد كانت الكلمة بداية المجتمع الانساني .. لانه بالكلمة اصبح المجتمع الانساني انسانيا . « **ويقول كاسيرر ان الانسان عاش في عالم (مواد) مدة طويلة قبل ان يعيش في عالم علمي** » . والواقع ان السكان كحشد لا يمكنهم البقاء مع بعضهم البعض مدة طويلة بدون ان تكون بينهم اداة اتصال وتفاهم . ومن هنا بدأ الطور الاول . للتجربة العلمية وهو الرغبة الضرورية لايجاد اللغة وتحرك الطور الثاني وهو امكانية ايجاد لغة وتحرك الطور الثالث وهو العمل لايجادها .. **ولكن يجب ان لانتوقع ان اللغة ولدت فورا بهذا الشكل لان اللغة اضحت كائنا**

هي الاخرى لها حركتها العامة ككائن وحركتها الخاصة المتأثرة بحركة قانون المجتمع الحيوي ، لذلك كانت النتيجة الاولى لهذه التجربة هي وجود اشارات . فالاشارات أسبق من الكلام وعندما يخفق الكلام تستعمل الاشارات ففي قبائل امريكا الشمالية تستعمل لهجات لا تحصر .. ويجيء العروسان من قبيلتين مختلفتين. يتبادلان الفكر ، ويتفاهمان بالاشارات ولقد عرف (لويس مورجان) عروسين ظلا يستخدمان الاشارات الصامتة مدة ثلاث سنوات . وللاشارات أهمية بحيث يتعذر على أفراد قبيلة (اراباهو) وبعض الشعوب الاخرى التحدث في الظلام .

ولقد كانت الالفاظ الاولى تعبر عن العاطفة ثم اتت مصاحبة للاشارة بالجسم لتدل على الاتجاه والحركة ثم مرحلة تقليد ومحاكات الحيوانات ومظاهر الطبيعة. ولا تزال كافية لغات العالم تحتوي على فئات من هذه الالفاظ التي تحاكي باصواتها الاشياء والافعال على الرغم من آلاف السنين التي مضت والتي تغيرت خلالها تجربة اللغة كثيرا حيث نجد في العربية مثلا زئير همس . تمتمة . قهقهة . انين. وشيش . زقزقة . خرير .. الخ .. وعند قبيلة (تكونا) في البرازيل القديمة لفظ يقلد صوت المسمى تقليدا تاما يدلون به على العقل (يعطس) وهو (هايتشو) وفي العربية عندما يعطس المسلم يقول ان لا اله الا الله وذلك تكملة لصوت العطس (اشهد) ولم تكن هذه التكملة موجودة قبل الاسلام وقد كنا ذكرنا في القانون الحيوي العام للكائنات ان عمران الكائن هو الذي يحدد طاقته وكذلك الامر بالنسبة للغة ويعتبر الفيلسوف فلهلم فون همبولت ان اللغة (طاقة) وليست شيئا جاهزا انما عملية مستمرة وعمران اللغة كان يتحرك باتجاه الحرية . كلما تحركت بنود قانون المجتمع الحيوي . حيث تزداد الكلمات اللازمة وهي لا تزيد عن ثلاثمائة كلمة في القبائل البدائية ومع تحرك بنود المجتمع تتحرك التجربة وتزداد الحاجة الى الكلمات فكان يلجأ الى اشتقاقها من الكلمات الاساسية التي وصل اليها ويعتبرها مصادر وقد حصر (رينان) الالفاظ العبرية في خمسمائة كلمة اصلية . وحصر (سكيت) كل الالفاظ الاوربية تقريبا في نحو اربعمائة كلمة

اصلية وقد كانت هذه الاشتقاقات معقدة الامر الذي آدى الى تكاثر اللهجات وتشاكلها . وتشابكها .

وتتحرك أطوار التجربة مع تحرك قانون المجتمع الحيوي **وتنعكس التجربة على نفسها باتجاه الحرية ..** فيزداد نشاط الطور الثاني وهو امكانية الايجاد .. ويقول (ف. بروندول) : (ان كان لنا ان ندرس احوال المبنى اللغوي فيجب أن نميز في الاجهزة **الفونولجية والمورفولجية ماهو ممكن وما هو مستحيل وما هو محتمل وما هو ضروري)** وتمر تجربة اللغة من خلال مراحل اساسية هي :
(١) مرحلة العزل ، (٢) مرحلة التلاصق ، (٣) مرحلة التفريق . وكلما تقدمت تجربة اللغة باتجاه الحرية كلما التصقت بالحياة واصبحت اكثر قدرة على التعبير عن الجواهر المجردة وبالمقابل نجد ان اللغات القديمة معقدة وليس فيها معنىً صريحاً فسكان استراليا الاصليون يطلقون اسما على ذيل الكلب واسماء اخرى على ذيل البقرة والثور .. الخ .. لكن ليس في لغتهم كلمة تدل على (ذيل) بصفة عامة وقد كتب (هامر برجشتال) بحثا عد فيه اسماء **الجمل في اللغة العربية فوجد عددها يتراوح بين خمسة الاف وستة الاف كلمة (٥٧٤٤) من الكلمات التي تصف الجمل** ليس فيها ما يقدم لنا فكرة بيولوجية علمية وكلها تعابير عن تفاصيل حسية تتعلق بشكل الجمل وحجمه ولونه وسنه ومشيته ونجد في كثير من لغات القبائل الاصلية بأمريكا تنوعا مدهشا من المصطلحات تدور حول فعل واحد كأن تدل مثلا على المشي والضرب . فالكلمة التي تدل على ضربه بقبضة يد ليست هي نفسها الكلمة التي تدل على ضرب براحة الكف . وتحتاج الضربة بسلاح الى اسم مختلف عن الضرب بالسوط أو القضيب .

وفي البرازيل الوسطى قبيلة هندية تسمى (البكيري) تتكلم لغة بهذا الاسم وقد قص (كارل فون دون شتاين) أحد ابنائها انها تضع لكل فصيلة من الببغاوات والنخيل اسما معينا بينما لا يوجد فيها اسما لنوع الببغاء او نوع النخيل وانهم يتعلقون كثيرا بالخواطر الجزئية العديدة حتى أنهم لا يهتمون بالخصائص العامة.

وهنود (تشكتو) يطلقون اسما على السنديانة السوداء يختلف عن السنديانة الحمراء ، أو البيضاء ولكنهم لا يعرفون كلمة واحدة تدل على السنديانة بصفة عامة واهل (تمسانيا) يطلقون على كل نوع من الشجر اسما لكن ليس لديهم كلمة واحدة تدل على الشجرة بصفة عامــة .

وهذا تابع الى حركة التجربة كما ذكرنا فالاهتمام بالكليات غير ممكن لقبيلة هندية او قبيلة تعيش في البادية العربية أو الافريقية الموجودة في القطبين لان الطور الاول للتجربة غير ضروري فهي تحس وتدرك الاشيــاء بخصائصهــا المتطــورة المحسوسة وذلك يكفيها بل وهناك لغات كثيرة لا تعامل الشيء المستدير بنفس الطريقة التي تعامل بها المربع او المستطيل لان كل واحد من هذه الاشكال ينتمي الى (جنس) مخالف ويميز جنسه بوسائل لغوية خاصة كاستعمــال المقاطــع الصلبــة .

وفي كثير من اللغات نجد وفرة اسماء الالوان حتى ان لكل لون أو ظل يحمل اسما خاصا بينما الالوان الاساسية ابيض احمر ازرق اصفر اخضر غير موجود وتختلف اسماء الالوان حسب طبيعة الاشياء فقد تستعمل كلمة اللون الداكن مثلا وانت تتحدث عن الصوف او الاوز وتستعمل كلمة للدكنة وانت تتحدث عن الخيل او الماشية وتنطبق تجربة الاعداد تقريبا على تجربة اللغة حيث ان الاعداد كانت في المرحة البدائية مقترنة بالمحسوسات حيث نجــد ان قبيلــة بدائيــة **(كاتمسانيين) يعدون الى العدد اثنين ولم يتجاوزون (بارمري ـ كالاباوا ـ كارديا) اي (واحد اثنين كثير) واهل قبيلة (جوراني) في البرازيل يعدون لابعد من ذلك** حيث يقولون (واحد اثنين ثلاثة اربعة كثير) والهولنديون الجدد ليس لديهــم كلماتَ للفظتين (ثلاثة او اربعة) بل هم يطلقون على ثلاثة كلمة (اثنين وواحد) **وعلى كلمة اربعة كلمة (اثنين واثنين) واهل (دامارا) لا يقبلون ان يبادلوا غنمتين باربع عصي . لكنهم يقبلون ان يبادلوا غنمة بعصوين ثم يكرروا العملية مرة اخرى** وكان العدد وسيلته الاصابع ومن هنا نشأ النظام العشري ولما ادرك فكرة العدد

الاثني عشري فرح به لانه كان مريحا للنفس بقبوله القسمة على خمسة من الاعداد الستة الاولى وهنا ولد النظام الاثنى عشري، السنة ١٢ شهر ، النهار ١٢ ساعة وفي انكلترا اثنا عشر بنسا تكون شلنا والدستة اثنا عشر والجروسة اثنا عشر دستة والقدم اثنى عشر بوصة اما العدد ثلاثة عشرة (١٣) فهو على عكس سالفه يأبى الانقسام لذا كرهه الناس وعد مصدرا للتشاؤم .

ولما اضيفت اصابع القدمين الى اصابع اليدين تكونت فكرة العشرين ولا يزال استعمال هذا العدد ظاهرا في قول الفرنسيين (اربع عشرينات) ليدلوا على ثمانين ثم استعملت اليد كلها (للشبر) والذراع والقدم ثم استعمل الحصى ولا تزال الكلمة الانكليزية للعدد (Calculate) تشير بأصلها اللغوي الى اصل معناه (حجر صغير) . وكانت بداية الفلك في قياس الزمن بحركات الاجرام السماوية وكلمة مقياس نفسها في اللغة الانكليزية (Measure) وكلمة شهر (Month) وربما كلمة انسان (Man) وهو الذي يقوم بالقياس كل هذه الكلمات تعود براي (ديورانت) الى اصل لغوي معناه القمر (Moon) لان الناس قاسو الزمن بدورات القمر قبل قياسه بالاعوام بزمن طويل وقبل فيثاغورث كانت اللغة الاسطورية واللغة العددية تتلاقيان على نحو غريب مثال ذلك التنظيم الاولي من التنجيم البابلي .

وتطور العدد حتى اصبح هناك ما يدعى بالاعداد الصماء حيث اصبح العدد فاقدا لكل اسراره الخصائصية المتصلة بكينونته ويجد فيه الفلاسفة الحديثين امثال : **فريجيه ورسل وبنيو وددكند** قوة رمزية تفوق رمزية الكلام تفوقا لايحد.

ومن هذه اللمحة يتضح لنا ان العلم هو بند من بنود المجتمع الانساني ويتقيد بحركة قانونه الحيوي وان هذا التحرك بالنسبة للعلم يسير الان باتجاه الحياة الحرية حيث اصبح الانسان الان بمقدوره صنع الات الكترونية تقوم بكثير من الاعمال التي يعجز الانسان عن عملها **وليس بمستغرب أن يصل العلم الى درجة**

يولد الحياة حيث يصبح عندها المجتمع يتحرك على خط ينطبق على خط ارادة الحياة للمجتمع الانساني .

تأثير الارض على العلم :

تأثير الارض على العلم اوضح من ان يدرس وذلك عند اخذنا بعين الاعتبار **ان الادراك وهو اول مرحلة من العلم انما يعني ادراك العالم الخارجي والعالم الخارجي هو الارض** . وقد ذكرنا بالتعريف اننا نقصد بالارض الكرة الارضية وما عليها فالارض في هذا المعنى هي الجزء الاكبر من موضوع العلم ولو تفحصنا المواد التي تندرج تحت العلوم لوجدناها تعود باكثرها الى الارض كالكيمياء والفيزياء وعلم النبات والحيوان والفضاء وطبقات الارض وعلوم الهندسة والزراعة الخ..

وينقسم تأثير الارض الى ثلاثة اقسام عامة كالتي شرحناها في العمل ، ارض تساعد على تحرك تجربة العلم باتجاه الحرية وارض تساعد على تحرك **تجربة العلم باتجاه العبودية وارض حيادية او شبه راكدة التأثير وخصائص هذه الاراضي هي نفس خصائص الارض التي ذكرت في العمل فالارض الشاقة تساعد على تحريك تجربة العلم باتجاه الحرية وذلك للتغلب عليها والارض السهلة كالاستوائية** تأثيرها خامد بالنسبة للعلم والارض الشاقة جدا كالقطبين مثلا ومناطق شاقة اخرى في العالم تساعد على تحرك العلم باتجاه العبودية .

ويجب الملاحظة ان المناخ والحرارة والضغط الجوي والغذاء والاكسجين والضوء الخ .. لكل ذلك علاقة بالعلم **وتغير احد هذه الشروط يؤثر مباشرة على العقل البشري . ففي الارتفاعات العالية مثلا يفقد الانسان كثيرا من وعية ويصاب بالبله والميل الى الضحك بدون شعور** .. وكذلك الامر بالنسبة للحرارة ونجد ان ادارات التربية والتعليم تعنى بهذه الناحية عندما تختار فصل الشتاء كموسم لبدء السنة الدراسية . وتجعل فصل الصيف الحار عطلة ..

والى تأثير الارض ايضا على العلم يمكن ان تعود خشونة اللهجة او نعومتها

حيث نجد ان لهجـة المدينة أكثر ليونة من لهجة القرية . وكذلك نجد ان انتشار اللغة يتاثر بالارض تاثيرا كبيرا .

تاثير السكان على العلم :

ان العلم كنشاط للعقل الانساني فانه يتأثر بدوره ببنود قانون المجتمـع الحيوي ومنها السكان حيث ينطبق واقع السكان على العلم مباشرة . وسوف نستعرض اهم هذه التاثيرات من خلال عناصر السكان على العلم .

١ ـ تاثير العرق على العلم :

لقد اثير الكثير من الافكار حول خصائص العروق الفكرية ووجدت العديدة من الافكار والمقولات التي انتحلت العلمية وقسمت وقيمت العروق حسب قدرتها العلميـة .

وبعضها يقول ان العرق الجرماني ارقى العروق او ان **الشعب اليهودي هو الشعب المختار . ووصفت هذه الاراء العرق الاسود بانه اسوا العروق ولكن هذه الاقوال كلها أثبت الواقع بطلانها وقد أكد العالم (ميكلوخ ماكلاي) (١٨٤٦ ـ ١٨٨٨) الذي عاش بين البابواسين انه لا توجد أية فروق معنوية بين هؤلاء الناس من حيث العمل النفساني والتطور الجسماني وبين ممثلي اي جنس بشري اخـر ..**

وتاثير العرق على العلم من وجهة النظر هذه باطلة في عقيدتنا .

ولكن هناك تأثير من وجهة نظرنا هو ان العروق الاساسية في العالم كانت في الزمن البدائي قليلة العدد وكل عرق كما مر معنا لدى بحث (الزمن والعرق) ان افراده كانوا يعيشون مع بعض وبالتالي فان علومهم ستكون متقاربة وعـلى الاخص اداة العلم (اللغة) وقد امكن ملاحظة ان كل عدة لغات تعود الى عرق معين ولها خصائص عامة متقاربة فهناك لغات سامية ولغات هندية ـ اوربية فاللغة **العبرية والعربية والسومرية والاكدية والاشورية والفرعونية والكنعانية والحميرية**

والبربرية والسريانية وكافة اللغات التي سادت قبل الاسلام في بلاد الشام والعراق وشمال افريقيا واللغات الهندية الاوربية ـ او التابعة للعرق الاري وهي البرتغالية والجرمانية والسلافية والفارسية وقد قال (ارتورد جوينبو) أن (جوس) (احد علماء اللغة عام ١٨٨٧) راعه ما هناك من شبه بين اللغات السنسكريتية والاغريقية واللاتينية والالمانية والسلتية وكانها مشتقة من لغة واحدة أطلق عليها توماس يونغ (١٨١٣) اسم اللغة الهندية الاوربية وبعدئذ اطلق اسم الشعب الاري على الذين يتكلمون هذه اللغات .

ويتضح مما ذكرنا ان لكل عرق لغة خاصة تقريبا فاللغة الصينية والانامية والتيبيتية وحيدة المقطع كثيرة المقاطع والحروف .

٢ ـ تاثير حجم السكان على العلم :

ان لكبر حجم السكان او صغره تاثيرا مباشرا على العلم يتضح من خلال معرفتنا بانه كلما كبر حجم المجتمع ازدادت الاعمال وتنوعت ومنها العمل الفكري (العلم) لذلك نرى ان وجود المدارس والهيئات التدريسية تكثر حيث الاماكن التي فيها عدد اكبر من السكان كالمدن الكبرى والمناطق القريبة من التحشدات بينما تقل في القرى والمناطق قليلة السكان ويتضح تأثير الحجم على اللغة فاللغة تنتشر وتقوى كلما ازداد حجم المجتمع الذي يتحدثها لذلك نجد ان **اللغات القديمة منحصرة بحدود مجتمعاتها الصغيرة** بينما الان يتقلص عدد اللغات العالمية كثيرا الى عدد يوازي نسبة الحجوم التي تتكلم كل لغة من اللغات ويؤثر حجم وتوزع السكان على عدد اللهجات للغة الواحدة ويتضح هذا في جميع اللغات تقريبا .

٣ ـ تاثير الاجل المتوسط على العلم :

تاثير الاجل المتوسط هنا مثله مثل تاثير الاجل المتوسط على العمل ويمكننا معرفة لماذا يسود الجهل في المجتمعات ذات الاجل المتوسط الصغير وتزداد نسبة التعليم والثقافة في المجتمعات ذات الاجل المتوسط الكبير .

٤ ـ تأثير الطبقات على العلم :

تؤثر الطبقات على العلم تأثيرا كبيرا وذلك من خلال **الدور الذي يمكن انتقوم به ويرتبط ذلك بارتفاع سقفها وسعة مساحتها ومن هنا نرى ان هناك علوما ارستقراطية وعلوما شعبية وعلوما للخاصة واخرى للعامة ولغة راقية ولغة سوقية** وتختلف معاني اللغة فتجدها سامية في الطبقات العالية ومبتذلة في الطبقات السفلى .

٥ ـ تأثير الهجرات على العلم :

تؤثر الهجرات على حركة العلم تأثيرا كبيرا وذلك لانها على الاقل تحدث اخصاب بين حركتين وان كانت علوم المهاجرين ارقى فانها تصعد علوم المهاجراليهم وان كانت اقل فانها ترقى . وغالبا ما تكون علوم المهاجرين ذات اتجاه ليس من الشرط أن يكون هو نفس اتجاه علوم المهاجر اليهم الامر الذي **يؤدي بالهجرات الى تكامل العلوم وتصعيد حركتها وهناك بعض الباحثين يرجعون اي تقدم علمي الى هجرة من الهجرات لان المهاجرين يحملون روح المغامر المبدع .**

وكنا قد ذكرنا ان اللغة مرت في مراحل ثلاث اوسطها التلاصق او التلاقي وهذا يعود الى الهجرة بدون شك ويعزو العالم (نيوجيباور) **الى الحضارة البابلية بانها هي مهد الحياة الحضارية جميعا** ويعلل ذلك بوجود شعبين متجاورين يختلف كل منهما عن الاخر وهما **السومريون والاكديون** وعندما **التقى الشعبان** وشاركا معا في حياة سياسية واجتماعية وثقافية مشتركة وجدت لديهما مشكلات تستدعي حلولا ومشكلات حركت الطور الاول للتجربة (وهو الرغبة الضرورية لايجاد) قوى فكرية جديدة ولم تكن اللغة السومرية الاصلية لدى الاكاديين فلم يستطع هؤلاء ان يحلوا النصوص السومرية المكتوبة الا بعد جهد عقلي مرير ومشقة بالغة وبهذا الجهد تعلم البابليون أول مرة **ان يفهموا معنى الرموز المجردة وان يستغلوها ويقول (نيوجيباود) : ان كل عملية جبرية تفترض مقدما ان الواحد يملك رموزا معينة ثابتة من اجل غرضين .**

أ ـ من أجل العملية الرياضية ، ب ـ من أجل الكميات الثابتة التي تطبق عليها هذه العمليات ولا يمكن بغير مثل هذه الكميات الرمزية ان تضم معا الكميات التي لا تحد . أو تميز عدديا ولا نستطيع أن نحصل على توافيق جديدة الا ان مثل هذه الرمزية ظهرت، حلا اتبع في كتابة النصوص الاكدية .

ومنذ البدء **استطاع البابليون** اذن ان يحكموا اهم اساس للتطور الجبري ويعود ذلك الى الهجرة التي جمعت بين شعبين .

ويمكن ملاحظة الكثير من مثل هذه الامثال التي تدل على تقدم حركة العلم بسبب الهجرة وابرز مثال **هو نتاج الحضارة الهلنستية** . والهجرات الدينيـة **الاستعمارية (كالصليبية)** وبهذا نكون قد اتينا على اثر بند السكان على العلم .

تأثير العمل على العلم :

يؤثر العمل على العلم تأثيرا واضحا جدا اذا وعينا ان **العلم هو دائرة وعي مركزها العمل .. يزداد محيطها بازدياد نشاط المركز ((العمل))** . وهذا يتم من خلال اطوار التجربة حيث يتحول العمل الـى علم تطبيقي وهنـاك من يرى أن الهندسة كعلم بدات مع العمل الزراعي حيث انها كانت عبارة عن قياس الارض المزروعة وحساب الانتاج وان **علم الفلك مقترن بضرورة حساب المحصول والفصول التي يجب الحراثة او الجني فيها** . ويستدعي ذلك مشاهدة النجوم وانشاءالتقويم ثم تقدم الفلك بالملاحة . **وطورت ضرورة مبادلة المحصول (التجارة) علم الرياضيات** كما ان فنون الصناعة وضعت اسس الكيمياء والفيزياء ..

بل هناك من يقول ان **أصل الكتابة** يعود الى ضرورة **(اثبات العلامات التجارية)** وان زيادة هذه العمليات اقتضت مجموع العلامات المكتوبة وكانت اول صورها حسية ثم اخذت الشكل الرمزي لسهولة التبادل .

وكثيرا ما يقف العلم بسبب العمل اللازم للطور الثاني للتجربة وهو امكانية الايجاد . حيث اننا نجد أن هناك العديد من النظريات **العلمية الصحيحة** والتي ترجع

الى عدة الاف من السنين لم تأخذ مكانها الصحيح الا عندما وجدت الادوات والوسائل التي يمكن البرهنة بها على صحتها . ومثال ذلك ما فعله **صنع العدسة من كشف عالم الجراثيم والفضاء الكوني** . ومن المؤكد أن حركة الفلك لم تتقدم الا منذ مرحلة الزراعة . لان الانسان لم يكن في عهد الصيد اكثر من حيوان آكل للحوم يضاف الى قائمة وجباته لحم الحيوانات الاخرى وكانت تلك المرحلة مقترنة بالاضطراب والقلق فاصبحت مستقرة مطمئنة في عهد الزراعة . وقد تعلم الانسان من الرعي (فن استئناس الحيوان) أول مبادىء علوم التنظيم والادارة الاجتماعية حيث اننا نجد أن اكثر الانبياء رعاة .

ونجد ان المجتمع الميكانيكي أكثر وعيا وادراكا بواقعهم ويتسع الحديث حسبما نشاء الا اننا لا نريد في البحث غير الدلالة فقط .

تاثير العقيدة على العلم :

لقد مر معنا في تعريف العقيدة انها هي التي تحدد مدى اقتراب المجتمع الانساني وابتعاده عن ارادة الحياة . الحرية .

وذكرنا أنها تشمل على التجارب العقائدية الثلاث الحق والخير والجمال . وتؤثر هذه التجارب منفردة ومجتمعة من خلال أطوارها على العلم تأثيرا مباشرا . **حيث ان الفرق بين اللغات كما يقول (فلهام فون همبولت) انما فرق في (مجالي النظر الكونية)** وهذا يعود الى المثل العليا الحق والخير والجمال .

وترتبط حركة اللغة بالعقيدة ارتباطا وثيقا **ففي العقائد البدائية تكون اللغة بدائية ومجازية** . وتشكل اللغة والاسطورة توءمان لدى العقل البدائي فكلتاهما قائمة على تجربة انسانية عامة مبكرة .. فالقدرة على الكلام واستخدام اللغة تعبر عن القدرة لفهم حقيقة العالم .. ولقد اكتسبت الكلمة عند بعض الشعوب قوة سحرية (**فالشعر ينزل القمر من عليائه) ومن المعروف ان العقيدة الاسلامية**

الاسلامية مبنية على القرآن الذي يعتبر معجزة في البلاغة لذلك يعتمده المؤمنون بالعقيدة الاسلامية كاساس للمنطق والعلم .

ويقول (فريزر) ان **امجاد العلم تمتد** بجذورها الى **سخافات السحر لانه** كلما **أخفق** الساحر في سحره **استفاد** من اخفاقه هذا استكشافا لقانون من قوانين الطبيعة يستعين بفعله على مساعدة القوى الطبيعية في احداث ما يريد ان يحدثه من ظواهر ثم اخذت الوسائل الطبيعية تسود وترجح كفتها شيئا فشيئا ولو ان الساحر كان يخفي هذه الوسائل الطبيعية ليحتفظ بمكانته عند الناس ما استطاع الى اخفائها من سبيل .. ليعزو الظاهرة التي أحدثها للسحر والقوى الخارجية.. وعلى هذا النحو كان السحر هو الذي انشأ لنا الطب والصيدلة . وعالم المعادن وعالم الفلك .

والطريق اقصر بين **الفلكي والساحر منها في** سائر ضروب العلم .. وذلك لانه لما تعددت طقوس العقائد ولم يعد الرجل العادي يقدر على استيعابها جميعا والالمام بها .. وجد شخص يتفرغ لها وهو الكاهن فالكاهن أول انسان تفرغ للعلم وهو أول عالم .

ويقول هربرت سبنسر ان العلم كالادب بدأ بالكهنة واستمد اصوله من المشاهدات الفلكية التي كانت تحدد مواقيت المحافل الدينية .

ولا يزال المسلمون حتى يومنا هذا يعتمدون على مشاهدة ظهور القمر ليحددوا عيد الفطر وبداية شهر رمضان ، وتأثير العقيدة على العلم كتاثيرها على العمل اما مشجعا او منافيا أو مخمدا فمثلا مفهوم كروية الارض في عهد كوبرنيقوس وغاليلو كان يحكم على معتنقه بالاعدام .. **وعندما نزل اول قارب بمحرك انفجاري الى بحر المانش دمره اهالي القرية** باشراف قس القرية الذي حرضهم على ذلك مستشهدا بقول من الانجيل : **ان الماء والنار لا يجتمعان .**

وهناك علوم خاصة بالعقيدة **كالفقه واللاهوت والشريعة الخ ...**

تاثير الادارة على العلم :

تؤثر الادارة على العلم تاثيرا يختلف حسب اهتمامها به او عدمه فالادارةهي التي تستطيع ان تضع الخطط الكفيلة بتقدم حركة العلم او وقفها .. او ارجاعها الى الوراء .

ولذلك نجد ان حركة العلم مقترنة بحركة الادارة وبخاصة فيما يتعلق بتعميم العلم كمحو الامية وتشجيع البحوث العلمية .

والحروب كنشاط للادارة عامل اساسي في رفع مستوى المجتمع علماً وذكاءً وحفزت الانسان على الاختراع والعلوم كلها تخدم علم الادارة . وصراع الادارات في هذا العصر صراع علمي ، بالدرجة الاولى . فالحرب عامل لا يرحم في اقتلاع الشعوب الضعيفة والقضاء عليها وحفزت الانسان على الاختراع . كما ذكرنا . وادت الى صنع الات اصبحت فيما بعد ادوات نافعة وسرعان ما تنقلب ادوات الحرب للسلم (فكم من السكك الحديدية اليوم او الطرقات العريضة تبدا على انها جزء من خطة للقتال ثم تنتهي وسيلة من وسائل التجارة) .

وهناك علوم خاصة بالادارة كعلوم الاحصاء والتخطيط . وهناك نوع اخر للادارة كادارة الهيئات التعليمية والمجالس العلمية بانواعها .

تاثير القائد على العلم :

وهناك ايضا يوجد نوعان للقادة قائد للادارة العامة للمجتمع ، وقائد ياخذ صفة الرائد ، والقادة الذين اثروا على تقدم حركة العلم من النوعين ، اشهر من ان يذكروا ، كل في مجاله العلمي ، الذين يوضعون كمثل أعلى للمتعلمين .

العقيدة

العقيدة بند من بنود الفعالية الروحية ، هذه الفعالية التي تعطي المجتمع الانساني بعدا يميزه عن الكائنات الاخرى، فالفعالية المادية موجودة لدى مختلف الكائنات، ولكن بشكل اخر يتناسب وتكوينها ، وكذلك الامر بالنسبة للفعالية العقلية حيث نستطيع ان نلمس اثارها لدى بعض الحيوانات ، وخاصة الاليفة . فالكلب يستجيب لادنى التغيرات في سلوك صاحبه ، بل ويميز تغيرات الوجه الانساني او درجات النغم الصوتي . **واذا فهمنا ان الفعالية** العقلية اما ان **تعني التعادل** مع البيئة المباشرة ، او تعني **تحوير البيئة** للتكيف معها. وجب ان نعزو الى الحيوان ذكاء راقيا متطورا نسبيا.

ويجب ان نسلم كما يقول ارنست كاسيرر ان ليس كل الاعمال الحيوانية موجهة بحضور المؤثر نسبيا ، وان الحيوان قادر على صنوف اللف والدوران في ردود فعله ، وقد يستعمل الادوات . ليس هذا فحسب بل قد يخترع أدوات تخدمه في اغراضه ، ومن ثم لا يتردد بعض البيولوجيين النفسيين، من التحدث عن خيال انشائي لدى الحيوان . **ونحن لا نريد من هذا العرض أن نقارن بين كائن المجتمع الانساني والكائنات الاخرى .. فهذا يخالف اساسنا المنطقي** . انما نريد ان ننوه على اهمية الفعالية الروحية ، ومكانها بين الكائنات التي ندركها .. فالفعالية الروحية هي البعد الحقيقي ، الذي يميز كائن المجتمع الانساني عن الكائنات الاخرى ، **فبواسطة هذه الفعالية يتصل كائن المجتمع الانساني بارادة الحياة (بالحرية)**. وهذه الفعالية هي التي تعطي كائن المجتمع الانساني مبرر وجوده ، وكنا قد قسمنا هذه الفعالية الى ثلاث فعاليات العقيدة والادارة والقائد . وسنتناول في بحثنا الان.

١ ــ **البند الاول** : وهو العقيدة ، ويجب ان ناتي على تعريف العقيدة اولا :

فالعقيدة بالتعريف **اللغوي هي ما عقد القلب والضمير عليه ، ويرادف كلمة العقيدة كلمة دين او مذهب او مبدأ .**

والعقيدة هي حصيلة **قلق حضاري** مرير ، يتأثر بحركة بنود قانون المجتمع الانساني ، ويمكن تقسيم العقيدة الى ثلاث تجارب هي :

١ ـ تجربة الحق . (وهو معرفة أبعاد الانسان في الحياة) .

٢ ـ تجربة الخير (وهو العمل بأسلوب يتناسب وتلك المعرفة) .

٣ ـ تجربة الجمال (وهو ابداع وخلق يوازي ويمثل عملية الحياة نفسها) .

وهذه العناصر تتأثر ببعضها تأثيرا حيويا عدا عن تأثرها ببنود المجتمع الحيوي ، وسوف يتضح هذا من خلال البحث .

تأثير الزمن على العقيدة :

تتأثر العقيدة بالزمن تأثيرا واضحا جدا ، **فالعقيدة هي نتاج حركة بنود قانون المجتمع الحيوي ..** وتتغير العقيدة من مكان لاخر حسب تغير حركة قانون المجتمع الحيوي . فالتجربة العقائدية هي اولا نتيجة لحركة قانون المجتمع الحيوي .. وسوف نوضح هذا الشيء بدءا من التجربة الاولى . (تجربة الحق) واطوارالتجربة باتت معروفة لدينا .. فالطور الاول هنا : وهو الرغبة الضرورية لمعرفة ابعاد الكائن الانساني ضمن أبعاد الحياة ككل . الا ان ذلك لم يكن ممكنا في المرحلة البدائية لقانون المجتمع الانساني ، ولكن ذلك الانسان كان يتجاوز الطور الثاني لهذهالتجربة، وهو عدم الامكان **بأن ينسج الاساطير التي** تعطيه بعض الاطمئنان النفسي .

والعالم الاسطوري كما يصفه ملتون (محيطا مظلما لا يحد بلا تخم ولا بعد حيث الطول والارتفاع ، وحيث الزمان والمكان جميعا الى ضياع) .

ولكن الطور الاول للتجربة يبقى بلا جواب نيحرك **فطرة الانسان بما فيها من** تساؤل عن **معنى وجوده وكيفية وجوده** وهو **كل ما يدركه من كائنات اخرى ..**

وقلق مرعب من الاحداث الغريبة التي تنقض عليهم بدون اسباب . يدركونهافتذهب بوجودهم وامنهم وتفاؤلهم بأنهم سيصلون الى الحقيقة .

وكان اول مطلب للطور الاول من تجربة الحق .. هو معرفة **الخالق** ، **الاله** الذي يدير هذا العالم . والاله في نتاج التجارب الدينية الاولى كان يحوي دائماعلى عنصرين : عنصر الرهبة والاحترام ، وقد قال لوكرش : **الخوف اول امهات الالهة.** ولقد مرت فكرة الاله بأدوار عدة حسب حركة قانون المجتمع الحيوي . وكان الاله (**الطوطم**) من المفاهيم الاولى لنتاج التجربة العقائدية في الزمن البدائي ، والطوطم هو حيوان او نبات .

وفي تلك الفترة كان يشعر الانسان **بوحدة الكائنات** . ولم يكن ليشعر بميزة من غيره من الكائنات . انما هناك قرابة عاصبة بين الحياة الانسانية والطبيعية . ويعتقدون انهم ينحدرون من حيوان معين .. ويقول العالم الاثنولجي (كارل فون شتاين) ان افرادا من عشائر طوطمية ، في احدى القبائل الهندية ، اكدوا انهم شيء واحد هم والحيوان الذي استمدوا منه اصلهم .. فاعلنوا انهم هم انفسهم حيوانات مائية او ببغوات حمر ويرى (فريزر) . ان الرئيس في قبيلة (الديري) باستراليا ، وهو ذو طوطم مؤلف من البذور كان شعبه يتحدث عنه انه هو النبات التي تنتجه تلك البذرة وقبيلة (اراكو) تعتقد انهم **سلالة التزاوج بين النساء والدببة والذئاب والغزلان** .

وهذا يعود كما ذكرنا الى الشعور بوحدة أجزاء الحياة ، التي تؤلف (**مجتمع الحياة**) في نظر هذه العقائد حيث لا يمنح الانسان في هذا المجتمع منزلة عالية وانما **هو جزء منه لكنه ليس اعلى من** الافراد الاخرين فيه وتتمتع الحياة في ارفعاشكالها واوضعها برفعة دينية واحدة . فالناس والحيوانات والنباتات كلها تقف على صعيد واحد . وقد استخدم رمزا او شعارا زاد في توثيق قرابته البدائية . واصبح على مر الزمن يتطور ، فاصبح منه **التمائم والشارات كهذه التي تتخذه الامم منشعارات** لها كالاسد والنسر او الابل التي تتخذه جمعية الاخاء بين الناس .

وكانت الحمامة والسمكة والحمل هي رمزية العقيدة المسيحية ابان نشوئها وحتى الخنزير الوضيع .. كان طوطما لليهود السابقين للتاريخ .. ولا يجوز في اغلب الاحيان اكل الطوطم وان تم فبواسطة احتفال ديني رصين وقبيلة (تمالا) في الحبشة تاكل السمكة التي تعبدها في احتفال رصين ويقول ابناؤها (اننا نشعر بالروح تتحرك فينا اذ نحن ناكلها) .

والخوف كان المحرك الاساسي الذي يغذي حركة التجـارب العقائديـة . والحدث الذي لا يزال يثير مخاوف مرعبة **هو حدث الموت** . وكان يحرك الطورالاول لتجربة الحق بعنف محموم وذلك لمعرفة هذا البعد الذي يغير تركيب الانسان جذريا .. ولم يكن البدائيون يعتقدون **بالموت كحقيقة لانهاء الحياة الانسانية .** جذريا الممتزجة مع كل مظاهر الحياة المستمرة ، وكذلك نجد ان التجربة الدينية البدائية تنكر ان يكون **الموت ممكنا ،** وكما يقول (كاسيرر) لا تقبل الاسطورة والدين البدائي اي برهان على حقيقة الموت ، **لانها تنكر** امكان الموت حتى ليمكننا بمعنى من المعاني ان نفسر كل الفكر **الاسطوري بانه انكار عنيد ثابت لظاهرة الموت .** وبفضل هذا الاعتقاد بوحدة حياة لا تنقطع ، وباستمرار تلك الحياة كان على الاسطورة ان تزيل هذه الظاهرة من الطريق .

هذه الظاهرة جلية في اثار القدماء ، ويقول (برستند) : في وصفه اقدم نصوص الاهرام : « ان النغمة الكبرى المسيطرة فيها جميعا هي احتجاج ثابت بل عاطفي ، ضد الموت ، وقد يقال انها اقدم سجل لاقدم ثورة انسانية ضد عـالم الظـلام ، والصمت الذي لم يعد منه احد !! ولا ترد كلمة موت في نصوص الاهرام الا منفية او منسوبة الى عدو، ولا نفتأ نسمع التاكيد الذي لا ينتهي بأن الاموات يحيون » .

ونرى في التجارب العقائدية تلك لدى **جميع الشعوب** اساطير متقاربة تعتقد **بان الانسان يستطيع الخلود لو كان يغير جلده الهرم مثل الافعى .** وقد عزا سكان بريطانيا الجديدة الاصليين الموت الى خطأ ارتكبه الاله ، **فقد قـال : الـه الخـير (كامبنيانا) الى اخيه الاحمق (كورفوفا) :** اهبط الى الناس ، وقل لهم ان يسلخوا

جلودهم حتى يتخلصوا من الموت ، ثم انبيء الثعابين ؟ ان موتها منذ اليوم أمرمحتوم، فخلط (كورفونا) شطري الرسالة بحيث **بلغ سر الخلود للثعابين وقضاء الموت للانسان .**

وهكذا ظن كثير من القبائل ، ان الموت مرجعه تقلص الجلد ، وان الانسان يخلد لو استطاع تبديل جلده بجلد اخر .

والخوف من الموت والدهشة من الاحداث الغريبة التي تسببه ورؤيتها في الاحلام كان كافيا لعبادة الاقدمين لارواح الموت الذين سيعودون يوما .. وكان لذلك يصنع لهم ثيابا وطعاما يوضع في القبر ، وفي بعض البلدان كان الانسان البدائي ، يخرج الجثة من الدار من خلال ثقب الحائط لامن بابها .. ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة لكي تنسى الروح اين المدخل الى تلك الداز فلا تعاودها ابدا، وقد جاء في كتاب من كتب (بوبانشاد) في الهند القديمة لا يوقظن احد نائما ايقاظا مفاجئا عنيفا لانه من اصعب الامور علاجا أن تضل الروح فلا تعرف طريقها الى جسدها ..

ووصل الانسان في تلك الفترة الى **مفهوم الروح او الشبح وعبده كاله ..** لذلك نجد ان الكلمة التي معناها اله عند كثير من الشعوب البدائية معناها في الحقيقة (رجل ميت) وحتى اليوم نرى كلمة (Spirit) في الانكليزية وكلمة (Geist) في الالمانية معناها اما روح أو شبح .

وكان يوجد لدى بعض القبائل ، ما يسمى بمراسلة الموتى .. بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة حيث اذا اراد الرئيس ان يبعث بخطاب الى ميت .. اسمع الخطاب لعبد ثم يقطع راس العبد ليؤدي الرسالة فاذا نسي الرئيس شيئا كان يريد ذكره في الخطاب ارسل عبدا اخر بنفس الطريقة ليكون حاشية الى الخطاب الاول وهذه التجربة يمكن ملاحظتها في القبائل البدائية والاديان القديمة .. ويقدم (فستل دي كولانج) في كتابه (الدولة القديمة) وصفا للدين الروماني يوضح كيف ان الحياة الاجتماعية والسياسية لدى الرومان تحمل طابع عبادة ارواح الموتى .

ولم تخص هذه التجربة البدائية (للحق) الروح بالانسان ، بل بجميع مظاهر الطبيعة ويعبر عنها البوليزيون بـ (المانا) وهذه الكلمة (Manes) من ابرز ملامح ديـن الهنود الامريكيين وفيه تشترك كل القبائل العديدة مـن (الاسكـا) حتى « بتاجونيا » اعتقادهم بحياة بعد الموت مبنية على اعتقاد عام من الاتصال بين ابناء **البشرية وارواح الموتى** . وهذه الكلمة **(المانا)** يعرفها « كودرنجتون » قوة أو تأثير غير مادي تلحق بما فوق الطبيعة من وجه ، ولكنها تظهر نفسها في القوة المادية أو في اي قوة يحوزها الانسان ، وقد يكون الحجر الذي يجذب الناس بحجمه أو شكله يمتلىء بـ (المانا) ويستطيع ان يبدي قوة سحرية ، **وهذه الارواح في ظـل المسيحية اصبحت ملائكة تهدي سواء سبيل وحتى (كير)** نفسـه كان يؤمن ان السماء نفسها عبارة عن اله عظيم ، يقام له العبادة بتبتل لانها هي التي تنزل الغيث أو تسببه . وكان الهنود الحمر في امريكا الشمالية يعزون هزيمتهم وانحلالهم الى ان البيض قد قطعوا الاشجار ، التي كانت ارواحها تقي الهنود من الاذى ، وفي جزر (مولقا) كانوا يعتبرون **الاشجار ايام الازهار حوامل اجنة** ، فلا يجيز الـى جوارها ارتفاع الاصوات ، أو اشعال النار الخ ... والا لجاز ان تسقط ثمارها. قبل نضجها ، كما تجهض المراة اذا الم بها فزع ، وفي (ابونيا) لا يؤذن بالاصوات العالية قرب الارز اذا ما ازهرت سنابله ، خشية أن يصيبه الاجهاض ، فتنقلب عودا من القش العقيم . و (الغال) القدماء عبدوا أشجار غابات معينة كانت لديهم مقدسة . **وكذلك القساوسة (الدرديون)** في انكلترا مجدوا دبق اشجار البلوط.

وهناك غير المانا (الواكان و الاورندا) وهما تماثلان في جوهرهما جوهر المانا. وتستعملان للدلالة على الاغراض الخيرة والشريرة . ونتيجة حركة قانون المجتمع الحيوي ، تحركت تجربة الحق ولم يعد ينظر الى جميع الارواح بنفس الدرجة ، وبخاصة ارواح الناس . حيث اصبحت **ارواح العظماء فقط** هي التي تقدس . ، **وبذلك انتقل الشعور بالرهبة ، والاحترام الى الجد القديم** .

وانتشرت **عبادة الاسلاف ، وشاعت بسرعة** في ارجـاء المعمورة في مصر واليونان وروما ، ولا تزال قائمة ومستولية على النفوس بقوة في اليابان والصين الان .

وهذه التجربة تؤكد بصورة عامة على وجه **للقرابة بين الاله والانسان** ويقول (روبنسون سمث) بعض ملامح الوثنية القديمة في ابرز صورها ، واثبتها ابتداء من طوطمة المتوحش فصاعدا تجد تفسيرها الكافي في القرابة المادية ، التي تربط بين الافراد الانسانيين . المنتمين الى دين واحد وهيئة اجتماعية واحدة . فالرابطة الوثيقة التي تصل الاناس بالاههم ، هي نفس الرابطة الدموية التي تعتبر في المجتمع القديم الرابطة الوحيدة بين الانسان والانسان ، وتعد المبدأ الوحيد المقدس في الواجب الاخلاقي ، ومنذ اقدم الازمنة توجه الدين متميزا بذلك عن السحروالعرافة الى كائنات تربطها بعبادة القرابة والصداقة ، وقد تغضب على عبادها احيانا ، فالدين بهذا المعنى ليس وليد الخوف والفرق بينه وبين خوف المتوحشين من الاعداء غير المنظورين فرق مطلق اساسي ، في المراحل الاولى . والمراحل المتاخرة من التطور.

كما يصف (هي جروت) عبادة الاسلاف في الصين بقوله : انها تدل على أن **روابط العائلة مع الموتى لا تنفصم** ، ويظل الموتى يمارسون سلطتهم وحمايتهم ، ومنهم الارباب **الحماة الطبيعيون للشعب الصيني** والهتهم البيتية الذين يقدمون الحماية ضد الاشباح ، ويخلقون بذلك بركة .

وعبادة الاسلاف تمنح المرء حماية الفقيد من عائلته ، **فتمنحه بذلك ثروة وفلاحا** لذلك فان **ما يملكه في الحقيقة هو ملك الموتى** . يظلون يعايشونه وتقول قوانين السلطة الابوية ان **الاباء يملكون كل شيء في ايدي ابنائهم** ، ومن ثم علينا ان نعتبر **ان عبادة الاباء والاسلاف لب الحياة الدينية ، والاجتماعية لدى الشعب الصيني.**

وتتحرك بنود قانون المجتمع الحيوي ، وتتقدم التجربة وتصل الى مفهوم الله المجرد ؟ الذي ليس له شبيه وليس له شكل او وزن او صفة ..

وتصل التجربة في عقيدتنا كما ورد في المقدمة ان الله هو الحياة ، ويمكن التحقق من صحتها بكل سهولة وذلك بمدى وعينا للاساس المنطقي .

اذا فتجربة الحق تتاثر بالزمن تاثيرا حيويا **وتعتبر دليلا على مكانها** في حركة بنود قانون المجتمع الحيوي . الذي يؤثر في اطوارها ..

وسوف ندرس فيما يلي التجربــة العقائديــة الثانية وهي (الخير) وسوف ندرس حركة اطوارها ، كما فعلنا في تجربة الحق ، وسنحاول اظهار تأثير تجربة (الحق) المباشرة . ومن ثم تأثرها بحركة بنود قانون المجتمع الحيوي وتجربــة الخير كما قلنا هي العمل في الحياة بأسلوب نبتعد به عن الشر ، ونقترب به من الخير ، ويعبر عنه بالتشريع وبما ان الحياة الانسانية عمادها العمل .. والعمــل مقترن بوعي الانسان لابعاد وجوده (نتاج تجربة الحق . المعرفة) وكانت تجربة بدائية جــدا احس الانسان بدائيتها وشعر بجهله فازداد حدة شعوره بغربته في الوجود .. الامر الذي اشعره بالخوف والرعب .. ولذلك فان القولــة القديمة **(اول ما خلق الله على الارض الخوف)** تحتوي على قدر كبير من الصدق وتحتاج اي شريعة الى نوع من الخوف والاحترام كي تطبق .

فالخوف والاحترام هما اللذان يعطيان الشريعة قوة الوجود . وتختلف الشريعة من مجتمع لاخر حسب حركة بنود قانون المجتمع ، وما هو خير في مجتمع ربمــا يكون شرا لدى مجتمع اخر ويقول (آناقارسيس) اليوناني : **(انه اذا جمعت كل التقاليد التي تقدسها جماعة ما ، ثم حذفنا منها كل التقاليد التي تمجها جماعة اخرى ، وما بقي لنا منها شيء)** .

وبما ان العمل يقترن بالمعرفة ، وكانت المعرفة بدائية ، فان العمل كان قاصرا على الضرورات الغريزية التي لا تختلف كثيرا عن غرائز الحيوانات الاخرى .. كما ذكرنا حيث يشعر **بالخوف والرهبة من العمل وهذا هو اصل فكرة الحرام** ، هــو الذي لا يحب ان يعمله وكراهيته تعود الى **اقتران العمل بالاذى** وكثيرا ما نجــد **تفسير المحرمات** لدى العقائد **هو انها تؤدي الى ضرر** بالانسان ..

وهذا هو محور الحركة الاولى للتجربة (الخير) وكلمة **(تابو)** الماخوذة مــن جزائر البوليزين وتعني **الحرام** بالعربية ترمز الى كل النظام الديني لذا فاننا نجد مجتمعات بدائية عديدة تكون الاساءة الوحيدة فيها هي الخروج عــلى (التابو) **ولم يكن** الحرام في التجربة البدائية للتشريع **يميز ما بين المقدس والممقوت** ، وكما

يقول كاسيرر : (ان عدوى القداسة تأتي بنفس النتائج التي يأتي بها التلوث من النجاسة ، فمن مس جثة اصبح نجسا والطفل المولود حديثا لا يمس وكان بعض الشعوب يعدون الاطفال يوم ولادتهم حراما وكانت العدوى الاصلية قابلة للنقل وقد قيل : (**ان حراما واحدا قد تسري عدواه في كل العالم**) .

ولما كان الانسان في تلك الفترة يشعر بوحدته مع سائر مظاهر الحياة ، فان نتيجة العمل المحرم ستقع عليه وعلى عائلته واصدقائه وقبيلته ويوصم بهذه الوصمة ولكن تقدم التجربة الدينية الاولى وجدت طريقة لازالة هذه الوصمة وذلك بطريقة التكفير عن الذنب الذي قد يزيله الماء الجاري ، او يمكن تحويله الى حيوان او طير يذهب بالاثم ويطير به بعيدا .

وعملية التحريم في المجتمع البدائي كما يقول (جيوفز) : دائمة فالاتصال بالاشياء المحرمة ينقل العدوى مثلما ان لمس الماء ينقل البلل ؛ ولمس التيار الكهربائي يبعث هزة كهربائية في جميع انحاء الجسد اما نوايا الذي وقع في الحرام فلا اثر لها في عمل الحرام ويقول كاسيرر : (اذا كان العمل اراديا او غير ارادي ، فالنتيجة سواء لدى الدين البدائي) فقد يرتكب الجرم وليكن (لمسا) وهو جاهل أو قد (يمس) لفائدة الشخص الملموس ولكن النتيجة سواء .

وحال المقدسين مثل الميكادو والرئيس البولينزي « ارطميس هيمنا » لاتعدل شيئا في ذلك العمل الالي فاللمسة او النظرة منهم مميتة للصديق كما هي مميتة للعدو ومهلكة للحياة النباتية فالعقاب ينزل على الظالم والعادل سواء ، وتوسعت منطقة المحرمات حتى شملت النية . فالنية للعمل المحرم كالعمل المحرم ؛ يحاسب عليها صاحبها ، حتى ان هناك اديان تقول (**من اشتهى فقد زنى**) .

ولما كانت التجربة العقائدية الاولى (الحق) المعرفة بدائية ، لم يكن بمقدور التجربة العقائدية الثانية ان توصي باتباع منهج معين ، ليصل الانسان الى الخير ، فهي لا تعلم من اين تأتي الاذية . لذلك كانت التشريعات الاولى اكثرها نواهي ،

مثل : تجنب هذه الاشياء ، امتنع عن هذه الامور ، لا تقل مثل هذا الكلام ، لاتفكر بمثله هذا التفكير الخ ..

وكانت كلما تحركت تجربة التشريع بدون أن يصاحب تحركها تحرك في المعرفة كانت تزداد النواهي وتنذر بتنحية حياة الانسان ، فلا يستطيع أن يأكل أو يشرب وحتى انه لا يجرؤ على الكلام ! لان ذلك يهدده باخطار مجهولة .

وفي (بولينزيا) لا يمنع المرء فحسب أن يلفظ باسم رئيس أو فقيد ، بل انه ممنوع ايضا من ان يورد اي كلمات او مقاطع في حديثه العادي .. أو في تفكيره .

وكانت المراة اهم ما اتجه اليه التحريم عند البدائيين ، والاف الخرافاتنشات عن المراة لتجعلها محرمة اللمس خطرة نجسة وادق التحريمات البدائية كانت خاصة بالمراة ابان حيضها ، فكان من يلمسها بهذه الفترة تضيع فضيلته ، وحرم (الماكوزي) من اهل (غيانة) البريطانية على نسائهم ، ان يستحممن ابان حيضهن خشية ان يسممن الماء . والولادة نفسها كانت نجسة كما ذكرنا ، والعلاقة الجنسية حرام في معظم القبائل البدائية في أوقات الحيض ، والحمل والرضاعة .

وهذه التحريمات يلمس فيها بوضوح ، بوادر تحرك تجربة (المعرفة) (الحق) باتجاه الحياة حيث أن ادراكهم لضرورة الولادة ، واستمرار الحياة ، وكيفية ذلك بصورة عامة . جعلهم يسنون مثل هذه القوانين بينما لا نلمس هذا الوعي بضرورة استمرار الحياة في قبائل بدائية كثيرة ، كان ابناؤها قساة العاطفة، وكان يلذ لهم رجالا ونساء تعذيب وقتل الاخرين . ولا يرتاعون اذا اغتال انسان انسانا اخر حتى وان كان القتيل من العشيرة نفسها ، فأهل (فويجي) لا يعاقبون القاتل باكثر من نفيه حتى ينسى زملاؤه جريمته ، وقبائل (الكفير) تعد القاتل نجسا ويطالبونه بتسويد وجهه بالفحم ولكن بعد غسل جلده ومضمضة فمه وصبغ جلده بلون (بني) قبلوه في الجماعة من جديد ، اما بعض همج (فوتونا) فهم يعدون القاتل بطلا ، كما يوجد هذا الشيء في كثير من المجتمعات المتخلفة الان . وفي بعض القبائل **ترفض المراة ان تتزوج** من رجل لم **يقتل احدا في قتال** ، سواء كان محقا ام

لا ، ومن هنا نشأت **عادة اصطياد الرؤوس** . كما يقول ديورانت التي لا تزال في الفيليبين حتى اليوم ، وعند قبيلة دياك يكون للرجل الذي يعود من مثل هذا الصيد البشري باكبر عدد من الرؤوس ان يختار من يشاء من بنات القبيلة ، والبنات يشتهينه زوجا لانه قوي .

وكانت نظرة البدائي الى حياته ضمن مستوى هذه التجربة رخيصة ، حيث يوجد بعض التشريعات انه اذا اسيء لشخص ، وانتحر يجب على المسيء ان ينتحر والا عد منبوذا ، وكل شيء قد يكفي سببا للانتحار .. وقد انتحرت بعض الهنديات من الشمال لان ازواجهن قد استباحوا لانفسهم لومهن ، وانتحر **شاب** من جزيرة (تروبرياند) لان **زوجته دخنت** كل ما كان لديه من تبغ . بينما لا نجد هذا الشيء في تجربة (الخير) المتقدمة ، حيث نجد ان اقصى العقوبات توضع للقاتل ، وتصور للمنتحر مصيرا لا اسوا منه في يوم القيامة وعن حديث لمحمد عليه السلام يقول : **(من احتسى سما فسمه في يده يوم القيامة يحتسيه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ومن تردى من على جبل فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن يجا حديدة في بطنه فحديدته في يده يجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا)** وتعاقب اكثر الشرائع الحالية الذي يحاول الانتحار عقوبة صارمة. وذلك كله يعود الى حركة تجربة المعرفة (الحق) ، حيث وعى الانسان ابعاد وجوده الى حد كبير ، **وشعر بقدسية الحياة** .

وجرائم الانتحار المتزايد في العالم اليوم ، توازي تجربة المعرفة لديهم. لانهم لا يعرفون قيمة للحياة ولا يعرفون مبررات لوجودهم ، لذلك ينتحر المرء لاقل الاسباب ، وربما ليتمتع بمشهد الانتحار مثل ارنست همنغواي ، الذي انتحر لمجرد ترف فكري، وبما ان المراة هي العنصر الاساسي في انتاج الحياة العضوية على الاقل ، لذلك اتجهت واهتمت تجربة الخير بها اهتماما كبيرا ، كما ذكرنا في المقدمة .

وعندما وصلت تجربة المعرفة الى ضرورة الحفاظ على الحياة ، بدأ السعي لتنظيم العملية التي تنظم الحياة مباشرة .

وهي عملية الزواج .. ولم يصل الى قوانين لهذه العملية ، الا عبر تجارب طويلة ، ونجد أن **كلمة زواج** في (هواي) معناها في الاصل **(تجربة)** وقد كان **الزواج في تاهيتي منذ قرن حرا** من القيود مادام الزوجان لم ينسلا . اما عندما ينجبان طفلا فلهما ان لايقبلاه ، دون أن يقع عليهما لوم من المجتمع ، أو هما يقومان بتربيته، وبذلك يبدآن حياة دائمة الاتصال ، بحيث يتعهد الرجل للمراة ان **يعولها مقابل** رعايتها للطفل الذي اخذته على عاتقها ، والبدائيون لم يكونوا يستسيغون وحدانية الزوجة ، **فكانت العلاقات الجنسية لا تعرف التحديد . فعند قبيلة (اورانجسكاي)** في ملقا . **كانت المراة تعاشر كل رجل من رجال القبيلة حينا** حتى اذا ما اتمت الدورة بدات من جديد .. وفي قبيلة (ياكوت) في سيبريا ، وقبيلة (بوتوكودو) في جنوب افريقيا ، والطبقات الدنيا من التيبت وكثير غير هذه الشعوب **كان الزواج تجريبا خالصا** . ولكل زوج الحق في فض الزواج متى أراد . وفي قبيلة (البوشمن) يكفي **اقل خلاف بين زوجين ، لاخلال الزوجية** ويجد كل منهما واحدا اخر ، وعند قبيلة (دامتر) فيما يروي (سير فرانز جولتن) **يتبدل الزوج مرة كل اسبوع تقريبا :** (وقلما استطعت أن أعرف بعد استقصاء ، وبحث من ذا كان زوجا مؤقتا لهذه السيدة أو تلك في وقت معين) ، وفي قبيلة (بايلا) **ينتقل النساء من رجل الى رجل ويتركن زوجا لينتقلن لاخر .**

والفتيات اللائي كدن لا يتجاوزن العشرين ، تجد للواحدة منهن في كثير من الحالات **اربعة أزواج او خمسة وكلهم احياء** ، وفي هنود امريكا الشمالية **يتصل الشبان بالشابات اتصالا حرا** دون أن يكون عائق للزواج ، وكذلك عند قبيلة (بابو) في غينيا الجديدة ، **تبدأ الحياة الجنسية في سن مبكرة جدا** ، والقاعدة قبل الزواج، هي **الشيوعية الجنسية** ، **وكذلك** توجد مثل **هذه الشيوعية في قبيلة (السيوت)** **في سيبريا و (لايجورت) في الفلبين ، واهالي بورما العليا ، والكفير ، والبوشمن في افريقيا ، وقبائل نيجريا ويوغندا ، وجورجيا الجديدة ، وجزائر (مري) ، وجزائر اندمان ، وتلهيتي ، وبولينزيا ، واسام وغيرهم ..**

والعذراء في التجارب المتقدمة لم تكن تخشى فقدان بكارتها ، بل تخشى أن يشاع عنها بانها عقيم . وهنا نلاحظ بداية اهمية الحياة ــ وسارت تجربة التشريع من هذا الوعي ، ليس للحفاظ على الحياة فحسب ، بل ولضرورة هذه الحياة حتى وجدت بعض تجارب الزواج ، كان الاخ يتزوج بها اخته ، كملوك الفراعنة ، وكذلك ملوك البطالسة والانكا ، وذلك رغبة في استمرار نقاء النسل ، وكان الاسبرطيون ينتقون الرجل الجيد للزوجة الجيدة والرجل الضعيف والمراة الضعيفة لم يكن يسمح لهما بالزواج .

وادى تقدم تجربة (الحق) كما يقول ديورانت الى تحويل كافة الاعمال ، التي تؤذي الحياة ، فتحول الجشع الى اقتصاد ، والاعتداء الى احتجاج ، والاغتيال الى مقاضاة ، والانتحار الى فلسفة ، ووجد القانون وتوقف الاعتداء داخل الجماعة، واصبح تعاونا ضد جماعة اخرى ، ووجدت طائفة الخصال والعادات ، التي تعود بالنفع على الجماعة وسمتها فضائل ، ووجدت اضدادها وسمتها رزائل .

وتتميز التجارب المتقدمة للتشريع (الخير) ، انها زادت في تضييق نطاق القتل ، وتوسيع نطاق التعاون ، والصداقة الى ابعد حد ، وقد وصلت بعض القبائل البدائية الى مرحلة من الكرم كبيرة جدا ، حتى انه كان لا يتورع أن يعير زوجته لضيفه كما هو الحال في سيبريا وافريقيا .

وقد قص (تيرنر) على رجل من (ساموا) قصة فقير في لندن ، فسأله الرجل بدهشة وكيف هذا اليس هناك طعام ؟ اليس له اصدقاء ؟ اليس في المكان بيت للسكن !؟ اين اذا نشأ هذا الفقير اليس لاصدقائه منازل .. وهكذا تتحرك تجربة الخير التشريع باتجاه الحياة وكلما كان التشريع متحركا باتجاه الحرية ، كلما زاد في قدرة المجتمع الانساني على الحياة . وهذا التشريع يجب أن يعني بجميع مناحي الحياة الانسانية ، ليحقق ارادة الحياة للمجتمع الانساني (الحرية) .. وسوف نقدم دليلا للحرية ، يستلهم ارادة الحياة ، ويعتمد على وعينا للقانون

المجتمع الانساني ، لاحقا ومما سبق يتضح لنا ان التشريع ، كلما كان يساهم في ايصال المجتمع الى الحرية كلما كان ناضجا .. والعكس صحيح .

وسوف ندرس فيما يلي التجربة العقائدية الثالثة الجمال (الخلق والابداع) وهـذه التجربة كغيرها ، تتأثر اطوارها بالتجربة العقائدية الاولى (الحق) ، والثانية (الخير) بالاضافة الى تأثيرها بحركة بنود قانون المجتمع الحيوي .

ويعبر عن تجربة الجمال ، بتجربة الخلق والابداع ، وبهذه التجربة يستطيع كائن المجتمع الانساني ، ان يضع نفسه في اتجاه يوازي اتجاه الجمال (الخلق)» بقدر قدرته على التعبير عن ارادة الحياة للمجتمع الانساني .. الحرية ..

وتجربة الخلق ليست مقصورة على موضوع ، او اتجـاه ، **فالخلق عمليـة فوق عادية .** تبرز في جميع المجالات ، ولما كانت الحياة العضوية هي الشيء الوحيد الذي يمكن انتشاركفيخلقها — فيذلكالوقت — فقد اقترنت التجربة بغرائزالجنس ودوافعه، كالحب والابوةوالامومة والصداقة، وذلك ضمن حركة بنودقانونالمجتمع الحيوي ، بصورة عامة ، وتجربة الحق والخير بصورة خاصة .

وكل شيء خارج عن وجودنا العضوي الانساني ، يعود الى حركة تجربة الخلق (الجمال) ، كالثياب والبيوت والادوات والمدن ، والطائرات والتماثيل ، والدور والادوية والعلوم الخ ..

كل هذه تدل على حركة هذه التجربة . ويمكننا ان نلحظ بوضوح ، تأثير الزمن عليها ، وذلك بمقارنة واقعها مع ما كانت عليه عبر التاريخ .

وسوف ندرس فيما يلي تجربة الخلق من خلال تجربة الفن ، لان **الفن بحد ذاته خلق وابداع للجمال ، والجمال هو الحياة ، الحرية ..** ويعرف (ديورانت) الفن بقوله : (الفن هو التعبير عن الفكر أو الشعور في صورة تبدو جميلة ، أو ضخمة فتثير فينا هزة ، هي هزة الفرح الفطري . التي تثيرها المراة في الرجل)، ويلاحظ في هذا التعريف ، اقترابة من حدود تجربة الخلق المادية .، ويعبر عن هذا الشيء (كروتشـه) في مذهبه الذي يعرف الفن به ، بانه الاشياء التي تمثل

ارادتنا المادية التي نحسها ونعبر عنها ، ونظهرها بواسطة الفن وان الجهد الجمالي، هو المرحلة الاولى للعقل ، أو المعرفة متميزة عن مجرد الاحساس ، وهو ادراك المرء لحالات نفسه مجسمة في أشياء محسوسة حقيقية ، كانت أو متخيلة ، فالفن اذا هو تعبير عن ارادة الحياة للمجتمع الانساني .

والرقص هو اقدم الفنون اطلاقا ، والصقها بارادة الحياة ، فالرقص تجربة جمالية يتحرى الانسان بها ان يجعل محور جسده ومشاعره ، بموازاة ارادة الحيـاة .

فالفن بهذا المعنى تعبير عن وعي الارادة الحياة .. ويمكن أن نستشف ذلك من الرقص . فعندما يكون وعينا لارادة الحياة ، بانها مجرد نوم واكل وجنس.. فان الرقص يكون هنا مثيرا للشهوات ليس الا .. ومثال ذلك رقص الجواري ، والرقص الشرقي (**هز البطن**) ... وعندما يتعمق الوعي يتغير الرقص ، ويصبح تعبيرا عن قضايا توازي قضية الحياة .. الحرية . (رقص الباليه) مثلا ومنهنا نرى أن افلاطون ، كان واعيا عندما قال (ان الموسيقى والتصوير ، يحكيان حالات العقل) أي وعي العقل .. فالفن هو انعكاس لحركة تجربة الخلق التي توجهالحياة الى الحرية .. وهذه تتصاعد باستمرار ، فما كان بالامس راقيا يصبح غير مقبول الان ، وقد نوه عن هذه الحركة ارسطاليس بقوله : (ان **الموسيقى تخلصنا من انفعال** ، قد يكون دنيئا) وبالطبع فان الانفعالات تقترن بكل فعالية من فعاليات المجتمع ، ومع أن الانفعالات التي تثيرها انفعالات تتكامل في حركة المجتمع الانساني الحيوية .. الا اننا ننظر للفعالية الروحية نظرة تختلف عن الفعالية المادية ، **لاننا نحس بالفعالية الروحية أننا آلهة .. ولهذا فان المتعة الروحية فعلا هي اعلى مراتب المتع الانسانية واسماها .. دون ان يكون هناك بخس للمتع المادية** ، كالجنس والاكل والنوم .. وصحيح اننا في المتعة الجنسية نشعر اننا نشارك في خلق كائن ، ولكن بموجب قوانين خارجة عن ارادتنا ، بينما بالمتعة الروحية نشعر اننا **نخلق كائنا ــ نفني نحن ــ له قوانين وجوده .**

فنحن اذا بالفن نشعر بتصاعد حركاتنا ، نحو الحياة ونشعر بمدى اقترابنا من ارادة الحياة وقد قال الكاتب الذي يعرف باسم (لونجنيوس) ، ولعله عاش في القرن الاول لميلاد المسيح . (ان العظمة في الطبيعة تلذنا ، لانها تضفي العظمة على انفسنا) .

فبالفن يكتشف الانسان ذاته المبدعة ، ويشعر بدرجتها المطلقة . والتي يشعر معها بانه يلتصق بجوهر الحياة ، ويكشف ما كان خبيئا بها ، ومن هذه الجهة نرى ان هناك فنونا في عصور مختلطة متباعدة ومتباينة . **ومع ذلك تتشابه في درجتها باتجاه الحرية .**

لذلك نرى أن الفن البدائي من سحيق الازمان ، يقف على قدم المساواة بدرجة الالتصاق بارادة الحياة ، مع فنون عصرنا هذا فالمشاعر الجمالية تتحد في خلفياتها ، وتختلف بدرجتها حسب التصاق المجتمع بارادة الحياة بالحرية .. وهذه الارادة يمكن ان نحس صداها في كينونتنا ، والفن هو كشف لما هو خبيئا في اعماق النفس الانسانية .. ويمكننا ان نجد بأقوال (ب. كلوريدج) شيئا من هذا الوعي بقوله : (انني كلما تاملت مشاهد الطبيعة ، بدا لي كأنما افتش عن لغة رمزية لشيء في جوانحي ، وكأنني لا اريد شيئا جديدا ، فقد وعى كل شيء وعرف ابعاد وجوده معرفة خاصة).. وهذا يوضح تأثير تجربة (الحق) المعرفة بتجربة الجمال (الخلق) ، بل وتندرج تجربة المعرفة ضمن تجربة الخلق ، وتقترب من مفهوم الفن ويقول ول ديورانت (فما الفلسفة ان لم تكن فنا ، ما الفلسفة ان لم تكن محاولة اخرى تضاف الى محاولات سائر الفنون في أن تضفي على فوضى ، ما يقع لنا في دنيا التجربة صورة لها معنى) .

والنظرية الحيوية هذه..ان هي الا تعبيرا عن تجربة الخلق بأسمى معانيها..

والسمو في نظريتنا ، هو الصدق وفي الفن يكون الصدق والالتصاق بجوهر الحياة ، وتمثل ارادتها الحرية هو الفن السامي .

وكلما تقدمت تجربة الخلق ، شعر الانسان ، **انه قريب من الصفات التي تطلق على اللــه ..** بل وقد يشعر بالقدرة على منافسة آلهته ، وقد حرم الاسلام الرسم والتصوير ، لكي لا يظن الانسان انه خالق ...

ونجد في التجربة الجمالية اليونانية ، وذلك بواسطة خلق وابداع الشعراء والمفكرين الكبار مثل (سخيلوس وبوربيدس واكزنفون وهرقليطس وأناكساجوراس حيث وضعوا مقاييس عقلية ، واخلاقية جديدة وعند قياس الالهة الهوميروسية، تلك المقاييس تفقد تلك الآلهة سلطانها ، وخصائصها التي تقترب من الخصائص الانسانية ، وتصبح عرضة للنقد العنيف .

ويمكن لمس آثار هذه الناحية في العصر الحالي ، حيث تزداد الاختراعات وتجارب الخلق . وبالتالي كيف ان هذا الشيء يجعل بعض المتدينين السذج ، **يشعرون أن في ذلك انتقاص لقدرة الاله ..** فالاله قديما هو وحده الذي يعلم ، متى سينزل المطر وهو الذي ينزله ، أما الانسان حاليا فباستطاعته معرفة زمــن حدوث المطر بل ويستطيع أن ينزل المطر .

ولهذا تأخذ تجربة الخلق اليوم طابعا عاما ، **وهو هدم مفهوم الايمان التقليدي بالالــه .**

وبما أن تقدم حركة تجربة الخلق تزيد في ادراك الانسان ، لابعاد وجوده، فان أول ما يدرك من هذه الابعاد شخصيته الاجتماعية والفردية . وبالتالي فان ادراكه لاصله يتغير ، حيث ينسب نفسه (لادم) بدلا من طوطم ، ويميل الى الاعتقاد بحدوث الموت بعد ان كان يشك به ويتزايد شعوره باستقلالية شخصية الاجتماعية ، والفردية ، ونلاحظ هذه التجربة في حركة العقيدة الاغريقية ، التي يصفها (جلبرت مري) بقوله : يقع تطور الدين الاغريقي على نحو طبيعي في ثلاث مراحل ، الاولى عصر الجهل قبل أن يجيء (زفس) ليزعج عقول الناس ، وهي مرحلة وجد الانثروبولوجيون والمستكشفون ، ما يوازيها في كل ناحية من نواحي العالم ، حتى ان المرا ينزع الى ان يعتبرها البداية الطبيعية لكل دين .

ثم يجيء بعد ذلك ما يسميه (جلبرت مري) (الفتح الاولمبي) ، وبعد هذا الفتح اصبح الانسان يرى الطبيعة ومكانه فيها بمعنى جديد مختلف ، فقد تضعضع الشعور العام بوحدة الحياة أمام دافع جديد هو فردية الانسان .

فارادة الحياة للانسان ، هي ان تصبح انسانا متميزا قائدا ولكن لا يحدث فجاة . وبدون عوامل تتبع لبنود قانون المجتمع الحيوي . ذلك ما سنبينه مفصلا في بحث القـائد .

ويصف ديورانت الفردية بوعي نسبي عندما يقول : الفردية ترف جاءت به المدنية اذا لم يحدث الا في فجر التاريخ أن تحرر من ربقة الجوع والنسل والقتال عددا من الرجال والنساء يكفي لخلق القيم الروحية والثقافة والفن .

ولم يعد ثمة قرابة عاصبة تربط الانسان بالنبات والحيوان انما أصبح يرى في آلهته الفردية شخصيته نفسها في ضوء جديد وهذا التطور واضح في ما حدث للرب الاعلى (زفس الاولمبي) من تطور فقد كان الها للطبيعة الها يعبد على قمم الجبال ويسيطر على السحب والمطر والرعد ولكنه انتحل بالتدريج شكلا جديدا، فأصبح لدى (انجيلوس) تعبيرا عن أعلى مثال اخلاقي اي اصبح حارس العدالة وحاميهـا .. `

ويقول (مري) (ان الدين الهوميروسي خطوة في تحقيق الذات لدى اليونان)، عندئذ لم يكن الناس يعدون العالم خاليا من أي سيطرة خارجية ، ولا كانوا يرونه خاضعا لهجمات الحياة والثيران والوحوش والحجارة التي يـرمي بها الرعـد (وكلها تجسـد قوة الطبيعة) وانما كانوا يرون العالم تحت سطرة جهاز منظم من حكام انسانيين عاقلين ومن اباء حكماء أسخياء كالانسان في عقله وشكله الا انهم اعلى بدرجة لا يمكن وصفهـا ..

- وكلما تحركت تجربة العقيدة ، وتغيرت اصطدمت بالاساطير واللاهـوت اللذين يتغيران تغيرا بطيئا لا يحتمل .. وعندئذ يشعر الناس برقابة رجال الدين

على الفنون والاداب ، كانها اغلال ثقيلة وفي نهاية اثر الزمن على العقيدة . يجب ان نذكر ان الزمن هو حركة وهو هنا دليل على موقع العقيدة بالنسبة للقانون الحيوي للكائنات . وبالطبع يمكننا ان ندل على كثير من التجارب العقائدية في عهود مختلفة ، ونوضح سمة حركتها ، ولكن ضمن حركة بنود قانون المجتمع الحيوي ..

فمثلا وعي الحرية كشرط لاداء الوجود شيء جديد يطرح لاول مرة في ايديولوجيتنا ، ولكن لو بحثنا عن المفكرين الذين بحثوا في الحرية ، لوجدنا ان لديهم وعيا متصاعدا باتجاه الحرية والمعنى الذي نقصده نحن لم يأتي من الصخر انما اتى تتويجا للتراث الانساني ، وليس من باب الاحتمال ان يأتي زمن يصبح تأتي نظرية اكثر علمية .

تأثير الارض على العقيدة :

تؤثر الارض على العقيدة من ناحيتين :

١ ـ عامة ،

٢ ـ خاصة .

والتأثير العام يشابه الى حد كبير تأثير الارض على بنود المجتمع الاخرى . وذلك حسب نوع الارض سهلة او شاقة جدا ، وكذلك حسب موقع الارض على البحر ام في الصحراء ام في الجبال ام في ملتقى الطرق ، ام في طرق نائية ، كل هذه الصفات تؤثر على حركة التجربة العقائدية ، فيتضح من خلال نظرة بسيطة للارض من حيث انها هي اساس وجود الانسان ، والاديان ترجع الانسان الى الطين .

وقد شعر الانسان تجاه الارض بقدسية ، والنظرة القدسية مقرونة بالخوف، وللارض حركات اخافت الانسان كثيرا ، كالزلازل والفيضانات والبراكين وخسوف

الشمس والقمر والطوفان والبحار والغابات والصحراء والثلج والحيوانات الكبيرة المخيفة الخ ..

وعبادة النار اقرب مثال لذلك .. حيث بقيت النار اكثر الاشياء التي يخافها الانسان ، واصبحت هي العقاب النهائي للانسان الشرير ، وانتشار عبادة النار حول الخليج العربي ، يعود فيما يعود الى تفجر الابار الغازية والبترولية في تلك المنطقة الامر الذي كان يجعلها في حالة التهاب رهيبة لمدة شهور قالبة الليل الى نهار ، ولو بحثنا في اشتقاق اسماء الله ، لوجدنا أن أكثرها يعود الى كائن الارض حيث نجد أن كثيرا من العقائد البدائية ، تستعمل كلمة (الله) لتعني السماء ، ولفظ الله عند (اللوباري والدنكا) معناها المطر ، والسماء عند المنغوليين هي الاله العظيم . وكذلك الامر في الصين وفي الهند الصينية ايضا نجد ان معنى كلمة الله هو (السماء الوالدة) ، والله عند اليونان هو (زيوس) او السماء (مرغمة السحاب) وهو (اهورامزدا) عند الفرس أي السماء الزرقاء . أو القمر لدى كثير من العقائد التي تنتشر في اسيا . وعندما يدعو الانسان الاله ينظر الى السماء ويرفع يديه .

ولقد كان القمر أول المعبودات ، فصورت الاساطير القمر رجلا شجاعا اغوى النساء ، وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر حسب موعد الغواية .. وقد كان القمر الها محببا اغوى النساء ، وعبدنه لانه حاميهن بين الالهة وكذلك اتخذ القمر مقياسا للزمن يؤثر على البحر بين مد وجزر ويعتقدون انه ينزل المطر ، والضفادع يقال انها تضرع للقمر بالدعاء لينزل لها المطر ..

واقدم تجربة عقائدية يمكن تقصيها في اسيا وهي تقديس الاشجار ، وينابيع المياه والانهار والجبال والزلازل تعبر عن غضب الالهة ، ويعلل اهل فيجي الزلازل بأن اله الارض يتقلب في نومه . واذا ما زلزلت الارض عند قبيلة (ساموا) أخذوا يقرضون الارض باسنانهم ، ويبتهلون الى الاله (ماخوي) ان يسكن خشية ان تتمزق الارض اربا اربا .

وقد حكم على (انا كساجوراس) بالنفي ، لانه استباح لنفسه أن يذهب بالظن مذهبا مؤداه ان الشمس ليست الاها ، بل هي كرة من النار تقترب في حجمها من (بلبرنيز) وامبراطور اليابان حاليا يؤمن به معظم شعبه بانه يجسد الـه الشمس .

ويؤمن الهنود اتباع الديانة البراهيمية بوجود عدد كبير من الالهة بعضهم مثل (براهما) يمثل الهة الخير ، والاخر مثل (سيفا) يمثل الهة الشر ، ويتسبب في حدوث الفيضانات ، والاوبئة والمجاعات . ومن اجل ارضاء (سيفا) كان يقدم الهنود في الماضي الاضاحي البشرية ، وتوجب هذه الديانة على كل مؤمن بها أن يحج الى مدينة (بنارس) مرة في العمر ، ليغتسل بماء نهر الغانج المقدس ، ويتطهر من خطاياه وكثير من الهنود يوصون باحراقهم بعد وفاتهم ، وطرح رمادهم في نهر الغانج وقدسية النهر تعود هنا الى الخوف منه ، واحترامه حيث أنه هو الذي يقرر حياتهم أو موتهم بواسطة الفيضانات .

وتوصف الطبيعة في دين زاردشت بفكرة (الاشا) والاشا هي حكمة الطبيعة، التي تعكس حكمة خالقها الرب الحكيم (آهورامزدا) ، وهذا النظام العام الخالد الذي لا يعتريه الباطل ، يحكم العالم ويتحكم بالاحداث كلها ، كمجرى الشمس والقمر والكواكب ، ونمو الحيوانات والنباتات واتجاه الرياح .

ويقول كاسرر (وتنعكس الطبيعة في الدين ولكن بشكل جديد ، ولا يستطيع اي دين ان يفكر في قطع الرباط بين الانسان والطبيعة .

وتنعكس الارض في التشريع ، حيث ان كل عقيدة تعنى باصدار شرائع خاصة بالارض ، واستعمالها وظروفها وتشريع عقيدة مجتمع يعيش في الساحل تختلف عن تشريع عقيدة مجتمع يعيش في الجبال ، وتشريع مجتمع يعيش في منطقة القطب ، تختلف عن عقيدة مجتمع يعيش في منطقة الاستواء ..

فمثلا في القطب يوجد ضرورة لارتداء الثياب للوقاية ، بينما لا يوجد هذا

السبب في منطقة الاستواء . لذلك نجد ان تشريع بعض مجتمعات الاستوائية ، **تبيح التعري** بل ان بعض القبائل يخجلها لبس الثياب وقد اهتزت جنبات افريقيا كلها بالضحك ، وحين التمس (لفنجستون) من مضيفه السودان ان يضعوا على اجسادهم بعض الثياب ، قبل قدوم زوجه . **وكانت ملكة (بالوندا) عارية من قمة رأسها الى اخمص قدميها ،** حين عقدت مجلسا من اجل (لفنجستون) بينما لا نجد هذا الشيء في المناطق الباردة .

وتؤثر الارض على تجربة الجمال الخلق . فالطبيعة كما يقال هي المعلم الاول، وهي ايضا تحدد الطور الاول للتجربة (ضرورة الايجاد) لذلك نجد كثرة المخترعات التي ظهرت للسيطرة على ظاهرة من ظواهـر الارض . وتنعكس الارض بالفـن انعكاسا مباشرا ، حيث ان اكثر من نصف الرسم والادب ، وحتى الموسيقى تصوير مشاهد الارض ، وهناك الفن التصويري . ويقول الاب (باتـو) في مؤلفـه ، الفنون الجميلة ، ترجع الى من اوجد الفن (١٧٤٧) (الفن ينقل الطبيعة الجميلة) ويقول بيكون : الفن هو الانسان ، مضافا الى الطبيعة ويقول جوتو : الفن يقف على سطح الظواهر الطبيعية ويبلور اعلى اللحظات في تلك الظواهر بادراكه فيها طابع الشرعية ، وكمال التناسب المنسجم وذروة الجمال ورفعة المغزى وسمـو العاطفة ويمكن معرفة اثر الفن على الارض يوضحه كاتب حديث مرهف الاحساس بقوله : (الطبيعة قد اخذت تتبدى في هيئة مجموعات كبرى من كائنات حية مستقل بعضها عن بعض ، بعضها مرئي ، وبعضها خفي ، لكنها جميعا من طبيعة العقل . ثم هي جميعا من طبيعة المادة وهي كذلك تميز في نفسها بين العقل والمادة . وتكون بذلك سر الوجود العميق .. ان العالم مليء بالالهة ، فمنها القوي ، ومنها الضعيف، ومنها الجليل ، ومنها الضئيل تتحرك كلها بين السماء ، والارض لتحقيق غايتها التي كتمتها في اجوافها سرا) وكذا لكان هناك كثيرا من القطعات الموسيقية التي تصور مشاهد من الطبيعة بجع ونهر الراين ...

ويجب ان نوضح ان ادوات الجمال كلها ، تابعة للارض ومن خلال ما سبق يتضح لنا تأثير الارض على تجربة العقيدة .

تاثير السكان علــى العقيدة :

ان الفعالية الروحية ترتبط مباشرة بكائن السكان ، فاذا كانت الفه
العقلية تستهدف العالم الموضوعي الخارجي ، **فان الفعالية العقليــة الرو
تستهدف الموقف الوجداني تجاه هذا العالم** .. وسوف ندرس فيما يلي
أجزاء الكائن السكاني على العقيدة .

١ ـ تاثير العروق على العقيدة :

لدى القاء نظرة عامة على خارطة الاديان ، فاننا نجد انها : تنقسم الى ا
كبرى حسب العروق الكبرى ، وهذا شيء وان صعب تمييزه في الوقت الـ
فان ذلك يعود الى تاثير الزمن على العرق وعلى التجربة العقائدية معا .

ولكن لدى دراستنا حركة التجربة العقائدية ضمن العرق الواحد ، والا
المختلفة يظهران لكل عرق في مرحلة معينة من حركته عقائد متقاربة .

ويقول (كاسيرر) : (لا ريب في أن الاديان السامية التابعة للعرق ال
كانت في اول ظهورها مؤسسة على نظام معقد من المحرمات) ويطرح (ربر
سمث) في أبحاثه عن الساميين بأن القواعد السامية الاولى للقداسة (الط
والنجاسة فيقول:(وللعقائد السامية جميعا قواعد للنجاسة، واخرى للقداسـ
بين الاثنين غامض في اغلب الاحيان) ويمكننا ملاحظة ذلك في أديان العروق ا
كالعرق الاصفر مثلا حيث تسوده عقيدة البوذية بشكل عام .

٢ ـ تاثير حجم المجتمع على العقيدة :

لدى دراستنا التجربة العقائدية بشكل عام . أوضحنا ، ان : **ال
مقرون بالاحترام هو اساس العقائد** ... وهذه النقطة بالذات يؤثر عليه
المجتمع الى حد كبير حيث اننا نجد ان المجتمع يوحي بالثقة والاطمئنان
كلمة أنسان في العربية هي الانس ، الاستئناس ، اي : المشاركة الوجداني

فان ازدياد حجم المجتمع يوحي بالثقة والاطمئنان من القوى التي كان يخافها . لذلك نجد أن الالتزام بالعقائد التي يتوفر فيها هذان العنصران تخف ، وتكثر ، المخالفات **اذ لا شيء يهون المصيبة على الفرد أكثر من كونها جماعية ، ويزيدهـا حدة كونها فردية** من هذه الجهة يمكن تفسير سبب الرهبة التي تثيرها حادثةالموت **لان الانســان يمـوت وحـده** ، ومن ناحية اخـرى **فان المجتمع الكبير كشلال نهر يتدفق من ارتفاع شاهق مياهه دائمة التغير** بينما المجتمع الصغير مثل رام شتوي يصبح مع الزمن مستنقع عفن . لذلك نرى أن الالتزام في القرية نسبته اكثر من نسبة الالتزام في المدينة ، وكلما اتسعت المدينة كلما ظهر عـدم الالتزام، **وذلك لغياب عامل الرقابة والخوف والشعور بالجماعة** ، وهناك ناحية اخرى ، وهي : ان الحادث في المجتمع الصغير كالسرقة مثلا يبقى في ذهن الناس مدة طويلة بينما ينسى في المجتمع الكبير بسرعة . وهناك تأثير اخـر لحجم المجتمع عـلى العقيدة حيث اننا نجد ان **كبر حجم الملتزمين بالعقيدة يعطي العقيـدة عـامل استقرار ، وركود ، وكثيرا** ما يبرر الانسان تصرفه بأنـه سليم لكونـه يشـابه بتصرفاته غالبية المجتمع بينما لا نرى هذا الشرط متوفرا في المجتمع الصغير بل اننا من هذه الناحية نجد ان : التجارب الدينية متعددة في المجتمع الصغير اكثر من تعددها في المجتمع الكبير بالنسبة العامة لعدد سكانه . فنجد مثلا في البلاد العربية اكثر من تسعين عقيدة مختلفة عن غيرها مع ان عدد السكان لا يتجاوز ٩٠ مليون في عام ١٩٥٦ بينما نجد ان في الصين أو الهند لا يوجد فيها اكثر من عدة اديان مع ان عدد سكانها يفوق بكثير عدد سكان البلاد العربية .

٣ ـ تأثير الاجل المتوسط على العقيدة :

ان الفعالية الروحية تعتبر تتويجا لحركة الفعاليتين العضوية ، والعقلية . فالفعالية العضوية لا تصل الى مرحلة النضج قبل سن ١٨ تقريبا . بينمـا الفعالية العقلية ليس هناك من زمن يحددها .. وكلما عمر الانسان ازدادت الفعالية العقلية ، وبما ان **الفعالية الروحية مقترنة بنضوج الفعاليتين العضوية والعقلية** ،

فان المجتمع ذو الاجل المتوسط الصغير تكون التجربة العقائدية لديه مهزوزة ، وتقليدية ، وهناك احصائية قام بها الدكتور (عبد المنعم المليجي) يثبت فيهـا ان الايمـان التقليدي ، والحماس لعقيدة جاهزة يزداد حتى عام ٢٢ سنة حسب الجـدول التالي :

الايمان التقليدي حسب العمر (الزمن)

العمر	عدد الافراد	النسبة
١٤	١٤	١٥٪
١٥	١١	٨ر١١٪
١٦	١٢	٩ر١٢٪
١٧	٩	٧ر٩٪
١٨	١٤	١٥٪
١٩	١٨	١ر١٩٪
٢٠	٩	٧ر٩٪
٢١	٥	٤ر٥٪
٢٢	٠	٠
٢٣	١	١

توزيع الحماس الديني على الاعمار

العمر	عدد الحالات	النسبة
١٤	٣	٧٪
١٥	٢	٦ر٤٪
١٦	٢	٢ر٢٣٪
١٧	١٠	٢ر١٦٪
١٨	٧	٦ر١١٪
١٩	٥	٧ر١٣٪
٢٠	٦	٣ر٢٪
٢١	١	٣ر٩٪
٢٢	٤	٧٪
٢٣	٣	٠٪

ويقول (ول ديورانت) **ان الشباب يلذ لهم كشباب الشيوع الجنسي** ولكن لو تمهلوا عشرة او خمسة عشرة سنة لادركوا ان هذه النظم انما اتت نتيجة خبرة مئات الاجيال وملايين العقول .

٤ ـ تأثير نسبة الذكور والاناث :

لنسب الذكور والاناث تأثير واضح على التجربة العقائدية من ناحيتين :

١ ـ من حيث نشاط هذه الفعالية .

٢ ـ من حيث تشريع التجربة لتنظيم علاقة الجنسين معا .

اما من الناحية الاولى ، فاننا نلاحظ أن النشاط الروحي لدى الاناث ياخذ سمة الايمان التقليدي والحماس ، ويعود تفسير ذلك الى **ان النساء اقل قدرة من الرجال على الخروج عن رأي الجماعة وأكثر خوفا بسبب ضعفهن الفيزيولوجي** ، والخوف كما ذكرنا مع الاحترام أساس التجربة العقائدية ويدعم قولنا جدول احصائي اخر للدكتور عبد المنعم المليجي :

الاتجاهات الدينية	عدد البنين	نسبتهم	عددالبنات	نسبتهم
ايمان تقليدي	٥٠	٥٠٪	٤٧	٥ر٦١٪
حماس	٢٥	٢٥٪	١٨	٨ر٢٥٪
شك	٢٤	٢٤٪	٩	٨ر١٢٪
الحاد	١	١٪	–	–

ولقد تصدرت الانثى مكانة ممتازة لدى مختلف العقائد ، وذلك نظرا لاهمية الانثى في عملية الولادة ، وقد سمي الكثير من النساء مثل عشتروت آلهة ، ويقول (ديورانت) : ان معظم الارباب في العصر القديم كان من النساء . ثم حل محلهن الذكور حين ظهرت الاسرة الابوية ظافرة ، ووصلوا الى مرحلة **يجلون فيها المراة والارض وذلك لاشتراكها بالخصب** .

اما من ناحية التشريع الذي نظم علاقة الجنسين ببعضهما البعض ، فيمكننا ان نوضح كيف ان العقيدة في المجتمع الذي يتساوى فيه عدد النساء بالرجال قلما يسمح التشريع بحالة تعدد الزوجات ، ونجد أن التشريع يتغير عندما تتغير النسبة ، فمثلا اوربا بعد الحرب حيث ازداد عدد النساء بشكل كبير جدا نجد ان التشريعات اصبحت تعترف بالطلاق وتغيير الزوجة وممارسة الجنس مع من يريد **بل وحتى الشذوذ الجنسي بشرط توفر الرضى من الطرفين** وذلك كما حدث في بريطانيا عام ١٩٦٧ عندما وافق البرلمان البريطاني على مقدمات لجنة مكلفةبهذا الخصوص .

وعندما يحدث العكس حيث يقل عدد الاناث ، ويزداد عدد الذكور ، فان التشريع يميل الى السماح ، او غض النظر على الاقل لوجود اكثر من زوج للانثى الواحدة وفي قبيلة (تودا) وبعض قبائل (التيبت) حينما ازداد عدد الرجال على عدد النساء زيادة كبيرة **اصبح بمقدور الزوجات أن يعاشرن من يردن من الرجال ويظهر عدة ازواج للزوجة الواحدة .**

٥ ـ تاثير الهجرة على العقيدة :

للهجرة اثر واضح على العقيدة ، وذلك من ناحيتين :

١ ـ نشر التجربة .

٢ ـ تنشيط حركة التجربة من الناحية الاولى نجد أن كافة التجارب العقائدية الكبرى انتشرت بواسطة الهجرة مهما كان نوع هذه الهجرة مؤقتا ام طويلا ، واذا تحرينا سبب انتشار العقائد الاسلامية ، والمسيحية ، والبوذية ، وغيرها ، فانناتجد ان الهجرة هي السبب ، ومن الناحية الثانية ، فاننا نجد ان **تلاقي العقيدتين** بسبب الهجرة يؤدي الى **احتكاكها** ، ولا بد ان تؤثر احداهما على الاخرى .

وهناك سمة اخرى نلاحظها في عقائد المهاجرين وهي **التشريع المتسامح مع ابناء العقائد الاخرى المختلفة** ، والتي جمعتها هجرة مشتركة ، وكذلك نلحظ **ان التجربة الجمالية تكتسب طابعا اسطوريا ويمتزج فيها الاسى على ترك البلاد والامل في النصر** ، وتكثر المخترعات لديهم ، وحب العمل ، وذلك لتبرير وجودهم **بعد الهجرة .**

والهجرة تساعد على تحرك التجربة تجربة المعرفة حيث يشعر الانسان بأبعاده اكثر من قبل وهذا الشيء يمكن ملاحظته مع انسان (جوال حول العالم) وكثير هم العلماء الذين كان للهجرة تاثير على تجربة المعرفة لديهم ومنهم دارون وغيره من علماء الجغرافيا والبيولوجيا والفلك ..

٦ – تاثير الطبقات على العقيدة :

تؤثر الطبقات على العقيدة تأثيرا متنوعا .

١ – من حيث علاقة الطبقة بالتجربة العقائدية . حيث تنعكس حركة الطبقة بالحركة الدينية .

٢ – تاثير الطبقة على (تجربة الخير) التشريع .

ومن الناحية الاولى نجد ان : الطبقة تتحرك تجاربها العقائدية على مستوى الطبقة المنشأة، فهناك العقائد الارستقراطية، وعقائد سوقية أوللطبقةالمتوسطةالخ . .

اما الناحية الثانية ، فان انعكاس وضع التجربة على التجربة العقائدية سيحدد وضع الطبقات الاخرى ضمنا ، فكل تجربة عقائدية تحدد نظاما خاصا تنظر به الى الطبقات وتعاملها بموجبه ومنها من لا يقر الطبقات اصلا ومنها من يقرها ومنها من يصنف بعض الطبقات مع الحيوانات أمثلة في الاسلام يقر وجودها من ناحية الامكانية (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) ولا يقرها من حيث وحدة المنشأ الانساني الناس كأسنان المشط والماركسية تقسم المجتمع الى طبقتين عاملة وأخرى مستقلة وننظر الى الطبقة حسب عوامل تكوينها الانفة الذكر وانها تعني سقفالقطاع معين من المجتمع ونسعى كما سيرد في الدليل الطبيعي الى اعلى سقف ممكن .

تاثير العمل على العقيدة :

كنا قد ذكرنا ان العمل يقترن بالحياة الانسانية وسنلاحظ فيما يلي تاثير العملعلىالعقيدةبتجاربهاالثلاث . ١ – تأثير العمل على تجربة المعرفة (الحق) . انالعمل هو الذي ينشط الطور الاول للتجربة (ضرورة الوجود الذي يحدد الطور الثاني امكانية الايجاد) ويقترن جواب التجربة بالعمل وهو الايجاد فالايجاد عمل . . . والانسان بواسطة العمل توسعت أبعاده وشعر بالامكانيات التي لديه وشعوره بانه يستطيع ان ينقل جبلا من مكان لاخر أو تحويل نهر أو قتل اي حيوان شعوره

ازال قدسية هذه الظاهرة فلم تعد الارض الها ولم يعد القمر الها عندما استطاع ان يطأه الانسان ..

٢ – ويؤثر العمل على التجربة العقائدية الثانية التشريع الخير لان التشريع مرتبط بالعمل مباشرة ويمكن ان نستشف من الحركات العقائدية البدائية حيث انها تنظر الى الاعمال الممكنة نظرة اعجاب والاعمال الصعبة تشعر انها محرمة وان الالهة لا تريد ذلك ..

ومن خلال تقدم التجربة الانسانية اصبح يميز درجة العمل الممكن نفسه من الضار والنافع ويحرم المضر ، وحتى الآن يمكن أن نلاحظ أن الناس يعجبون للعمل المتقن وان كان مضرا مثال على ذلك حين يعجبون من عمل محتال داهية أو لص خبيث وتختلف النظرة الى العمل من مجتمع لاخر فالعمل الذي يعتبر مفيدا كالربا مثلا لدى مجتمع ما . اما بالنسبة للعمل غير الممكن فانه يتصف بالقدسية وان محاولة عمله جريمة ولذلك يقف اتباع بعض التجارب البدائية موقف المعارض لدى سماعهم بأنباء أناس يحاولون الغاء الموت أو خلق خلية حية .. الخ ..

وبما أن اهم التشريعات هي التي وضعت من اجل الجنسين فاننا يمكن أن نثبت تأثير العمل على الشريعة من خلال تشريعات الجنسين من المعروف أن العمل مر في مراحل متعددة مثلا في مرحلة المشاعة كان التشريع يبيح العلاقات الجنسية فنجد أن معظم الناس في (فونتانا وهواي) لم يتزوجوا اطلاقا واهل (لوبو) تعاشروا في اباحية وبغير اختيار ولا تحديد ولم يكن في رؤوسهم فكرة الزواج وكذلك بعض القبائل في (بورينو) كانت تعيش حياتها الجنسية بغير أن يكون الزواج هو الرباط الذي يربط الزوجين .

ولدى بعض شعوب روسيا البدائية كان الرجال يستعملون النساء بغير تمييز بحيث لم يكن لامرأة زوج معلوم ولقد وصف الواصفون اقزام افريقيا بانهم لايتبعون انظمة زواج في حياتهم بل تراهم يشبعون غرائزهم الحيوانية اشباعا كاملا بغير

ضابط وتجد العريس من قبيلة (كامشادال) اذا ما **وجد عروسه بكرا ثارت ثورته وطفق يسب امها سبا صريحا** لهذه الطريقة المهملة التي قدمت بنتها اليه وفي حالات كثيرة كانت البكارة حائلا دون الزواج لانها تلقي على الزوج عبئا ثقيلا على النفس هو انه سيخالف امر التحريم الذي يقضي عليه بالا يريق دما من احد اعضاء قبيلته فكان يحدث ان تسلم البنات الى غريب عن القبيلة ليزيل عنهن هذا العائق الذي يعيقهن وبين الزواج وفي التيبت تبحث الامهات عن رجال يفضون بكارة بناتهم وفي (ملبار) ترى الفتيات انفسهن يرجون المارة في الطرقات أن يؤدوا لهن هذه المكرمة لانهن مادمن ابكارا فهن لا يستطعن الزواج وعند بعض القبائل يستأجر العريس رجلا ليفض له بكارة عروسه ...

وقبائل اخرى في الفيلبين يقوم موظف خاص يتقاضى راتبا ضخما تكون مهمته ان يؤدي هذا العمل عمن اعتزم الزواج من الرجال ولكن عند حلول مرحلة الزراعة اصبح هناك مفهوم الملكية والتي تشمل ملكية المراة واصبح هناك تشريعات تحرم العلاقات الاباحية وظهر مفهوم العفة لان الزوجة اصبحت تشرى بمهر اعلى ان كانت بكرا من ثمن أختها التي ضعفت ارادتها .. اذا ان البكر يبشر ، فيها بالامانة الزوجية التي اصبحت ذات قيمة في أعين الرجال الذين كان يؤرقهم أن يرث املاكهم أبناء سفاح ..

ويقول ديورانت : لقد كان الزوج في بدايته صورة من صور القانون الذي يضبط الملكية وجزءا من التنظيم الاجتماعي الذي يدبر امر العبيد ...

وفي قبيلة توراج تعاقب الاخت التي حادت عن الجادة بالموت وزنوج التوبة والحبشة والصومال وغيرها يضعون على اعضاء تناسل البنات حلقات واقفالا تمنع اداء العملية الجنسية ولا يزال شيئا كهذا قائما الى يومنا هذا في بورما وسيلان وبسبب الملكية نشأ نظام العزل حيث أن الاباء الاغنياء في بريطانيا الجديدة يحجزون بناتهم خلال الخمس سنوات الخطرة في اكواخ يقيمون عليها حارسا من العجائز

الفضيلات فلا يسمح لهن بالخروج الا باذن ويشابه هذا الشيء الملاءة التي يرتدينها المسلمات ...

وبينما كانت تمارس العملية الجنسية علنا اصبح ذلك مخجلا فظهر الحياء والحياء امر مخجل كما يقول ديورانت عند الزواج في ظل نظام الزواج بالشراءوهو شعورها بتبعية مالية ازاء زوجها بان تمتنع عن اية علاقة زوجية (جنسية) ليس من شانها ان تعود عليه بالربح لذا ظهرت الملابس وفي قبائل كثيرة لا تلبس المراة ثيابا الا بعد زواجها علامة على حيازة زوجها حيازة تامة وحائلا يحول دون سائر الرجـال .

وعند المراة الصينية الى عهد قريب كانت تخجل من تعرية اقدامها بالاضافة الى ذلك يمكننا ملاحظة ان المهر لا يزال موجودا في قرى بعض المجتمعات بينما يزول هذا الشيء في المدينة وذلك لان الرجل يتزوجها لتصبح كعامل جديد يزيد غلال الارض بينما لايوجد هذا في المدينة .

وظهور المعامل التي يشترك الرجال مع النساء في مرحلة مكنكة العمل ادى الى كسر الطوق الذي يلازم العمل الزراعي وادى هذا الى فتح المجـالات للعلاقـات الجنسية اكثر من قبل ونشاهد هذا الشيء الذي يكثر فيها المعامل التـي يعمـل فيها الجنسـان معا اما تأثير العمل على تجربة الجمال (الخلق) فواضح جدا ايضا حيث نجد ان الاختراعات والاعمال الفنية تزداد في هذه المرحلة بصورة كبيرة جدا وذلك بسبب تقدم العمل بينما لم يكن هذا الشيء موجودا سابقا ويمكننا ملاحظة ذلك من الازيـاء والتزيين كيف انها كانت في البداية عملية شاقة وباهظة التكاليف وقليلة الاثر بسبب عدم تجددها بينما الان نجد في كل لحظة جديدا رخيص الثمن والتكاليف وبمتناول الجميع تقريبا ويمكن ملاحظة ان الاعمال الفنية الكبرى التي تحدث في هذا العصر لم تكن لتحدث لولا تقدم العمل واختراع ادوات تساعد على وجودها كالتماثيل المعدنية والموسيقى المسجلة والتلفزيون الملون الذي ينقل التجارب الجمالية (ادب ـ رسم ـ موسيقى) .

تأثير العلم على العقيدة :

للعلم تأثير واضح على التجربة العقائدية سنوضحه من خلال تجاربها الثلاث فمثلا تجربة الحق لدى ملاحظة حركتها نجدها انها مقترنة بالعلم ونجد انه كلما تحركت التجربة ازداد وعي الانسان لابعاده وامكانياته ، وفي الماضي لم يكن يعرف مقدرته بالمقارنة مع قدرة الكائنات المحيطة ولم يكن يعرف حدود الارض التي يقطنها الا بما تعطيه اياه عيناه وما تستطيعه قدماه من المسير وهناك تقع اخر الدنيا ولم يكن يعرف من السماء الا انها جو فسيح فيه الالهة المقدسة الشريرة والخيرة وعندما تحركت تجربة العلم اصبح الانسان يعرف قدرته وميزته عن الكائنات الأخرى واصبح يعرف شيئا فشيئا ان هناك اراض اخرى غير التي يسكنها واصبح يعرف حدود ومسافات الارض والاجرام بدقة رهيبة وبتقدم حركة العلم افتنت فروعه فظهر الكيمياءوالفيزياءوالبيولوجيا الخ.. واصبح يعرف الكثير عن الحياة العضوية ونطرح نظرتنا باعتمادنا على حركة العلم معنى الحياة وغايتها وقانون تحرك الكائنات والمجتمع الانساني .

وبما ان اللغة هي اداة العلم فاننا نجد ان اللغة والاسطورة توامان لدى العقل البدائي فكلتاهما قائمة على تجربة انسانية عامة مبكرة فالقدرة على الكلام واستخدام اللغة يعبر عن القدرة لفهم الحقيقة بالنسبة للعالم .

ويقول السيد المسيح **(في البدء كانت الكلمة)** ولقد اكتسبت الكلمة عند بعض الشعوب قوى سحرية .. (فالشعر ينزل القمر من عليائه) ومن المعروف ان العقيدة الاسلامية مبنية على القرآن الذي يعتبر معجزة في البلاغة وكانت الكلمة (اللوجوس) لدى هرقليط مبدأ ميتافيزيقي كلي ومن اقواله : (لاتصغ الى بل اصغ للكلمة واعترف ان الاشياء كلها شيئا واحدا) وهذا الوعي هو النمطية نفسها بابرز صورها . وهذا يفسر لماذا سميت الاسطورة مرض لغة بدلا من تسميتها مرض فكر ومن تأثير اللغة على الانماط العقلية ترى النمطيين ينسبون الى الاله صفات بشرية؟

واللغة القديمة اداة يعسر استعمالها وبخاصة في ميدان التجربة العقائدية

الاولى (الحق) لخلوها من المعاني المجردة وليس من المغالاة أن نقول ان معجم الاديان القديمة كلها يتألف من مجازات الامر الذي يؤدي الى حدوث النمطيةويقول كاسيرر : بين اللغة والاسطورة قرابة عصبية فعلاقتها في المراحل الاولى من الحضارة الانسانية جد وثيقة وتعاونها أمر واضح حتى ليستحيل ان تفرق احداهما عن الاخرى . ويقول (ف. ماكس مللر) : (ان الاسطورة نتاجا عريضا للغة) وتعتبر الاسطورة كما مر معنا نوعا من المرض في العقل الانساني .

اما نحن فنعتبرها مرحلة في درجة حركة المجتمع الانساني حيث نجد ان السحر يلازم مرحلة الاسطورة وكان السحر التمثيلي اول الطرق التي كسب بها الانسان معرفة الارواح أولا ثم الالهة ثانيا وكان يقوم الساحر بأشباه الاعمال التي يريد من الالهة ان تؤديها فمثلا اذا اراد الناس ان يستنزلو المطر صب الساحر الماء على الارض ويحكى عن القبيلة (الكفير) انها حين تهددها الجفاف طلبوا الى مبشر ان يذهب الى الحقل ويفتح مظلته .. وفي سومطرة تصنع المراة العقيم صورة طفل تضعها في حجرها راجية ان يجيئها ذلك الجنين وفي ارخبيل بابار تصنع المراة اذا ارادت الامومة عروسا من قطن احمر وتقوم بحركات ارضاعها وتقول صيغة سحرية معلومة وتبعث الى القرية بمن يشيع انها حملت فيجيء اصدقاؤها لتهنئتها وفي قبيلة (دياك) في (بورنيو) اذا اراد الساحر ان يخفف الام امراة عندما تضع يقوم هو نفسه بحركات الوضع على سبيل التمثيل لعله بذلك يوحي بقوة سحره الى الجنين ان يظهر واحيانا يدحرج الساحر حجرا على بطنه ثم يسقطه على الارض آملا ان يقلده الجنين المستعص فتسهل ولادته **وفي ارياف سورية يصعد الزوج على سطح البيت الذي تلد فيه امراته كي تسهل ولادتها او يغسل قدميه ويرسل لها ماء الغسيل كي تشربه وبذلك يرضى عنها الاله ويغفر ذنوبها** وكذلك تستخدم التمائم والاحجبة في كثير من المجتمعات البدائية وذلك بغية ابعاد الابالسة والجن .

ويستخدم في الريف العربي (شبه خرزة زرقاء) وتوضع على رأس الطفل كي تمنع الحسد من الاخرين الامر الذي قد يؤدي الى وفاته لولا هذه (الشبة والخرزة الزرقاء) .

وفي العصور الوسطى كانوا يسحرون الشخص بأن يغزو الدبابيس في تمثال من الشمع يمثل صورته وهنود (بيرو) يحرقون الناس ممثلين في العابهم ويطلقون على هذه العملية باسم احراق الروح وكانت تستخدم هذه الطريقة في اخصاب التربة فأرباب العلم في (زلو) **يشوون الاعضاء التناسلية للرجل اذا مات في عنفوانه** ثم يطحنونه ويسحقونه رمادا يذر فوق الحقول وبعض الشعوب تختار الربيع ملكا وملكة بين رجالها ونسائها وتزوجهما في حفل علني لعل التربة تصغي الى الحفل ومغزاه فتسرع الى ازهار النبات وفي بعض البلدان يضيفون الى مثل ذلك الحفل بأن يقوم العروسان **بعملية التزاوج علنا** حتى لا يتركوا للطبيعة عذرا لانها لم تفهم الواجب الذي طلب اداؤه . وفي (جاوا) يتصل الفلاحون وزوجاتهم اتصالا جنسيا في حقول الارز لخصوبة انتاجها وتقام اعياد في فصل البذر يختلط فيها الرجال من جهة وايحاء للارض في فصل الربيع لان تخرج عن تحفظها الذي لازمته أيام الشتاء وتقام هذه الاعياد في الشعوب البدائية وخصوصا بين اهل الكامرون في الكونغو والكفير والهنتوت والبانتو وفي ذلك يقول (رولي) وهو من رجال الدين في بانتو (ان اعياد الحصاد شبيهة في خصائصها بأعياد باخوس عند اليونان حيث تنتشر الاباحية ، ولكن بتقدم حركة العلم تحركت تجربة الحق وازداد الوعي الانساني وقد عارض رجال الدين اختراع الكتابة لانها ستؤدى على الارجح الى هدم الاخلاق وتدهور الانسان وتروى اسطورة مصرية انه لما كشف الالهة (تحوت تحاموس) عن فن الكتابة (أبى الملك ان يتلقى هذا الفن لانه يهدم المدينة هدما وقال في ذلك : ان الاطفال والشباب الذين كانوا حتى الان يرغمون على بذل جهدهم كله لحفظ ما يتعلمونه ووعيه لن يبذلوا اذا دخلت الكتابة ولن يروا انفسهم بحاجة لتدريب ذاكرتهم ...

وكلما تقدمت المعرفة اصطدمت بالاساطير واللاهوت كما ذكرنا سابقا ويصبح رجال الدين عائقا أمام العلم وتتخذ هذه المرحلة صيغة النزاع بين العلم والعقيدة ويقول (ف. ماكس ملر) (النفس الانسانية تصبح موضوعية من خلال العلم وسوف نرى فيما يلي تجربة العلم على تجربة الخير) التشريع حيث نجد لدى العقائدالبدائية

جريمة تدعى الرجم بالغيب وتعتبر أن الذي تعلمه وتجيد استعماله خير وحلال أما الذي لا تعلمه فهو شر ويجب أن لا تقربه .

ومن يسمح لنفسه بالشك فانه زنديق يجب أن يدخل النار وبما ان العقائد البدائية تستند الى دعامة واهية من العلم فانها تحارب وبعنف كل تفسير عقلي لامور عقائدية وقضية النزاع بين الدين والفلسفة (أشهر من تذكر . .) وهكذا تتغير المحرمات والمحللات مع تغير العلم وفي هذه الاونة يوجد شرائع كثيرة لم تكن موجودة لو لم يصل العلم الى هذه المرحلة كتحريم استعمال اسلحة التدمير الشامل وتحريم الانتحال الادبي والفني والشرائع التنظيمية لامور الحياة العامة .

اما اثر العلم على التجربة العقائدية الثالثة (الجمال) الخلق فهي أوضح من ان نكتب عنها اذ انه لا تمضي ساعة الا ونسمع بنظرية أو تفسير جديد او اكتشاف جديد ، اما تأثير العلم على الفن فاننا نعرفه من خلال وعينا بأنه وجد فرع خاص في الفلسفة لدراسات علم الجمال .

تاثير الادارة على العقيدة :

هناك نوعان من الادارات هنا .. ادارة المجتمع العامة وادارة الدين نفسه وتأثيرها يتضح من خلال نشاط التجربة العقائدية وشمولها وعمقها وتناغمها مع معطيات ومتطلبات الواقع .

وكثيرا ما تعتبر الادارة العامة سبب انتشار عقيدة معينة في مجتمعها ومن هذه الناحية يمكن تفسير قول (الدولة على دين ملوكها) والادارة اما أن توافق على انتشار العقيدة أولا توافق فتحاربه بكل الوسائل ، وكافة العقائد الكبرى مرت في هذين الظرفين من مجتمع لاخر كموقف الدولة الرومانية من الدين المسيحي وموقف المسيحيين من الاسلام وبخاصة في الاندلس، وعقيدة **القرامطة بالنسبة** للدولة العباسية وهناك ناحية أخرى في الموضوع وهي ان الادارة تنعكس في التجربة العقائدية وينتج التشريع الملائم للعقيدة فالخوف كما سبق عامل اساسي لثبات الايمان لدى المجتمعات

البدائية وقد فطن الى هذا الشيء (سترابو) الجغرافي القديم منذ تسعة عشر قرنا حيث قال : (انك في معاملتك لحشد من النساء على اقل تقدير او معاملتك لاية مجموعة من الناس اجتمعت كيفما اتفق لا تستطيع بالنسبة أن تؤثر فيهم بالعقل وان تقنعهم اقناعا بضرورة الوقار والورع والايمان كلا ! .. بل لابد لهم من الخوف الديني ايضا ولا يمكن اثارة هذا الخوف في نفوسهم بغير الاساطير والاعاجيب فالصواعق والدروع والصولجانات والمشاعل ورماح الالهة كل هذه الاساطير وكذلك فيها اللاهوت القديم من اوله الى اخره مع الزمن يصبح لهذا المفهوم قدسية تصعب ازالتها) .

وعندما ترجع الى العقيدة الاسلامية نلاحظ انها اعتمدت التهديد والوعيد ويقول نبي الاسلام عليه السلام (انما جئت نذيرا وبشيرا) فهو ينذر الناس بسوء العاقبة اذا لم يؤمنوا ويبشر المؤمنين بحسن المصير .

ولدى بعض الادارات البدائية قانون يقضي بقتل كل انسان يرتد عن عقيدته ويجبره جبرا على أداء فروضها ومن المعروف أن الادارة التي تريد تريد ان تعمم عقيدة معينة تضطر الى اتخاذ طريق العنف والقسوة اما ادارة العقيدة نفسها فهي ايضا تؤثر على حركة العقيدة والادارة في بعض المجتمعات تمثل ادارة المجتمع والعقيدة معا كالخليفة لدى المسلمين والبابا لدى المسيحيين والحاخام لدى اليهود والميكادو في اليابان والاغاخان في الباكستان ..

وقد لا تكون الادارة الدينية متصلة مع الادارة الدنيوية كما هي الحال اليوم بالنسبة للادارات لدى كثير من المجتمعات الان ..

تاثير القائد على العقيدة :

ان العقيدة اذا كانت تتاثر بمجتمع بنود قانون المجتمع الحيوي فانها تتاثر بها من خلال الانسان والانسان الموهوب ذو الحدس العبقري هو الذي تكون جميع المؤثرات السابقة الذكر تعيش في اعماق تفكير تنتظر اللحظة الفاعلة .. لحظة الاشراق والولادة .

وجميع عقائد المجتمع الانساني تعود الى قادة معنيين هم الذين وضعوها **كالبوذية والزرادشتية والمسيحية والموسوية والمحمدية والماركسية والاقليدية .**

وهنا نطل على معنى يمكن تفسيره بالمثال التالي :

(ان الاناء الفارغ يمكن املاؤه بمادة ما وتفريغه) ..

والمؤثرات السابقة الذكر يمكن أن نعتبرها .. **هي المادة والقائد هو الذي يمتليء بها ولديه القدرة على وعيها وطرحها .**

الادارة

ذكرنا في التعريف ان الادارة هي الجهاز الذي يقود تجربة المجتمع العامة . وهي التي تعطي سمة حركته نحو الحرية او العبودية .

وهذا الجهاز يحتاج لقوة يعبر عنها بالسلطة وذلك لتتمكن من الادارة اي ان حكم المجتمع (الحكومة) تحتوي على عنصرين ١ ـ (**حكم ـ قيمة ـ راي**) .. ٢ ـ واداة لتطبيق الحكم (**سلطة**) فالقاضي يصدر حكما ما ولكن ليست لديه هو قوة التنفيذ . فالادارة اذا تحتوي على عنصرين : (عنصر تشريع) و (عنصر تنفيذ) ..

والواقع ان البحث في الادارة هو بحث في التشريع وتنفيذه . ويؤثر على الادارة بالطبع جميع بنود قانون المجتمع الحيوي .

وسوف ندرس فيما يلي تأثر هذه البنود على الادارة .

تاثير الزمن على الادارة :

بما أن الادارة تحتوي كما ذكرنا على عنصري التشريع والتنفيذ فاننا ندرك ان التشريع او القدرة على الرؤية الايجابية لتحريك المجتمع تخضع لقانون التجربة بأطوارها الثلاث وفي البداية لم يكن متوفرا هذا الشيء والطور الاول هنا هو **ضرورة توجيه جهد الجماعة الى عمل ما** ولكن الطور الثاني يبقى بلا حركة حيث انه لا يوجد امكانية لدى المجتمع البدائي وبالتالي فان الجماعات البدائية تكون بدون ادارة غالبا ... فالصائدون البدائيون لا يميلون الى قبول القوانين الا اذا كانت صالحة للمجتمع بشكل واضح .

وترى قبيلة البوشمن واقزام افريقيا واهل استراليا الفطرانيين لا يقبلون التنظيم السياسي الا مؤقتا ، وليس لاهل (تمسانيا) رؤساء ولا قوانين ولا حكومة دائمة والفيدونا من سكان سيلان انقسموا الى جماعات على اساس روابط عائلية لكن لم يكن لهم حكومة والكوبيون في سومطرة يعيشون بغير سلطان وتحكم كل اسرة نفسها وقلما تجد الفورتجين في جماعات تزيد عن اثنى عشر ولا يزيد الحشد من الاستراليين عن ستين شخصا الا في القليل النادر ولا تتلاءم الا في العمل الضروري.

وكان هناك كثير من الجماعات بغير رؤساء **وجماعات اخرى لم تقبل نظام الرئاسة الا في وقت الحرب** . ولم يسمح قط بقيام السلطة جزافا فالهنود من قبائل (اراكو) و (دلاوير) لم يعترفوا بشيء من القوانين او الضبوط خارج النظام الطبيعي الذي تقضي به الاسرة او العشيرة ولم يتمتع رؤساؤهم الا بسلطة متواضعة في مقدور شيوخ العشيرة أن ينسخوها في اي وقت والخطوة الثانية هي اجتماع هؤلاء القادة، وكان يقوم على هنود (اوماها) مجلس السبعة الذي يظل اعضاؤه يتشاورون حتى يصلوا الى الامر بالاجماع وفي (ساموا) كانت للرئيس سلطة ابان الحرب اما في غير ذلك فلم يكن له اية سلطة ، ولا يأبها به الناس وقبيلة (دياك) لم تكن تعرف من الحكومة الا ما للاب على اولاده وزوجه . لان قدرة التوجيه تحتاج الى قوة في الراي والقدرة على التنفيذ تحتاج الى **قوة جسدية او مالية او خطابية او غواية او سحر** ، وهذه القوى تكون الى حد كبير معدومة في المجتمع البدائي لذلك فان الطور الثالث هو العمل لايجاد اداة (ادارة) . وتتحرك بنود المجتمع الحيوي وتتغير المعطيات فتزداد حدة اطوار التجربة فالظروف تزداد اختلافا وتشعبا وتشتتا ، وبالتالي تعرف اهواء الافراد بشكل او آخر ، وكذلك المجتمعات ، ومن تراكم التجربة تصبح هناك **خبرة** في الادارة والتوجيه وتدعمها **الموهبة** وسنبحث حركة هذه التجربة من جهتين:

١ ـ من حيث توحيدها لاراء افعال افراد الجماعات من الداخل .

٢ ـ من حيث تحقيق ارادتها وبسط نفوذها على الجماعات الاخرى .

وللحالة الاولى يوجد احتمالان : الاحتمال الاول هو : **اذا كان هناك تمايز بين افراد الجماعات .**

الاحتمال الثاني هو عدم وجود تمايز بين افراد الجماعات .

الاحتمال الاول سيؤدي الى استخدام التمايز **فالاقوى هو الذي يحكم** والقوة قد تكون قدرة فكرية او خطابية **او مادية من مال او رجال او نساء .**

الاحتمال الثاني سيؤدي الى اللجوء الى الانتخاب . وهي اجتماع هؤلاء القادة . وفي دراستنا تأثير الزمن على الادارة نعنى بدراسة اتجاه **حركة الادارة وسمتها** وبصورة عامة نقول : **انه كلما كانت الادارة قوية كلما كانت اقدر على التحريك** وكلما كانت الادارة **ملتصقة بارادة الحياة كلما كانت باتجاه** الحرية ويمكن لمس ذلك من خلال تنشيطها لفعاليات المجتمع الثلاث .

اما فيما يتعلق ببسط ارادة الادارة على الجماعات الاخرى فهو ينشأ من عوامل معينة بكافة بنود قانون المجتمع الحيوي . الا اننا سنذكر اثر الزمن على هذه الحادثة وسمة حركتها .

١ ـ لا يمكن الالتفات الى الخارج قبل التأكد من الداخل .

٢ ـ المجتمع الذي لا يملك ادارة توحده وتقوده يلتف الى ادارة مجتمع اخر موحدة لمجتمعها .

٣ ـ الهجمات الخارجية تدعو لقيام ادارة داخلية قوية وتنهي الخلافات .

وسمة الحركة تكون باتجاه الحرية كلما ادت الى الحرية واخيرا فالادارة هي كغيرها من قانون بنود المجتمع الحيوي بمثابة زمن لفعاليات مجتمعها انها عمر عمران مجتمعها **ودليل هذا العمران** فهي حركة تتعلق بعمران المجتمع من حيث تاثير بنود القانون الحيوي للمجتمع الانساني وهي **دليل لهذا العمران من خلال تاثيرها على بنود قانون المجتمع الحيوي وكلما ازدادت الحركة قصرت المدة في الاتجاه والثورات التي حدثت في ايام قلائل دفعت اتجاه حركة الادارة حسب اتجاه الثورة ومضمونها .. دفعا يعادل تاثيرها مئات السنين .**

تاثير الارض على الادارة :

قال نابليون (**سياسة الدولة تقوم على جغرافيتها**) .

ويقول موريس باريس (**السياسة قائمة على الارض والموتى**) أي (الارض والتاريخ) .

فالارض كائن يؤثر تاثيرا لا اظهــر منــه ولا أوضح على الادارة . والارض مصطلح يضم الارض والمناخ ، وطرق المواصلات والثروات الخ .. وكلما كانت الطبيعة **متغيرة متقلبة** كانت حركة الادارة **أكثر حدة وذلك انعكاسا لوعي** المجتمع على **التغير الذي** يحدث في الارض **والذي يحفزهم** على ما يرغبون به . وكلما كانت الظروف شاقة كلما كانت حركة الادارة أقوى باتجاه الحرية .

ومن عناصر الارض المناخ . فالمناخ يؤثر تأثيرا قويا على الادارة عبر عنــه (**مونتسكيو**) في كتابه روح القانون الجزء السابع بقوله (ان الحرارة الشديــدة تثير الاعصاب وتضعف قوة الرجال وشجاعتهم أما المناخ البارد فيقوم الجسم والروح ويجعل البشر اقدر على القيام بأعمال بطولية شاقة ونتيجة لذلك علينا الا نستغرب ان تكون رخاوة الشعوب التي تقطن مناطق حارة قد جعلتها مستعبدة في جميع الاحيان تقريبا وان تكون شجاعة الشعوب التي تقطن مناطق باردة قد ابقتها حرة **والعبودية المدنية مرتبطة بالمناخ على هذا النحــو نفســه** فالناس في البلاد الحارة لا يحملون على القيام بعمل شاق الا مخافة عقاب لذلك لا تستغرب العبودية فيها .

وقد لاحظ **أرسطو** في الجزء السابع من كتابه السياسة ان المناخ البارد يؤدي الى الاستعباد وكثيرا ما تكون حركة الادارة انعكاس لحركة الحرارة فالاشهر الحارة والباردة هي اشهر الثورات .

ويلاحظ (**ميشيليه**) ان الثورة الفرنسية عام ١٨٧٩ وقعت في الاشهرالحارة من ايار حتى ايلول ويصدق قوله على ثورة ١٨٣٠ التي حدثت في تموز وحوادث ١٨٤٨ .

وفي البلاد العربية لو بحثنا عن اغلب الحركات لشاهدنا أنها تحدث في الاشهر الحارة والباردة ويقول موريس دوفرجيه ان المناخ يؤثر على طـراز المعيشـة والعادات والتنظيم وان الديمقراطية التي مر بها البحر الابيض المتوسط ترتبط الى بداهة الحياة في الهواء وان مناطق الرعي يسودها نظام ابوي قبلي نواة الشعوب الغازيـة ...

وهناك من يقول ان للبقع الشمسية تأثير على الحروب .

وهناك عامل اخر يؤثر على الادارة وهي خصوبة الارض وجدبها والثروات الموجودة فيها .

ولها وجهان الوجه الاول هو ان الارض الخصبة الغنية تكون قوة ادارتهااكبر لانها تملك القوة والوجه الثاني هو ان الغنى يميل بالمجتمع الى المحافظـة وكـره الثورات . ويقول **مونتسكيو** ان خصوبة الارض ووفرة الخيرات يؤديـان الـى العبودية وان وفرة الموارد يشل حرية المواطنين واستقلالهم (١) (**ففي البلاد الفقيرة تكون الحرية هي الخير الوحيد الذي** يستحق ان يدافع عنه اهلـه) وان جـدب الارض يجعل الناس صناعيين قانعين طلابا للعمل شجعانا قادرين على القتال اذ لابد أن يحصلوا لانفسهم على ما حرمتهم الطبيعة ، وان **خصوبة بلد** من البلاد **تورث اهلها الاتكال والرفاه وشيئا من حب المحافظة على الحياة** وقد جاء في **القرآن الكريم** ان الله اذا اراد اهلاك جماعة امر **مترفيها بالفسق** وبالمقابل هناك وجه اخر للقضية حيث ان **وجود الخيرات يؤدي الى الحرية** ونجد أن النظريات الحديثة تـرى ان

---

(١) نلاحظ هنا المفهوم الضيق الذي يشترك فيه كتاب القرن الثامن والتاسع عشر حول الحرية والتي هي برايهم استقلال بينما هي في راينا شرط اداء الوجود .

الديمقراطية ووفرة الارزاق متوازيان والفقر يعرقل الديمقراطية . وبالطبع هذا يعود الى الاحتمال الاول والثاني لوجود او لعدم وجود تمايز في المجتمع .

وهناك مظهر اخر لتأثير الثروات . مثلا **الموارد النفطية** الموجودة في البلاد العربية والكونغو **تعتبر** سببا ما في الصراعات الدولية .

ولم يستطع **الاسكيمو** ، أن يفهموا لماذا يطارد الاوربيون بعضهم بعضا كأنهم حيتان ؟ ولماذا يسرق بعضهم ارض بعض ، مع انهم جميعا يدينون بعقيدة مسالمة واحدة هي (المسيحية) ، ولهذا قالوا في تمجيد أرضهم الا ما اجمل ان يكون غطاؤنا ثلجا وجليدا ما أجمل أن يكون الذهب والفضة اللذين يتكالب عليهما المسيحيين تكالبا جشعا فانهما يكونان تحت غطاءكثيف من الثلج بحيث لا يستطيعون الوصول اليهما ... ان عقم أرضنا من الاثمار يؤدي الى سعادتنا وينقذنا من المعتدين . ومع ذلك يقاتل الصائدون من اجل المصائد العامرة كما كان الرعاة يقاتلون (**السينولوا**) على المراعي والزراعيون على التربة العذراء . كما ان **للموقع** في الكرة الارضية تأثيرا على الادارة ويقول **مونتسكيو (ان شعوب الجزر اميل الى الحرية** اكثر من شعوب القارة من البحر بفضل الجزر التي تفصلها عن الامبراطوريات الكبار ، فالفاتحون يوقفهم البحر فلا يجتاح الفتح البحر ، ويسهل ان يحتفظوا بقواهم وهناك جزر صحراوية كوديان بعض الانهار كوادي النيل والفرات ..

وشعوب الجزر ليس لها جيران وفقدان الحواجز يسهل الغزو لذلك كانت سهول شمال أوربا اكثر تهيؤا للغزوات من المناطق الجبلية المركزية وفقدان الاستقرار لدى سكان ذلك السهل وعبور الحدود باستمرار وان كان هذا الكلام لا ينطبق على ظروف الحرب النووية الان. الا ان لذلك أثرا على كل حال لان لموقع الادارة في الكرة الارضية تأثيرا كبيرا على نفوذ الادارة على العالم **فاذا نظرنا الى فرنسا وسكانها** ومدنها ومصانعها ومعاملها وجامعاتها وتجهيزاتها التكنيكية والفكرية كما يقول أحد المفكرين ولننقلها نفسها الى المحيط الهادي في المكان الذي **تقع فيه**

نيوزلندة فان اهميتها السياسية تقل بمقدار ٣/٤ ومعنى هذا ان اهميتها السياسية ترجع ٣/٤ الى موقعها ..

ويعود حياد سويسرا حاليا عن الكتل الدولية الى موقعها الحيادي في أوربا وتؤثر طرق المواصلات على الموقع وبالتالي على الادارة تأثيرا مباشرا .

ويقول (موريس دوفرجيه) ان المركزية هي طريق قبل كل شيء ، وان المواطن السياسية الفذة في القديم مثل وادي دجلة والفرات ووادي النيل يرجع الى انها منعزلة عن الجو بفضل الصحارى وفيها اتصال داخلي بفضل الانهار ...

والطرق تنقل الجيوش والامراض والافكار وتدل الجغرافية الانتخابية على الاتصال بين الشعب والسلطة بين الحاكمين والمحكومين ، فرجال الشرطة يسلكونها .. لذلك يهرب منها رجال العصابات ، ويتجمعون في الجبال والغابات لذلك تنشأ الثورات في الجبال والغابات مثل بوليفيا والجزائر وفييتنام واسبانيا (في الحرب الاهلية) ولقد سميت اليمن مقبرة الاناضول لبعدها اولا عن الدولة العثمانية . ثانيا لوعورة ارضها . ولعزلة موقع الادارة تأثير سيء من حيث ابتعاد الادارة عن الحركات التي تجري في بنود القانون الحيوي للمجتمعات الانسانية الاخرى .. لذلك نجد ان أشد ادارات العالم تخلفا هي الادارة المنعزلة .

فللموقع مع الطرق تأثير كبير على الادارة لان طرق المواصلات هي التي تصل جميع الاجزاء التي تديرها . ويقول موريس دوفرجيه (ان وادي النيل الذي تعزله صحارى هو اطار طبيعي واراضيه غنية غنى عظيما وبفضل فيضانات النهر المنتظمة واستعمال هذه الحادثة الطبيعية يفترض نظاما لحجز المياه ، وصيانة الاقنية ، والنواعير . صيانة دائمة ، وهذا يتطلب تنظيما اجتماعيا ناميا نموا عظيما متمركزا تمركزا شديدا ، واننا نرى حاجة قاهرة الى ادارة منظمة تنظيما قويا ...

ومثال هذا الشيء عند الفراعنة ويقول (موريس دوفرجيه) : ان الغنى وسهولة المواصلات وفقدان الاماكن لتخبئة العصاة جعل دولة النيل قوية وهذا

الشيء نفسه يمكن تطبيقه في حوض **دجلة والفرات** الا ان قلة الفيضانات جعل النظم المركزية اقل حاجة .

ويمتاز الموقع البحري انه اقل حماية وحاجزا ، وطريق مواصلات في نفس الوقت ، ولقد كان البحر في القديم الطريق الوحيد لنقل الاشياء الضخمة الثقيلة الى مسافات كبيرة ، وهكذا نشأت امبراطوريات البحر اليونانية والانكليزية .

ويقول **ماكندر اكاوسيس (١٩١٩)** من امسك بأوربا الشرقية فقد امسك العالم ومن أمسك قلب العالم فقد حكم جزيرة العالم ومن امسك جزيرة العالم فقد حكم العالم ويعتبر أوكرانيا هي **قلب العالم** وجزيرة العالم هي اوربا واسيا وافريقيا ويلاحظ في هذا القول عدم ذكر **امريكا** ، وهذا يعود الى بعدها عن العالم في ذلك الوقت لكن عندما اصبحت قريبة اختلف الامر . بل ان سياسة امريكا تغيرت عندما اصبح بامكانها الاتصال بالعالم بسهولة وتغيرت السياسة العالمية كلها ..

ومن المعلوم ان **الاحلاف العسكرية** تنتقي مراكزها بحيث تشكل طوقا حول الدول المعادية **واقتراب كوبا من امريكا اللاتينية هو الذي جعل لوصول الشيوعية الى كوبا أمرا مهما** بينما لوكانت في مكان اخر لما اثارت هذا الاهتمام الذي تثيره .

تأثير السكان على الادارة :

الادارة وجدت لادارة الناس من خلال **تأثير بنود القانون الحيوي** للمجتمع الانساني ، وفي هذه البنود كما عرفنا بند السكان وسوف ندرس تأثير السكان على الادارة من خلال مكوناته الفرعية .

تأثير حجم السكان على الادارة :

ان لحجم السكان تأثير متباين على الادارة **حسب درجة الحجم** . وبصورة عامة كلما **كان حجم المجتمع كبيرا** كلما **كانت الادارة قوية** وهذا ما نلاحظه في في الادارات والامبراطوريات الكبرى عبر التاريخ التي تحكمت بمصير العالم وكلما

قويت الادارة يصبح لديها شعور ورغبة بالتمدد على المجتمعات المجاورة فالقوة فيض ..

كما ان هناك من يقول ان **امتلاك القوة يغري باستعمالها** . ولو نظرنا الى ظروف نشوء الحربين العالميتين الاولى والثانية لوجدنا أنها وجدت في ظروف تضخم المجتمع ويقول ارسطو (ان فرط ازدياد السكان يؤدي الى الاضطرابات السياسية) ويمكن التأكد من ذلك عندما نتذكر ان الثورة الفرنسية حدثت في وقت كانت مزدحمة في السكان (١٧٧٩) وكذلك الامر بالنسبة لليابان والمانيا فقد كانتا مزدحمتين بالسكان قبل نشوء الحرب العالمية (١٩٣٠ - ١٩٤٠) وفي المجتمعات الكبرى تقل نسبة المذاهب السياسية بالنسبة للمجتمعات الصغيرة وتكون متبلورة اكثر .

وكل من **يفكر بمذهب** سياسي او عمل يجب ان يتصور انه يحتاج **الى قوة كبيرة جدا** . بينما في المجتمع الصغير تجد الكثير من الاراء والمذاهب حيث . تجد كل فئة مهما صغرت . انها قادرة على الاستيلاء على ادارة المجتمع او على الاقل تشعر الاخرين بوجودها .. ويقول موريس دوفرجيه (ان التنافس على السلطة في المجتمعات الصغيرة يقوم بين افراد وتكون الادارة في هذه الجماعات الصغيرة ضعيفة التنظيم تشبه ان تقوم على ذلك التفريق البدائي بين الحاكمين والمحكومين والزعيم والاعضاء .. أما في الجماعات الكبيرة فان الصراع يتناول طوائف اجتماعية وفئات وسطية تنشأ في داخل المجتمع الكلي . كما يتناول الافراد والسلطة فيهذه الجماعات الكبيرة تنظيم محكم لبنيان بعضها فوق بعض درجات) .

فالفرد في المجتمع ذو الحجم الصغير يحس بمسؤولية تجاه الادارة اكثر من الفرد في المجتمع الكبير الذي يشعر بضآلته تجاه مجموع حشود مجتمعة ويشعر بتفاهة دوره بالنسبة للمجموعة لذلك تجد اللامبالاة بشؤون الادارة متفشية في المجتمعات الكبيرة . ويتضح هذا الشيء من حديث قاله عبد الناصر لشكري القوتلي رئيس ادارة سورية عند تسليم رئاستها لعبد الناصر بسبب الوحدة :

(اني أسلمك بلدا – ٥٠٪ – منه زعمـــاء ، – ٢٠٪ – أنبياء ، ١٠٪ – آلهـة ، مع ان سورية لم تكن في ذلك الوقت خمسة ملايين) ...

وهناك ناحية أخرى بالنسبة لتأثير حجم المجتمع على الادارة .

حيث نجد أن الادارة يمكنها السيطرة على المجتمع الصغير بسهولة أكثر من المجتمعات الكبيرة ، لذا ينمو في داخل المجتمعات الصغيرة حب الانصياع أكثر من المجتمعات الكبيرة ، وتنمو لديها نعرة المحافظة والتقليد لذلك فان تغير الادارة شيء لا يجد التشجيع في المجتمعات الصغيرة داخل الادارة الواحـدة لذلك نجـد أن الاقطاع في سورية استطاع ان يفوز باغلبية اصوات الناخبين القرويـين في عهـد الانفصال مع أن الاقطاع هو عدو الفلاح الاول .. وامتص دماءه عبر قرون مديدة ونشاهد أيضا أن أكثر الثورات تنطلق من المدن وليس من القرى ..

تأثير توزيع السكان على الادارة :

من المعروف ان الادارة تنقسم الى عدة اقاليم ، أو محافظات ، أو مناطق ويتوزع السكان بالتالي بنسب معينة على هذه الفروع . وهذا التوزيع يؤثر على الادارة العامة ، وادارة كل فرع تأثيرا واضحا . فيخلخل السكان ويجعل هنـــاك مجالا للعصيان . وضعف سيطرة بالنسبة للادارة العامة .. ويؤدي الى نشوء الادارات اللامركزية في الفروع كما ان كثافة ازدياد السكان يؤدي الى اضطرابات سياسية وقيام مدن القصدير حول المدن اثر تأثيرا كبيرا على تصعيد الحركـات السياسة ومن ثم فان تفاوت توزع السكان يؤدي الى تفاوت في التمثيل السياسي، ففي المناطق التي يقل عدد سكانها نجد ان لها نسبة من النواب اكثر من النسبـة التي يستحقها عدد سكانها بالقياس الى مجموع سكان البلاد ففي الجامعة العربية تمثل مصر بنفس العدد الذي تمثل فيه لبنان مع أن مصر تبلغ ٣٢ مليونا ولبنـان لا تتجاوز المليونين . وفي ميثاق الوحدة (١٧) نيسان بين مصر وسوريا والعراق عام ١٩٦٣ ، لم ينظر الى عدد السكان انما الى عدد الدول اثناء بحث التمثيل السياسي

تاثير نسبة الولادة والوفـــاة :

تؤثر نسبة الولادة والوفاة على الادارة تاثيرا كبيرا على الادارة وبخاصة التي تعتمد على عدد السكان حيث ان تكاثر السكان في منطقة اكثر من منطقة قد يقلب الميزان السياسي .

فمثلا الادارة في لبنان تاخذ تقسيمها السياسي ومناصبها الرئيسية كرئاسة الجمهورية والوزراء والنواب ونسبة الوزراء والنواب والجيش الخ .. حسب تعداد الطوائف الدينيـــة .

وكانت نتيجة الاحصاء الاول بجانب الطائفة المسيحية (**المارونية**) اما الان وبعد عشرات السنين **فان عدد المسلمين اصبح معادلا او ربما اكثر او على الاقل سيصبح اكثر بعد مدة بسيطة ، وذلك لان نسبة الانجاب لدى المسلمين اعلى منها لدى المسيحيين وهذا سيؤدي الى اضطرابات سياسية وتغيرات في عمران الادارة.**

تاثير نسبة الذكور والاناث على الادارة :

بما ان الجيش هو اداة الادارة والذكور هم أكثر من النساء قدرة على تحمل الاجهاد وحمل السلاح لذلك فان عدد الذكور الذي يؤثر على الادارة تأثيرا واضحا .. **وتختلف قيمة الذكر في المجتمعات حسب أهمية الحرب في المجتمع .**

وتتأرجح قيمة المراة حسب هذا الشيء ويقول (**ول ديورانت**) : (ان مكانة المراة ترتفع او تهبط تبعا لاختلاف اهمية الرجل في القتال ففـي اليونـان ايـام بركليز كتب عليها ان تكون مكانتها اقل من مكانتها بين هنود امريكا الشمالية) .

ويختلف تأثير النساء على الادارة من مجتمع لآخر الا انه بصورة عامة كلما كانت حركة المجتمع تسير باتجاه الحياة كلما كان للمراة أثر على الادارة .

وهذا الشيء ليس قاصرا على المجتمعات في الوقت الحاضر .. حيث لم يكن في مستطاع الرئيس في جزر (بلو) ان ينجز شيئا هاما الا اذا استشار مجلسا

من عجائز النساء وكان للنساء في قبيلة (اراكو) حق يعادل حق الرجال في ابداء الراي وفي التصويت اذا اجتمع مجلس القبيلة وكان للنساء بين هنود (سنكا) قوة عظيمة قد تبلغ بهن حق اختيار الرئيس .

ولكن بصورة عامة للمراة الان اثر على الادارة اكثر من قبل حيث نجدانه وجدت مجالات لاشتراك المراة في الادارة أكثر من قبل وهناك اثر اخر للنساء على الادارة .. حيث نجد ان هناك كثير من الحروب حدثت من وراء النساء .. ويؤكد (موريس دوفرجيه) ما تقوله القصص الشعبية في أوربا عن جماعات الرواد الامريكان او المعمرين في بلاد مختلفة والتي اسهمت في اشاعة صور النزاعات الداخلية التي أثارتها ندرة النساء آنذاك . ويقول (مورس دو فرجيه) : (ان ندرة النساء والموقف الذي اتخذه المعمرون في الاصل من النساء الملونات قد لعب في نشوء عواطف عرقية) (لاعرقية احيانا) وقد كتب العالم الاجتماعي البرازيلي (جلبرتو فريري) صفحات عميقة في هذا الموضوع لا تخلو من الغلو ، وذلك ان ندرة النساء في الولايات المتحدة اثناء المرحلة البطولية قد ادت الى اعلاء شأنهن حتى لقد نشأ نوع من نظام الامومة تؤيده القوانين التي تشرعها الادارة ويقول : (ان القسم الاعظم من الثروة الامريكية بين ايدي النساء . ولهن نفوذ على الصحافة والاذاعة والتلفزيون وان الناس لا يعرفون الدور الضخم الذي تقوم به النوادي النسائية في الحياة الاجتماعية والسياسية في أمريكا) وتؤثر النساء على اتجاه حركة الادارة من حيث حركتها فهل هي متحركة بسرعة (ثورية) او محافظة حيث ان غالبية النساء كما يقول موريس دوفرجيه يعززن نزعة المحافظة في المجتمعات الغربية المتطورة حيث نرى اقتراعات النساء منصبة على اليمين اكثر من الرجال بوجه عام .

ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا ان نوعية النساء تختلف حسب درجة المجتمع في حركة بنود قانونه الحيوي حيث اننا نجد أن هناك مجتمعات لا تقيم وزنا للمراة.

تأثير الهجرات على الادارة :

بما أن المهاجرين هم جزء من مجتمع له شخصيته التي تحددها حركة بنود

قانون المجتمع الحيوي وبالتالي فان هذه الحركة لا بد انها تختلف عن شخصية المجتمع المهاجر اليه .

لذلك تنشأ صراعات كثيرة حول الادارة ينظر للمهاجرين فيها انهم **يتطفلون على امور لا تعنيهم وعليهم أن يحترموا البلد الـذي يضيفهم** وكثـيرا مـا تنشـأ الاضـطرابات بـسبب هذا الشيء **كالاكراد واليهود في البلاد العربية .**

وهذا يوضح الى حد ما اثر الجاليات الاجنبية في كل ادارة . ويختلف التأثير حسب قوة الجالية . ومثال تأثير الجالية على الادارة ما جرى في كندا عام ١٩٦٧ من مظاهرات صاخبة من قبل الجالية الفرنسية ضد حكومة كندا لموقفها من ديغول وكذلك مظاهرات الجاليات العربية واليهودية في البلاد الاجنبية والتي كانت امتدادا الى حرب حزيران ١٩٦٧ وللمفكر العربي **(زكي الارسوزي)** قول طريف وهـو: **ان الذي يدير امريكا هو انكلترا من خلال المهاجرين الانكليز .**

تأثير الطبقات على الادارة :

يؤثر ارتفاع الطبقة كثيرا على الادارة وكلما كان **ارتفاعها عاليا واتساع قاعدتها** كبيرا كلما كان تأثيرها على الادارة كبيرا .

والارتفاع هنا يعتمد القوة الفكرية والمادية ويؤثر اختلاف ارتفاع الطبقات على الادارة حيث نجد أن المجتمع الذي يحوي طبقات متباينة فان الطبقات ذات الارتفاع القليلة يكون تأثيرها خفيفا جدا كعنصر يقرر ويريد ولكن يكون تأثيرها كقوة مادية لدى الطبقات الاعلى ارتفاعا منها . اما عندما يكون الارتفاع قليل التباين فانه ينشب صراع حاد بينهما وتتأرجح الادارة بين هذه الطبقات وتغدو نتيجة لانتصار طبقة على اخرى .

ويقول ماركس (ان تاريخ كل مجتمع حتى عصرنا الحاضر هو تاريخ صراع الطبقات) ، **وكلام ماركس يدل على وعي جيد الا ان للطبقة لدينا كما عرفنا مفهوم اخـر .**

تأثير العمل عـلى الادارة :

ان العمل قوة .. وكلما تقدمت حركة العلم ازداد تأثيرها الحيوي عـلى بنود قانون المجتمع الحيوي . والتأثير يكون حسب اتجاه القوة اما الى الحرية أو الى العبوديـة .

وينعكس نوع العمل على الادارة من حيث ان الادارة هي تنظيم وتوجيه وقيادة معينة لعمل المجتمع لذلك يختلف شكلها واسلوبها حسب العمل الذي تقود تجربته **وقد لا يكون هناك حاجة الى الادارة في اعمال الصيد** حيث لا نجد في مرحلة الصيد ادارة واضحة بينما **تنتشر الادارة الابوية والعشائرية في الاعمال الرعوية وتأخذ الادارة شكلا تنظيميا خاصا في مرحلة الزراعة حيث تنتشر الملكية ووسائل الري والحصاد ويصبح النظام ثابتا كزراعة الارض .**

ويؤثر توفر العمل أو عدمه (البطالة) على الادارة بوضوح حيث أن هنـاك الكثير من الادارات التي **تسقط بسبب تفشي البطالة** وعدم قدرتها على تأمـين العمل .

كما أن كثيرا من الادارات تتغير لتغير العمل فيها **فالادارة السعودية أو الكويتية لم تكن هكذا قبل نشوء صناعة استخراج النفط وتسويقه وتكريره** وكلما ظهرت آلة جديدة أصبحت سلاحا بيد صاحبه لاستعمالها في السيطرة .

وكلما تقدمت حركة العمل وتميزت بين المجتمعات كلما ازدادت امكانيـات الحروب واتسعت جبهتها ومن المعروف ان العمل هو عماد الاقتصاد ، والسياسة أن هي الا ظلا للاقتصاد ، ولذلك تدرس السياسة والاقتصاد جنبا الى جنب .

تأثير العلم عـلى الادارة :

الادارة علم قائم بذاته ، ثم هي بالاضافة الى ذلك فن لابداع الاسـاليب والحلول المناسبة لتوجيه حركة المجتمع باتجاه الحرية .

وتحتاج الادارة لتوجيه حركة المجتمع الى جميع انواع العلوم لذلك **يجب على الذين يهتمون بامور المجتمع العامة تكوين ثقافة محيطة شاملة ..**

ويوجد في الوقت الحالي علوم خاصة بالادارة كعلوم الاحصاء والتخطيط والمحاسبة والالات الالكترونية .. ولو بحثنا حول تاثر الادارة بالعلم لوجدنا ان الادارة في العصر الحالي لم تكن لتاخذ هذا الطابع لولا حركة العلم وتختلف الادارات عن بعضها حسب اعتمادها العلم فالادارات العلمية هي الادارات الاقوى .

وبما أن اللغة هي اداة العلم فللغة ايضا تاثير كبير على الادارة لان اللغة وسيلة اساسية للتفاهم والتفكير المشترك وكثيرا ما يكون حدود الادارة منطبقا على حدود اللغة وتحاول الدول الفازية ان تنشر لغتها اولا باول وقد يكون غزوها فكريا بحتا.

تاثير العقيدة على الادارة : تؤثر العقيدة بتجاربها الثلاث على الادارة .

١ ـ من ناحية تأثير تجربة الحق : **نجد ان هذا البند يحدد اهداف الادارة وابعادها وشرعية وجودها من الحق الالهي .. الى الحق بالقوة الى الحق بالانتخاب.**

٢ ـ من ناحية تجربة الخير : يختلف تشريع الادارة عن غيره حسب مفهوم الخير في عقيدته ، فهذه التجربة هي التي تحدد نظام العقوبات **والدساتير المختلفة حول الشؤون العامة والخاصة .**

٣ ـ من ناحية تأثير تجربة الجمال : انعكاس هذه التجربة على الادارة واضح جدا ، **فالمخترعون والعلماء هم الذين يحددون درجة الادارة وقدرتها** وهناك مثال على فرنسا قيل فيه **انه لو اخذنا المخترعين** والعباقرة بمختلف فروعهم ـ وهم نسبة ضئيلة جدا بالنسبة لمجموع السكان ـ **لما بقي لفرنسا اهميتها الحالية .** وهناك تأثيرات اخرى للعقيدة من ناحية شمولها **فكلما كانت شاملة كلما كان تاثير الادارة التي تمثلها قويا . ويدخل ايضا** درجة التصاقها بارادة الحياة **فكلما كانت العقيدة ملتصقة بارادة الحياة كلما كان تاثيرها قويا .**

تاثير القائد على الادارة :

لقد مر معنا تأثير القائد على كافة بنود قانون المجتمع الحيوي **الا أن تاثيره هنا اعمق واشمل** . والمجتمع **كمحتوى نعيش فيه ويقوده قائد يؤثر على القائد كما ان القائد كفرد يتحكم فيه قانون الفرد الذي سنكشف عن قانونه** في الجزء الثاني وقانون المجتمع **يحتوي** قانون الفرد ويؤثر فيه فيصبح للفرد تأثير مزدوج من كونه **فردا** ومن كونه جزءا من **مجتمع** ويؤثر الفرد على المجتمع عندما يصبح **قائدا** لذا القائد هو **صلة الوصل بين الفرد والمجتمع وهو المرآة التي تعكس** قانون المجتمع والفـرد .

وبما ان القائد هو فرد قبل أن يصبح بندا من بنود قانون المجتمع الحيوي فاننا يجب ان ندرس قانون الفرد ومن ثم نصل الى القائد ونضع دليلا خاصا له لنتعرف كيف يصل الانسان الى مرحلة القيادة ، .. الحياة .. الحرية .

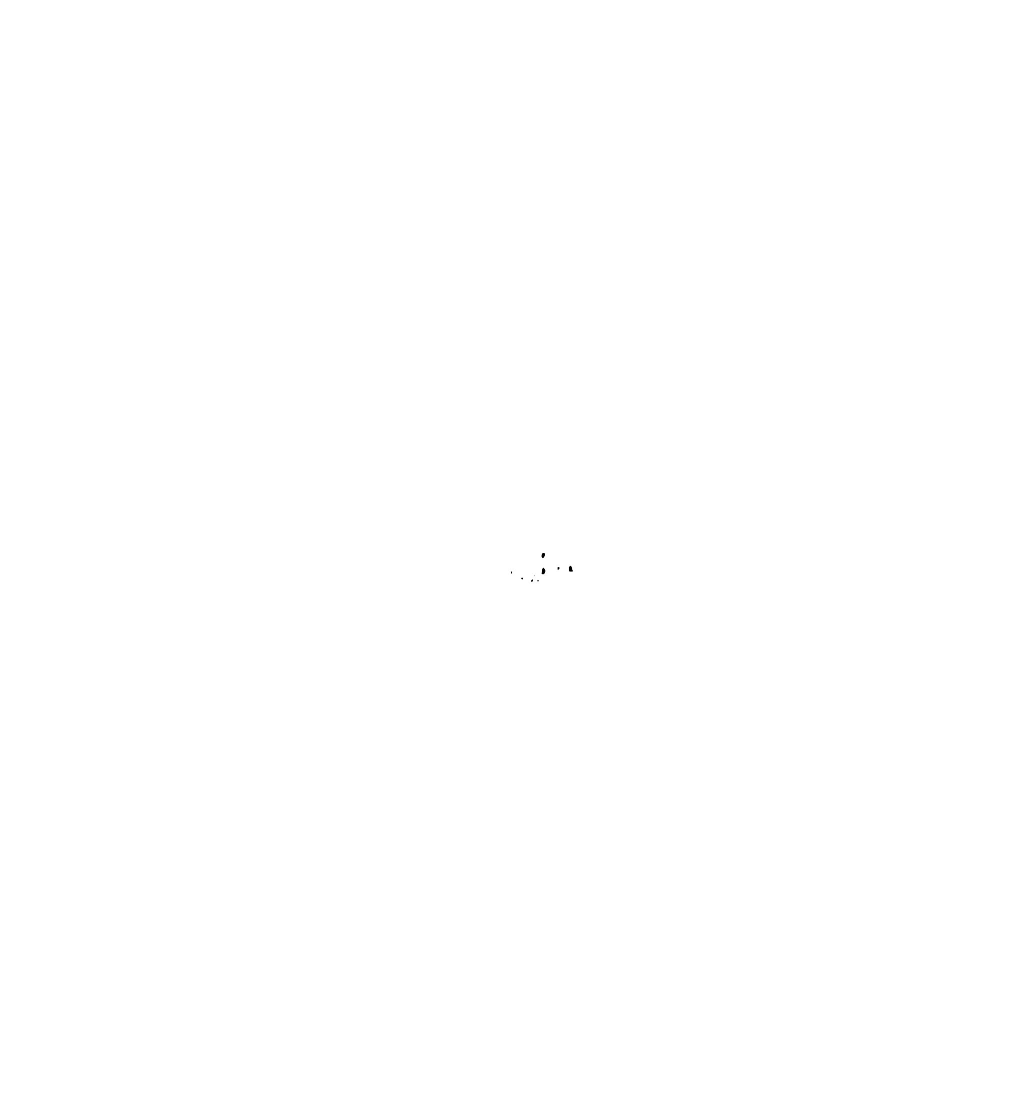
ملاحظـة :

١ ــ اعتذر عن الاخطاء المطبعية التي وقعت سهوا ..

٢ ــ ارحب باي نقد او دراسة للايديولوجية ترسل الي على العنوان التالي :

الجمهورية العربية السورية ــ حمص ــ باب تدمر ــ شارع الكتيب ــ دار علي النقري

الفهرس





• عربي سوري من مواليد محافظة حمص ١٩٤٧ .
• يمارس العطاء في ميادين متنوعة بالاضافة لعمله كمقاتل .
• في ميدان الفن :
ـ نال جائزة الحفر الاولى لمعرض مراكز الفنون التشكيلية للجمهورية عام ١٩٦٤ .
ـ اشترك في العديد من المعارض الجماعية .
ـ اقام معرضا فرديا في مدينة حمص ١٩٦٥ .
ـ أقام معرضا فرديا في مدينة دمشق وحمص ١٩٧٠
• في ميدان الادب :
سيصدر قريبا :
ـ منظار بلا عدسات . (رواية)
ـ نهار عربي . (رواية)
ـ دائرة الخامسات (نوع من المقامة الحديثة)
• في ميدان البحوث الاجتماعية :
سيصدر قريبا :
ـ الجزء الثاني من الدليل النظري
ـ الدليل التطبيقي
ـ مسائل تطبيقية للقانون الحيوي للمجتمع الانساني
• يعمل الان ضابطا في الجيش والقوات المسلحة العربية السورية .

... ان الحرية ليست صفة للارادة انها تمام عمل الكائن ، فحياة الكائن تتحقق بتمام شرط وجوده ، وهذا التحقق هو ما ندعوه بالحرية . على أساس أن الكائن لا يحقق وجوده منفصلا . انما مرتبطا بالمحيط .. لذا فالحرية دعوة الى مزيد من الالتصاق بشروط وجود الكائن ، مهما كان نوع الكائن . ومهما كان نوع المحيط .. أي أن للحرية أشكالا مختلفة باختلاف الكائنات ، انما تبقى ضمن مفهوم تحقق شرط الوجود ...

ص ١٢

السعر ٣٠٠ ق.س.